جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة المثنى / كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

مقامات السيوطيّ(ت٩١١هـ)دراسةٌ في ضوءِ علمِ النصِّ

رسالة قدمها الطالب

عباس عذيب عبدالله مطير

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية جامعة المثنى،

وهي من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية

وآدابها / اللغة

بإشراف

الأُستاذ

كاظم داخل جُبير الجبوريّ

١٤٣٨هـ ٢٠١٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾

صدق الله العلي العظيم

البقرة: ٢٨٦

الإهداء

إلى:

اللؤلؤة اللامعة في حياتي، التي أعجزُ عن وصفها، ومهما قدّمتُ لها لم أفِ حقها...أمي الغالية

مَن طرّز رسالتي بعلمه ، وزاد فهمي

من عظيم فهمه ...الأستاذ كاظم داخل جُبير

كلّ من أحبني ودعا لي بالخير...ولاسيما زملائي

الباحث

إقرار المشرف

أشهد أنَّ رسالة الطالب(**عباس عذيب عبدالله مطير**)المسومة (**مقامات السيوطي (ت٩١١هـ) دراسةٌ في ضوء علم النص**)،أُعدت بإشرافي في جامعة المثنى/ كلية التربية للعلوم الإنسانيّة/ قسم اللغة العربية ، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها / اللغة .

الإمضاء:

المشرف : أ. **كاظم داخل جُبير الجبوري**

التاريخ : / / ٢٠١٧ م

بناءً على التوصيات المتوافرة أرشّح هذه الرسالة للمناقشة:

رئيس قسم اللغة العربية

الإمضاء :

الاسم : أ. م. د. أحمد حسين عبد السادة

التاريخ : / / ٢٠١٧م

شكر وعرفان

بعد الحمد والثناء والشكر لله ـ سبحانه وتعالى ـ اعترافاً بالفضل وعرفاناً بالجميل أتقدم بأسمى آيات الشكر والامتنان إلى أُستاذي المفضال ومعلمي الأوّل الأُستاذ(كاظم داخل جبير الجبوري) لما أبداه لي من مساعدة على طوال مسيرة البحث ،فما من شاردة ،أو واردة إلّا وكانت له يد في تعديل ما أعوج منها ،فلم يدخر جهداً في تقويم البحث ،فقد كان حريصاً على أنْ يخرج البحث بأفضل صورة ،فكانت توجيهاته السديدة تصب في خدمة البحث، وقد منحني الحرية الكاملة في اختيار ما أراهُ مناسباً في مسيرة البحث، فجزاه الله عني خير جزاء المحسنين، ووفقه الله لما يحبّ ويرضى وأدامه خدمة للعلم والعلماء، وأتقدم أيضاً بعظيم الشكر والامتنان إلى أساتيذي الأفاضل في قسم اللغة العربية ممن أشرفوا على تدريسي في مرحلة البكلوريوس والمرحلة التحضيرية وأخص منهم بالذكر السيد عميد كلية التربية للعلوم الإنسانية الأُستاذ الدكتور محمد فليح الجبوري ،والسيد عميد كلية التربية الأساسية الأُستاذ المساعد الدكتور صاحب منشد عباس ،والسيد معاون العميد للشؤون الإدارية الأستاذ المساعد الدكتور باسم خيري، والسيد رئيس قسم اللغة العربية الأُستاذ المساعد الدكتور أحمد عبد حسين الذي لم يتوانَ يوماً في تقديم يد العون للباحث في التوجيه والإرشاد احتاجها البحث، والأُستاذ الدكتور ستار جبار رزيج، والأستاذ الدكتور وليد النعاس ،والأستاذ الدكتور عايد جدّوع حنّون، والأستاذ الدكتور فوزية لعيوس، والأُستاذ الدكتور عامر صلال، والأُستاذ المساعد الدكتور علي فرحان جواد، والأستاذ المساعد الدكتور علي هاشم، والأستاذ المساعد الدكتور لؤي كريم، والأستاذ المساعد الدكتور حسن هادي نور، والأستاذ المساعد الدكتور محمود عبد حمد اللامي، والأستاذ المساعد الدكتور كريم عبيس، والدكتورة ورود سعدون، والمدرس المساعد بتول حسين ، ولا أنسى فضل الدكتور رياض الماضي من جامعة البصرة كلية الآداب الذي مد الباحث بالكتب النصية التي تخص موضوع البحث، والأستاذ المساعد الدكتور تراث حاكم الزيادي جامعة القادسية، فوفقهم الله وجزاهم جميعاً خير الجزاء، وأتقدم أيضاً بالشكر الجزيل اعترافاً مني بفضلهم وسعة صدورهم وطول حلمهم إلى كلّ من الست آس عقيل، والاستاذ عبد العزيز فزاع، والست شيماء إبراهيم راضي؛ لما بذلوه معي من عناء في قراءة البحث من المقدمة حتى الخاتمة ،ومرافقتي طوال مدة الكتابة ،ومدّي بالمصادر التي احتاجها البحث ،فكانت مواكبتهم ليّ لها الفضل عليّ وعلى البحث، فقد أفدت كثيراً من نصائحهم وتوجيهاتهم السديدة، التي صبت في بوتقة واحدة هي إخراج البحث بحلة قشيبة، فوفقهم الله وجزاهم عني خير الجزاء، والشكر موصول كذلك إلى أمين مكتبة كلية التربية وموظفيها كلّ من مظفر عجزان، وعادل خليف وعزيز عبد الحسين، والشكر موصول إلى أمينة مكتبة كلية التربية الأساسية ، والشكر الموصول أيضاً إلى كلّ من قدم لي نصحاً أو دعا لي بدعاء ، أو أسهم في اخراج البحث بصورته التي هو عليها الآن و فاتني أنْ أذكر اسمه .

الباحث

المحتويات

المادة	الموضوع	الصفحة
المقدمة		٢-٥
التمهيد		٧-١٦
	توطئة:	٧
	أوّلاً: المقامة بين النوع والنمط	٧-٩
	ثانياً: السيوطي: أ- (حياتهُ ووفاته) ب- مذهبهُ النثري	١٠-١١ ١٠ ١١
	ثالثاً: علم النص:	١٢-١٦
الفصل الأوّل	(الاتساق النصي وآلياته في المقامات)	١٨- ٧٨
	توطئة	١٨-٢٠
المبحث الأوّل	الاتساق الصوتي والمعجميّ	٢١-٤٦
	أولاً: الاتساق الصوتي(توطئة)	٢١-٣٣
	١-السجع	٢٢-٢٤
	٢-الجناس	٢٥- ٣٣
	ثانياً: الاتساق المعجمي	٣٤-٤٦
	توطئة	٣٤-٣٥
	أولاً: التكرار	٣٥-٤١
	ثانياً: المصاحبة المعجمية	٤٢-

		٤٦
المبحث الثاني	الاتساق النحوي	٤٧-٧٨
	توطئة	٤٧
	أوّلاً: الإحالة	٤٧-٦٣
	الثانياً: الاستبدال	٦٣-٦٥
	الثالثاً: الحذف	٦٥-٦٩
	الوسيلة الرابعة: الربط بالأداة	٦٩-٧٨
الفصل الثاني	(الانسجام النصي)	٨٠-١١١
	توطئة	٨٠-٨١
المبحث الأوّل	مبادئ الانسجام ومظاهره	٨٢
	١-النص والعنوان(التغريض)	٨٢-٨٤
	٢-ترتيب محتوى النص(الخطاب)	٨٥-٨٦
	٣-الحالة العادية المفترضة للعوالم(المعرفة الخلفية)	٨٧-٨٩
	٤-وحدة الموضوع بين النصوص	٨٩-٩١
المبحث الثاني	العلاقات الدلالية والأبنية العليا	٩٢-١١١
	أولا: العلاقات الدلالية	٩٢
	١- علاقة الإجمال والتفصيل	٩٣-٩٥

	٢- علاقة الإضافة	٩٦-٩٧
	٣-علاقة السبب والنتيجة	٩٧
	٤-علاقة الاستثناء	٩٨
	٥- علاقة الشرط بالجواب	٩٨-١٠٠
	٦- علاقة إعادة الصياغة	١٠٠-١٠١
	٧- علاقة التمثيل	١٠٢
	٨- علاقة التضاد(المقابلة)	١٠٣
	٩- علاقة البديل	١٠٤
	١٠- علاقة الانسجام الاستعاري	١٠٥-١٠٦
	ثانياً: موضوع الخطاب أو (البنية الكلية)	١٠٦-١٠٨
	ثالثاً: البنية العليا	١٢٠-١١١
الفصل الثالث	معاييرٌ نصيّة أُخرى في المقامات	١١٣-١٨٧
	توطئة	١١٣
المبحث الأول	معايير تتصل بمستعملي النص(القصدية، المقبولية،الإعلامية)	١١٤-١٤٣
	أولاً: القصدية	١١٤-١٣٠

	ثانياً: المقبولية	١٣١-١٤٣
	ثالثاً: الإعلامية	١٤٤-١٤٩
المبحث الثاني	معايير تتصل بالمؤثرات الخارجية	١٥٠-١٨٧
	أولاً: السياق(الموقفية)	١٥٠-١٦٢
	السياق وخصائصه	١٥١-١٥٢
	١-سياق الموقف	١٥٣-١٥٦
	٢-السياق الثقافي	١٥٧-١٦٢
	ثانياً: التناص	١٦٣-١٨٧
	التناص	١٦٣-١٦٦
	التناص في مقامات السيوطي	١٦٦
	١-التناص مع القرآن الكريم	١٦٦-١٧٠
	٢-التناص مع الحديث الشريف	١٧٠-١٧٤

٣-التناص مع الشعر	١٧٤- ١٧٥
٤-التناص مع مصطلحات العلوم والفنون	١٧٦- ١٧٩
٥- التناص مع أسماء الأعلام والشخصيات	١٧٩- ١٨١
٦- التناص مع الأمثال العربية	١٨٢
٧-التناص مع المفردات المعجمية الدخيلة	١٨٣
٨- لتناص القائم على استحضار قصة أو حقيقة	١٨٤- ١٨٥
٩- تناص الزمان والمكان	١٨٦- ١٨٧
الخاتمة	١٨٩- ١٩١
مظانُّ البحث	١٩٣- ٢١١
المستخلص	a-b

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدِّمة

الحمد لله الموصوف بالقدم ، أحمده وهو المحمود المعظم، وأشكره على ما أولانا من جزيل النعم، وأشهد أن نبينا محمداً عبدهُ ورسوله المفضل على سائر العرب والعجم، المصطفى من ولد آدم، صلى الله وسلم عليه وآله أولي الكرم الذين باعوا أنفسهم لا بعرض ولا بدرهم وأصحابه المبرئين من الوصم صلاةً وسلاماً يحرسان قائلهما في يوم الندم.

أما بعدُ...

فتشتغل الدراسات النصية مركزاً مهماً بين الأبحاث اللغوية الحديثة، ولعل تزايد البحث في مجال علم النص راجع إلى أهميته في خدمة البحث اللغويّ، فبعد استغراق البحث في مستوى الجملة ، أخذت النظرية النصية تلفت النظر إلى البحث في مستوى النصِّ، وهذا لا يعني أنها ألغت ما توصلت إليه الأبحاث في مستوى الجملة، بل إنها جعلت الدراسات السابقة للجملة منطلقاً لها في البحث، فجاءت الدراسات النصية توسعةً للبحث اللغويّ ليشمل النصَّ كاملاً؛ إذ رأى علماء النص أنَّ دراسات الجملة لم تخرج عن إطار الجملة إلاّ في إشارات دقيقة إلى العلاقات الدلالية العميقة التي تربط بين الجمل ومتواليات الجمل، وأنَّ كثيرًا من الظواهر التركيبية لم تفسر في إطار الجملة تفسيراً كافياً مقنعاً.

إنّ أهمية علم النص في الدرس اللغوي الحديث لا يمكن حصرها في هذا المقام ، لكن القول يوجز في إنَّ نتائج الأبحاث النصية النظرية والتطبيقية أثبتت أهمية البحث في مستوى النصّ، وأثبتت أنّ هذا النوع من البحث يخدم البحوث السابقة في مستوى الجملة ، فبواساطة دراسات النص فُسرت ظواهر لغوية لم تُفسر في إطار دراسات الجملة تفسيراً كاملاً، مثل: علاقات الاتساق النحوي النصي، وغيرها من الظواهر التركيبية التي تخرج عن إطار الجملة المفردة، ولا يمكن تفسيرها تفسيراً كاملاً إلاّ بوحدة النصّ الكليّة. ولعلم النص موضوعات جاءت الإشارة إليها عند البلاغيين الأوائل، مثل: الوصل والفصل ، وتفصيل المجمل وإجمال المفصل ، أفادَ منها اللغويون المعاصرون في أبحاثهم النصية.

وقد تمخّضَ هذا العلمُ عن نظريةٍ جديدةٍ كانت بداياتُها إرهاصاتٍ قدّمها(هيالمسلاف، وهاريس) تدعو الدارسين إلى تجاوزِ حدودِ الجملةِ، والانطلاقِ منها إلى النص؛ لكون الجملة قاصرةً عن الوفاءِ بغرضِ المحلّلِ اللغويّ، أمّا النص؛ فقد عدَّاه قسماً أكبر قابلاً للتحليل، يمكن الدارسين من الوقوف على معنىً كليٍّ شامل غير مجزوء، وما فتأت هذه النظرية أن حصل فيها تطورٍ ملحوظٍ نتج عنه ميلاد فرع معرفي جديد عُرفَ باسم(علم النص)وموضوعهُ الأساس هو النصّ، بوصفه أعلى وحدةٍ لغويةٍ في الدراساتِ النصيةِ، وعلى الرغم من حداثة

نشأته؛ استطاع أن يحدث قفزة نوعية على مستوى التحليل النصي، ما جعله يستقطبُ كثيراً من الباحثينَ والدارسينَ للإفادةِ منه ومن مقولاتِهِ.

وهذه الدراسة تندرجُ في ضمن هذا الإطار؛ فهي تأتي بعدّها محاولةً لفهمِ آلياتِ اشتغال هذا المنهج، واختيار أهم المفاهيم التي تتعلق تحديداً بمفهومِ علم النصّ.

وقد كانت رغبتي في دراسة((نصية))محاولة مني لإبرازها في التراث العربيّ، ولاسيما في فن المقامات التي عُرفت بأنها فنٌّ من فنونِ الأدبِ، فكان عنوان الدراسة(**مقامات السيوطيّ دراسةٌ في ضوءِ علمِ النصّ**).

ولتطبيق هذا الفرع المعرفيّ على هذا المتن التراثيّ، ليس الغايةُ منه هي إخضاعُ هذا المتنِ لعلمِ النصّ، وإنَّما بيان بعض المعاني والأفكارِ المكتوبة وإيضاحها في نصوص المقامات، من خلال تطبيق هذا الفرع المعرفيّ على هذه النصوص ؛ ولأجل هذا؛ جاء اختيار هذا العلم ليكون مجالاً للبحث.

أما سبب اختيار هذا القسم من كتب التراث(مقامات السيوطي) دون غيره؛ لأنّ الاهتمامات كلها تركزت في مقامات الهمذاني والحريري والزمخشريّ، التي تعددت قراءاتها من بنيوية وسيميائية واجتماعية وتاريخية، وفي المقابل لا نجد من اهتم بمقامات السيوطيّ إلاّ دراسة تداولية، واحدة وهي أطروحة دكتوراه بعنوان (انسجام الخطاب في مقامات جلال الدين السيوطي مقاربة تداولية)للطالبة فتيحة بوسنة، وبعض الشروح على المقامات، وهي (شرح مقامات السيوطيّ سمير محمود الدروبيّ).

وبهذا فلا توجد لها دراسة في هذا الجانب(علم النصّ)، ولاختلافها عن مقامات الهمذانيّ والحريريّ والزمخشريّ من ناحية موضوعاتها، فكان هذا الاختلاف مُشجِّعاً ومُحفزاً لي للخوض فيها، ومعرفة خبايا نصوصها، وفضلاً عن ذلك، فإنّ المقامات قد واكبت مرحلة عصر المماليك، وكانت انعكاساً لها بكُلّ أبعادها السياسية والاجتماعية والدينية؛ مما جعل لها قيمة إنسانية، فمن ذلك يمكن عدّها من المصادر التاريخية والاجتماعية والدينية .

واقتضت طبيعة البحث أن يقسم على تمهيد، وثلاثة فصول، فخاتمة بأهم النتائج، وكلها سبقت بمقدّمة، وتناول التمهيد عرضاً لمفاهيم (المقامة، علم النص) اصطلاحاً لتحقيق غاية مهمة البحث، وهي إثبات أن المقامات نص، لذا صح دراستها وفقاً للمعايير النصية التي أقّرها دي بوجراند، فضلا عن ترجمة بنحو يسير لحياة السيوطيّ.

أما الفصل الأول الموسوم بالاتساق النصي وآلياته؛ فقد اختص بدراسة معيار(الاتساق) وعرض عناصره، ومظاهره، فكان على مبحثين :الأول: الاتساق الصوتيّ(السجع، والجناس)، والاتساق المعجميّ بأنواعه(التكرار، والمصاحبة المعجمية "التضام")، والأخر: الاتساق النحويّ بأنواعه(الإحالة، والحذف، والاستبدال، والربط بالأداة).

وجاء الفصل الثاني يحمل عنوان الانسجام النصي ، خصصناه لدراسة معيار(الانسجام)،دّرستُ فيه مبادئ الانسجام ومظاهره، وعلاقاته، والبنى النصيّة، فجاء على مبحثين: الأول: مبادئ الانسجام ومظاهره، والآخر: العلاقات الدلالية والبنى النصية، في حين درس الفصل الثالث بقية المعايير النصيّة الأُخر، وعددها خمسة معايير، وقد توزعت بين مبحثين: الأول: معايير تتصل بمستعملي النصّ(المتكلم، والمتلقي)وتشمل(القصدية، والمقبولية، والإعلامية)،والآخر :معايير تتصل بالمؤثرات الخارجيّة وهي(السياق، والتناص).

وختمت بأهم النتائج، ومن ثمّ إدراجت مصادر الدراسة ومراجعها كافة التي اعتمدتُها، وجاءت متفاوتة بين القدم، والحداثة، ومتنوعة بين اللغة والأدب والبلاغة والمعجمات وشروح المقامات والنقد والتاريخ، فضلاً عن الدراسات في علم النصّ، التي أخذت مساحة كبيرة؛ بسبب حداثة الدراسة التي اخترتُها، ولكن هذا لا يعني الانقطاع عن المصادر القديمة، وقد كانت على سبيل المثال لا الحصر كتب العلماء في هذا المجال، منها(علم النصّ) جوليا كريستيفا ترجمة فريد الزاهي، و(النص والخطاب والإجراء)لروبرت دي بوجراند،(وعلم النصّ مدخل متداخل الاختصاصات)لفان دايك ترجمة سعيد حسن بحيري، و(لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب)للدكتور محمد خطابيّ، و(نسيج النصّ) للأزهر الزّناد، وآخرين غيرهم.

ولابُدَّ من الإشارة إلى أنّ هذه الدراسة سبقت بأبحاث مختلفة في هذا المجال، اتخذت من كُلِّ أو بعض المعايير النصية موضوعاً تبحث فيه منها على سبيل المثال لا الحصر:(أصول المعايير النصية في التراث النقديّ والبلاغيّ عند العرب) دراسة عبد الخالق فرحان شاهين، و(لسانيات النص النظرية والتطبيق مقامات الهمذانيّ انموذجاً) دراسة لندة قياس، و(نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثريّ) دراسة الدكتور حسام أحمد فرج، و(علم لغة النص النظرية والتطبيق مقامات السرقسطيّ أنموذجًا) دراسة الدكتورة عزة شبل محمد، و(خطاب الضعف في القرآن الكريم دراسة في ضوء علم لغة النص) أطروحة الدكتورة وسن عبد علي عطية الخفاجي، و(المعايير النصية في مقامات الزمخشريّ) رسالة ماجستير للطالبة أسماء صائب محمد جواد كاظم، وغيرها، فأغنت هذه الدراسات البحث كثيرًا، فكفتهُ مؤونة البحث في نشأة علم النصِّ، وتطور البحث اللساني من الجملة إلى النص، وإشكالية مصطلح علم النص عند الدارسين العرب، وغير ذلك كثير.

وهناك بعض التنويهات التي ينبغي الالتفات إليها وهي: لقد كان اعتمادنا في استقراء مادة البحث والاستشهاد بالأمثلةوتحليلها على نسخة(**مقامات السيوطي الأدبية والطبية،لجلال الدين السيوطي**)بتحقيق الأستاذ(**محمد إبراهيم سليم**)، وانحصرت النصوص المدروسة بـ(اثنتي عشر مقامة)، وكان اختيارنا لهذه المقامات لأننا وجدنا فيها ما يكفينا من مادة لتجسيد مجمل ما تناولناه في بحثنا.

وقد سلكت لإنجاز هذا البحث منهجاً وصفياً تحليلياً، على وفق معطيات علم النص، فجاءت الدراسة وصفيةٌ لأنها اعتمدتُ وصف الظواهر النصية الموجودة في المقامات، وتحليلية لأنها قامت بتفكيك النص إلى أجزاء لا لهدمه وإنما لإعادة بنائه، وبيان مدى ترابطه واتساقه وانسجامه.

وكأيِّ بحثٍ آخر، فهذا البحث لا يخلو من بعض الصعاب التي اعترضت طريقه، منها صعوبة الحصول على المتن المحقق للمقامات، وقلة الدراسات التطبيقية التي تناولت مقامات السيوطي دراسة لغوية، وغير ذلك.

ولا يسعني بعد هذا التقديم إلاّ أن أقف وقفة إجلال وإكبار، لأتقدم ببالغ الشكر والتقدير والامتنان إلى شيخي المفضال الأستاذ الفاضل المشرف على هذه الرسالة الأستاذ (كاظم داخل جُبير) الذي تابع عملي هذا خطوة خطوة، وبذل جهداً كبيراً في تصحيح ما جاء فيه من هناتٍ، فأجد نفسي عاجزاً عن إيفاء الشكر إليه، فجزاه الله عني وعن العلم وأهله خير الجزاء، وأسأل الله جلّ وعلا أن يكتب له بكل حرف كتبته حسنة، ينتفع بها، ونوراً يمشي به، فله مني انحناءة التلميذ إلى شيخه، وأشكر أساتيذي في كلية التربية عامة، و قسم اللغة العربية خاصة الذين يعملون جاهدين على رفع راية العلم والسلام والبناء فوق راية الجهل والدم والخراب، كما أتقدم بوافر الشكر والامتنان إلى موظفي مكتبة كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة المثنى ولاسيما أمينها مظفر عجزان، وعادل خليف راشد، وعقيل كاشي، وعزيز علي) ؛لما أبدوه لي من مساعده طيلة أيام الدراسة والكتابة، فجزاهم الله عني خير الجزاء.

وأخيراً... لا أزعم أني قد وفيت البحث حقّه غير أني أقول: قد بذلت فيه قصارى جهدي، وأخلصت فيه كثيراً، آملاً أن يكون عملي هذا مقبولاً عند الله وأهل العلم، فإن كان ذلك، فهو من الله فضل ورحمة، وإنْ لم يكن فحسبي أني سعيتُ واجتهدتُ.

فالكمال لله وحده عليه توكلت وإليه أنيب والحمد لله ربّ العالمين.

الباحث

التمهيد

في

١-فن المقامة.

٢-السيوطي.

٣-علم النّص.

توطئة:

لابد في دراسة أيِّ موضوع من ضبط المجال الذي يدور فيه، والمفاهيم والمصطلحات التي يعتمدها، فيتعين بذلك موقفه من الاختصاصات المختلفة والمتنوعة والمتداخلة، ويتمكن المستقبل من الولوج إلى المفاتيح القائمة على تلك المفاهيم؛ لذلك سوف أنعِمُ النظر، وأُسلط الضوء هنا على ثلاثة محاور رئيسة، وهي:(فن المقامة، والسيوطي، وعلم النص)، إذ إنها المفاتيح التي تمكننا من ولوج أبواب الموضوع، والوصول إلى الطريق الصحيح

في هذه الدراسة، وتحقيق الغاية المرجوة من دراسة نصوص المقامات من منظور علم النص: لذا ارتأيت عرض التعريفات الاصطلاحية لهذه المفاهيم (المقامة، وعلم النص) من دون أن أعرج على معانيها اللغوية؛ لأنها لا تخدم النتيجة التي يصبو إليها البحث وهي أثبات بأنَّ المقامات نصّ، وفيما يأتي عرض لتعريفات هذه المفاهيم .

١-المقامة بين النوع والنمط:

يُعَدّ فنَّ المقامة من فنون الأدب العربي، وهي إنتاج إبداعي من بين ما أنتجته العقلية العربية، وجل المؤرخين يسجلون أن أول من سطر هذا الفن وأبدعه كان بديع الزمان الهمذانيّ(ت٣٩٨هـ)، وهي فنٌّ أدبيٌّ جاء في أسلوب قصصي، يتخذ الحوار جسراً إلى تحقيق أغراض تعليمية واجتماعية ونفسية، والمقامة لفظ اختلفت فيه التعريفات وتشعبت، فالكلمة أخذت دلالات بحسب مجالات استعمالها[١]، فاختلف الدارسون في تعريف المقامة، فبعض التعريفات ينطبق على بعض المقامات، ولا تنسحب على بعضها الآخر، مما يدل على أنّ فنَّ المقامة لم يعش جامداً من دون تغيير، بل اعترته سنة التغير التي أثرت فيه شكلاً ومضموناً، والمشكلة تكمن في صعوبة تحديد مصطلح المقامة العربية مع أنها استقرت تقليدياً في وضع الهمذانيّ، ومن ثم الحريري، وترسيخ أصولها الفنية، فوصف رياض المرزوقيّ المقامة العربية بقوله ((إنها من الأنماط التي شهدت تطوراً كبيراً في الشكل والمضمون، وتجديداً مكنها من أن تعيش عشرة قرون، وأن تتلاءم ومقتضيات التطور على الرغم من تباعد البيئة، واختلاف الجماهير، والأذواق، والأهداف))[٢]، وخصصَّ عبد الفتاح كيليطو بالقول إن مقامات السيوطي بأنها: ((تشكل وحدها نوعًا فرعيًا، فمن مصلحة الباحث أن يرى فن المقامة شكلاً، فالقصيدة على أية حال شكل لا نوع ولم يمنعها ذلك من أن تتضمن أنواعاً مختلفة))[٣].

و يعرفها زكي مبارك بقوله:((القصص التي يودعها الكاتب ما يشاء من فكرة أدبية أو فلسفة أو خطرة وجدانية أو لمحة من لمحات الدعابة والمجون))[٤]، في حين يراها موسى سليمان((بأنها أحاديث لغوية يلقيها راوية من الرواة على جماعة من الناس بقالب قصصي يقصد فيه إلى التسلية والتشويق، لا إلى تأليف القصة والتحليل))[٥]، ويبدو أن

---

(١)ينظر: فن المقامات في الأدب العربي:١٥١.

(٢) ملاحظات في تطور المقامة العربية، رياض المرزوقي، مجلة الموقف الأدبي:٩٩- ١٠٧.

(٣) المقامات (السرد والأنساق الثقافية):٥.

(٤)النثر الفني في القرن الرابع ١: ٢٤٢، وينظر: النثر العربي القديم من الشفاهية إلى الكتابية:٢٨٢.

(٥) الأدب القصصي عند العرب :٣٣٨.

سليماناً تأثر بمنهج المقامة وعناصرها عندما ذكر أنها تلقى على جماعة من الناس، من راوية من الرواة، وإنها ليس أحاديث لغوية بل إجتماعية بالدرجة الأولى.

ويعرفها سمير الدروبي بأنها ((نص أدبي مسجوع مرصع بالمحسنات البديعية، وغير مقيد بطول معين، يتعاطاها الكاتب؛ لإظهار براعته، وتفوقه، أو لإبداء رأيه في قضية ما، وقد تكون المقامة ستاراً للتعبير عن نزعاته وتتخذ صورة حكاية أو مأدبة أو مقالة أو عظة))[٦]،وعرّفها في موضع آخر بأنها:((نوع أدبي ولون نثري له خصائصه الفنية ودعائمه الأساسية، يتوخى مؤلفها طرح ما يشاء من أفكار أدبية، أو خواص تأملية ،أو انفعالات وجدانية، أو مهارات لغوية، في صورة ذات ملامح بديعية، وسمات زخرفية، إنها حقاً مرآة لعصرها وصدى لذوق أهله))[٧]، وأما إحسان عباس؛ فيعرفها:((بأنها قطعة نثرية مسجوعة قصيرة الفقرات، ذات طول معين، لا تتجاوز في طولها مقام واعظ يتحدث إلى جمهوره، وفي الغالب يكون البطل متنكراً، فهي تقع بين عقد وحل قصيريّ الأمد، ويكون الحل إشباعاً للتشويق، ويصبح الانكشاف مدعاة للإريتاح وسبباً لطمأنينة النفس))[٨]، وهو بذلك يضيف تأثيرها في نفسية المتلقي.

وتبعاً لذلك، فقد استعملت الكلمة للدلالة على ألوان من القصص والمواعظ والأحاديث إلى أن تبلورت أخيراً في شكلها الفني في القرن الرابع الهجريّ عند الهمذانيّ، فكانت حكايات ((تتخذ لها راوية ظريفاً بطلاً شحاذاً محتالاً، وأسلوباً مسجوعاً في معظم الأحوال،... كما تتخذ لها من موضوعات الوعظ أو الوصف، أو المدح، أو المثالب والمهاجاة، أو الغزل، أو سوى ذلك من الموضوعات الأخرى مضموناً تعالجهُ))[٩]، كما أنّ المقامة إطار فني استوعب النثر والشعر معاً، فـ((في القرن الرابع، ابتعد "النثر الفني" الخاضع لقواعد معلنة و صارمة، عن الأشكال الأخرى للنثر، واقترب من الشعر))[١٠]، وعرفت المقامات رواجاً كبيراً، وغزت كلّ البلدان العربية، شأنها شأن القصيدة، إذ ذاع صيتها إلى أن تجاوزت حدودها العربية، واستمرت في الوجود إلى القرن العشرين، وفضلاً عن ذلك؛ فإنَّ المقامات عرفت ثلاثة أنماط من التلقي، هي:((التلقي الإحيائي، والتلقي الاستبعاديّ، والتلقي التأصيليّ، وفي كل حقبة تاريخية تكون السيادة والغلبة لنمط على آخر،... ففي النمط الإحيائي الذي يجهد من أجل إحياء المقامات وتفسيرها، وشرحها، وتحقيقها، وطباعتها،... كانت اللحظة الأخيرة من عمر هذا التلقي تشهد انبثاق نمط التلقي الاستبعاديّ كردٍّ فعل للتلقي الإحيائيّ مهيمنًا على مساحة القراءة منذ العقد الأول من

---

(٦) شرح مقامات السيوطي :١/ ٤٢-٤٤.

(٧) نفسه:١/١١٣.

(٨) ملامح يونانية في الأب العربي:١٦٥- ١٦٦.

(٩) فن المقامة في الأدب العربي:٢٢٠.

(١٠) فن المقامة في الأدب العربي:٢٢٠.

القرن العشرين،...، وما كاد العقد السادس من القرن العشرين يكتمل حتى لاح في الأفق مباشرة نمط جديد أسميناه بالتلقي التأصيلي))[١١]، وفضلاً عن ذلك نجد تصرفاً واضحاً في شكل المقامة ومضمونها عند الكتّاب المتأخرين إلى حدّ مصادفة مؤلفات لم نكن لنعدها مقامات، لو لم يلصق مؤلفها تسمية المقامات بها[١٢]، إذ وجدتُ مقامات السيوطي التي كتبها مختلفة الأنماط، بعضها أخذ طابع المناظرة، وبعضها أخذ طابع المقالة، أو النقد، أو القصة الصريحة كما في المقامة رشف الزلال، وتلتقي سائر مقامات السيوطي في غاية رئيسة هدفها أخلاقي بحت[١٣]، والمقامات جميعها ذات ألوان من المحاورات، والمفاضلات، والمناظرات بين ألوان الورد المختلفة أو ألوان الفاكهة أو أنواع الخضروات والأحجار الكريمة كل يعرض هيئته وميزيه يفاضل بها الأصناف الأخرى، والذي ينظر لهذه المقامات نظرة متعمقة يدرك أن ما تحدث عنه السيوطي في المقامات مجرد رموز أراد بها دلالات أوسع في الحياة الاجتماعية، أو الواقعية وهي تُظهر في الوقت نفسهِ جانباً من الضغط الفكري الذي عاناه المفكرون في العهد المملوكي حتى لم يعد أمامهم غير استعمال لغة الرموز[١٤] .

٢-السيوطيّ:(أ- حياتهُ ووفاته):

نظراً لشهرة السيوطيّ ولكثرة مؤلفاته لم أجد حاجة إلى الإطالة في التعريف به ، فقلما نجد كتاباً من كتبه التي حُقِقَتْ خالياً من التعريف بحياته وآثاره .

([١١])المقامات والتلقي(بحث في أنماط التلقي لمقامات الهمذاني في النقد العربي الحديث) :٤٩.

([١٢]) ينظر: فن المقامات بين المشرق والمغرب:٣١٩.

([١٣]) ينظر: نفسه:٢٤١.

([١٤]) ينظر: نفسه:٢٣٥.

هو الحافظ جلال الدين أبو الفضل، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق بن همام الدين الخضريّ الأسيوطيّ الشافعيّ، ولد في مدينة القاهرة بعد المغرب ليلة الأحد، مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة[١٥]، يقول في كتابه الاقتراح((كان مولدي بعد المغرب ليلة الأحد مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة، وحمل في حياة أبيه إلى الشيخ محمد المجدوب، رجل من الأولياء الصالحين، فبرك عليه))[١٦]، وقد تربى يتيماً؛ إذ توفي والده وعمره خمس سنوات وسبعة أشهر[١٧]، ونشأ في بيت علم وتدين، وحفظ العمدة ومنهاج الفقه والأصول وألفية ابن مالك، وشرع بالاشتغال بالعلم في مستهل سنة ٨٦٤هـ، وكان أول شيء ألفه شرح الاستعاذة والبسملة[١٨]،وكان من علماء أهل زمانه بعلم الحديث وفنونه، وأخبر عن نفسه بقوله:((رزقتُ ولله الحمد التبحر في سبعة علوم، التفسير، الحديث، الفقه، النحو، المعاني، البيان، البديع على طريقة العرب البلغاء لا على طريقة المتأخرين من المعجم وأهل الفلسفة، ودون هذه السبعة في المعرفة أصول الفقه والجدل والتصريف ودونها الإنشاء والترسل ودونها الطب))[١٩].

وظلَّ طيلة حياته مشغوفاً بالدرس، مشتغلاً بالعلم، يتلقاه عن شيوخه، الذين بلغوا نحو ستمائة شيخ، نكتفي بذكر بعض منهم مَنْ كان له تأثير كبير في تكوين شخصيته العلمية، منهم: شهاب الدين الشارمساحي، وشرف الدين المناويّ، ومحيي الدين الكافيجيّ الذي لازمه السيوطي أربع عشرة سنة، وأخذ عنه التفسير، والعربية، والأصول، والمعاني، وغيرها[٢٠]، ويعدُّ السيوطيّ أحد نحاة المدرسة المصرية، وكان هناك كثير ممن تتلمذ على يديه، وأفادوا من بحر علمه الفياض ،منهم: إبراهيم بن عبد الرحمن الشافعي، وابن مطير، والمصادي وغيرهم[٢١]، توفي السيوطي((في يوم الخميس، التاسع عشر من جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وتسعمائة))[٢٢].

([١٥])ينظر: حسن المحاضرة:١/٣٣٥،و الضوء اللامع:٤/٦٨،وبدائع الزهور:٤/٨٣، والبدر الطالع:١/٣٣٣، والكواكب السائرة:١/٢٢٨.

([١٦]) الاقتراح في علم أصول النحو:٧.

([١٧]) ينظر: حسن المحاضرة:١/١٨٨.

([١٨]) ينظر: معجم البلدان:٨٠٥- ٨٠٦.

([١٩]) الاقتراح :٩، وينظر: حسن المحاضرة :١/١٩٠.

([٢٠])ينظر: الكواكب السائرة:٢/٢٢٨، وينظر: حسن المحاضرة:١/٣٣٦-٣٣٨.

([٢١]) ينظر: حسن المحاضرة:١/٣٣٨.

([٢٢]) الاقتراح:١٢.

ب – مذهبه النثري:

اتخذ السيوطي الأسلوب العلمي والطابع السهل غير المتكلف في غالبية كتاباته، واتخذ الأسلوب الأدبي في مقاماته، الذي جعله قادراً على استيعاب المعارف العلمية، إذ أثبت جدارته في ولوج أغلب الفنون، وحاول أن يصنف مرتبته في الإنشاء قائلاً:((فلا أقول إن مرتبتي في الإنشاء والترسل تبلغ مرتبة الشهاب محمود، ولا ابن عبد الظاهر، ولا ابن فضل الله، بل هي دون ذلك في حد الوسط))[٢٣].

إمّا فيما يخصُّ مقاماته، فتعدُّ من أشهر المقامات التي ظهرت في العصور الوسطى، إذ إنَّهُ دائرة معارف دينية ودنيوية، حافلة بالآيات القرآنية والأحاديث الشريفة، ومعلومات شتى في جميع العلوم، يقول محمود رزق سليم:((ومقاماته طريفة الموضوع، نعتقد أنه لم يكتبها إلاّ بعد تفكير وروية، وبعد رغبة مبيتّةٍ في ابتداع موضوعاتها بما لم يحم حوله سابق))[٢٤]،ولمقامات السيوطي قيمة أدبية، فضلاً عن قيمتها الطبية التي تلفت الانتباه إلى التداوي بالأعشاب والنباتات في دقة علمية، ومقاماته أخذت طابع المنارات، كمقامة الرياحين، وبعضها أخذ القالب الوصفيّ، كما في مقامة روضة مصر، وبعضً آخر تبدأ بآية قرآنية عن الموضوع، كالمقامة النيلية في الرخاء والغلاء، أمَّا أسماء مقاماته؛ فقد حملت بعضها أسماء الأزهار كمقامة الرياحين، ومنها ما حمل اسم اليواقيت كالمقامة الياقوتية، ومنها حملت أسماء الأماكن، كمقامة روضة مصر، تحدث فيها عن جزيرة الروضة(مصر) التي سكنها في أواخر سني عمره، ومنها حمل طابع النقد كمقامة الكاوي في تاريخ السخاوي، وهذه التسميات لم توجد عند أصحاب المقامات قبل السيوطي، ولذلك فإن السيوطي كتب مقاماته في مختلف المناسبات التي جرت على الساحة المصرية في العصر المملوكي، وما حدث معه على صعيد حياته الشخصية، فجاءت تشخيصاً لما يحدث من ظواهر في عصره.

([٢٣]) حسن المحاضرة :٣٣٨/١، وعصر سلاطين المماليك:٤١٦/٥.

([٢٤]) عصر سلاطين المماليك:٤٢٧/٥.

٣- علم النص:

يُعدُّ علم النص(textologle) حقلاً معرفياً جديداً في الدرس اللغويّ المعاصر، ولئن كان هذا المنهج حديث النشأة في مصطلحاته ومفاهيمه؛ فإن إرهاصاته الأولى تضرب بجذورها في أعماق الفكر الغربيّ القديم((حتى أن بعض الباحثين يعود إلى العهد الأرسطي))[٢٥]، والبعض الآخر يربطه بالبلاغة ربطاً وثيقاً، إذ يرى((أنه الممثل الحديث لها))[٢٦]، في حين أن المؤسسين لهذا العلم يحاولون جعله متماهياً مع الفكر البلاغيّ.

فينادي "فان دايك"(VenDijik)"((بتحويل البلاغة إلى نظرية النص))[٢٧]،وأعلن((أن البلاغة هي السابقة التاريخية لعلم النص، إذا نحن نأخُذ في الاعتبار توجيهها العام في وصف النصوص، وتحديد وظائفها المتعددة، لكننا نؤثر علم النص؛ لأنَّ كلمة البلاغة ترتبط حالياً بأشكال أسلوبية خاصة كما كانت ترتبط بوظائف الاتصال العام ووسائل الإقناع، وإذا كانت البلاغة قد أخذت تثير الاهتمام مجدداً في الأوساط اللغوية والأدبية، فإن علم النص هو الذي يقدم الإطار العام لتلك البحوث مما يشتمل على المظاهر التقنية التي لا تزال تسمى بلاغية))[٢٨].

فيشير فينديك إلى تجديد مصطلح البلاغة؛ لأنه ارتبط بمرحلة الدراسات اللغوية القديمة التي تعتمد مفاهيم ومصطلحات، وأدوات قديمة لم تعد مواكبة مع إيقاع التطور المعرفي((فإحلال مصطلح علم النص محل البلاغة القديمة مؤشر ضروري للتحول في التاريخ العلمي، وانعطافه نحو أفق منهجي مخالف للمسار القديم))[٢٩].

كانت هذه بعض إرهاصات البحث النصي، أما عن نشأته الفعلية؛ فقد اجمع الباحثون على أنها كانت في نهاية النصف الثاني من القرن العشرين،((وذلك على يد هاريس HarrisZellig"...وتطورت تلك الدراسات النصية في السبعينات على يد فينديك الذي يعدُّ مؤسس علم النص)) [٣٠]،وهاليداي ورقية

([٢٥])الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب:٤٣.

([٢٦]) بلاغة الخطاب وعلم النص. د. صلاح فضل:٥.

([٢٧]) نفسه:٢٢٣.

([٢٨]) نفسه:٣٢٦.

([٢٩]) نفسه:٣٢٦.

([٣٠]) نحو النص (اتجاه جديد في الدرس النحوي):١١.

حسن(M٠A٠K٠Halliday,R٠Hasan) في كتابيهما الاتساق في اللغة الانجليزية " Cohesion in English" وعرفت هذه الدراسات بعدِّها منهجاً كبيراً على يد دي بوجراند ودريسلر(Robert de Beaugrand et wolf Dresslar)،وهذه الأبحاث ساعدت على الانتقال إلى مستوى تحليلي أكبر هو مستوى النص، بعد أن أثبتت لسانيات الجملة محدوديتها في وصف بعض الظواهر التي تتجاوز حدود الجملة بعدِّها لا تتوفر على وسائل كافية لمقاربة هذه الظواهر، وفضلاً عن ذلك فإنَّ((كثيرًا من الظواهر التركيبية لم تفسر في إطار نحو الجملة تفسيراً كافياً مقنعاً، وكذلك الوصف في اللسانيات المعاصرة يمكن أن يعالج بطريقة أفضل إذا تم وصفه من جهة العلاقات القائمة بين الجمل في نص يتصف بالتماسك، لهذا أصبح عند كثير من اللسانيين المعاصرين ضرورة لا اختياراً))[٣١].

وفضلاً عن ذلك؛ فإنَّ السبب الذي أدى للانتقال من مستوى الجملة إلى مستوى النص هو أنّ الجملة في المناهج البنيوية((نالت كفايتها من التمحيص والدراسة من جميع نواحيها، وأن الوقت حان للانتقال إلى دراسة ظواهر لغوية أخرى، وهي النصوص بجميع أنواعها))[٣٢]، إلاّ أنّ هذا لا يعني أن ننظر إلى لسانيات الجملة على أنها علم نضج واحترق، وأن علينا أن نتجاوزه إلى واقع علمي جديد[٣٣]، بعد أن اكتشف علماء النص التداخلات المتشابكة بينه وبين علم النص؛ فالسياق الذي يُعدّ أهم فارق بينهما، نجده كذلك متضمنا في الجملة، إذ إنَّ الفكرة القائلة بإمكان تحليل سلسلة لغوية (جملة– مثلاً) تحليلاً كاملاً من دون مراعاة للسياق، قد أصبحت في السنوات الأخيرة محل شك كبير[٣٤] .

ويمكن أن نعزو نشأة هذا العلم إلى الرغبة الجامحة التي تملّكت علماء اللغة في تحقيق نوع من الكمال على مستوى التحليل النصي، ووضع منهج يستوعب الظاهرة اللغوية في جميع جوانبها؛ فهم أدركوا جيداً النقائص الكامنة في المناهج السابقة لهذا المنهج، فشكلوا بذلك منهجًا جديدًا هجينًا، ومنفتحًا على العلوم الإنسانية الأخرى، والمعارف البشرية هو منهج علم النص، مهمته كما يرى صلاح فضل – وصف ((العلاقات الداخلية والخارجية للأبنية النصية بمستوياتها المختلفة))[٣٥].

وحاول بعض الباحثين العرب تأصيل هذا المنهج في ضوء التراث العربي القديم، إذ أنجزوا دراسات حوله، وكانت أغلبها تدور في فلك واحد، وهو الموازنة بين المبادئ الغربية التي جاء بها التي تصله بانسجام النصّ،

([٣١]) علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات:١٤٣.

([٣٢]) مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه:٦٦.

([٣٣]) ينظر: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي:٦٩.

([٣٤]) ينظر: تحليل الخطاب (بروان ويول):٣٢.

([٣٥])بلاغة الخطاب وعلم النص:٣١٩.

والمعلومات المبعثرة في بعض المباحث العربية القديمة كالبلاغة والنقد والتفسير، وهذه المحاولة للربط بين التراث والنظريات الغربية المعاصرة ، وهذا الربط يحتاج إلى فهم صحيح للقيم التراثية، وإلى معايشة واعية لمعطيات العصر الحديثة اللغوية والفكرية والثقافية، فلا يتعبد الباحث في محراب التراث منطوياً على نفسه غير عابئ بالحركات الفكرية في عصره، ولا ينجرف وراء التيارات الفكرية المعاصرة منصرفاً عما في تراثه من قيم فكرية ولغوية[٣٦].

وخلصت هذه المحاولات إلى أن دراسة انسجام النصوص الأدبية لم يكن غريباً عن الدرس النقدي العربي القديم إلاّ في الجهد،فقد كان فيها منصباً((على المستوى النحوي أو التركيبي القريب، دون أن يتجاوزه إلى النطاق الدلالي للفقرة الكاملة أو المتتالية النصية، فضلاً عن أنه لم يشمل نصاً تاماً في البلاغة القديمة، اللهم باستثناء حالة فريدة لم تتكرر...نجدها عند البلاغي حازم القرطاجني في تحليله لأجزاء القصيدة))[٣٧].

ولما كان هذا العلم موضوعهُ الأساسي النص، يجدر بنا الإشارة بإيجاز إلى بعض التعريفات التي قدمت له من لدن علماء النص التي تتناسب مع طبيعة مفهوم المقامة، فلم يحظ النص بتعريف موحد- ككثير من المصطلحات- فكل باحث يسلط الضوء على الجهة التي تتفق مع رؤيته المنهجية والمعرفية، فإذا نظرنا إلى تعريف جوليا كريستيفا(Julla Kristeva) للنص، نجدها تركز في البعد التناصي له؛ فهي تحدد النص((كجهاز عبر لساني يعيد توزيع نظام اللسان بكشف العلاقة بين الكلمات التواصلية، مشيرة إلى سياقات مباشرة، تربطها بأنماط مختلفة من الأقوال السابقة والمتزامنة معها، والنص نتيجة لذلك، إنَّما هو عملية إنتاجية))[٣٨]، وهناك مَنْ يرى أنَّ النص مصطلح يطلق على المكتوب والملفوظ، وتظهر ملامح هذا التعريف على سبيل المثال- عند جان ماري سشايفر، وجورج مونان، شلوميت، وهاليداي ورقية حسن، وهيلمسلاف[٣٩]، فيعرفه جان ماري سشايفر بأنه((سلسلة لسانية محكية أو مكتوبة وتشكل وحدة تواصلية))[٤٠].

وذكر كلٌّ من هاليداي ورقية حسن أنَّ كلمة نصٌّ تُشير((إلى أيِّ فقرة مكتوبة أو منطوقة مهما كانت طولها، شريطة أن تكون وحدة متكاملة))[٤١]، وغير بعيد عن هذا التصوّر يحدد فان دايك النصّ بأنه((منطوقات لغوية مكتوبة مطبوعة، تستند إلى وصف نحوي أكثر ثراء لأبنية المنطوقة اللغوية))[٤٢]، فإذا أنعمنا النظر في هذه

([٣٦]) ينظر: نحو النص بين الأصالة والحداثة:١٧٨.

([٣٧]) بلاغة الخطاب وعلم النص:٢٤٤.

([٣٨]) علم النص: جوليا كريستيفا: ترجمة فريد الزاهي :٢١.

([٣٩]) ينظر: العلاماتية وعلم النص، منذر عيّاشي: ١١٩،ومعجم اللسانيات، جورج مونان: ٤٦٦، وانفتاح النص الروائي، سعيد يقطين:١١، ونحو النص، د. أحمد عفيفي:٢٢، ومن لسانيات الجملة إلى علم النّص (بحث منشور): ٢٣، ٢٨.

([٤٠])العلاماتيّة وعلم النّص: ١١٩.

([٤١])نحو النص، د. أحمد عفيفي: ٢٢.

([٤٢]) علم النص(مدخل متداخل الاختصاصات):٧٤.

التعريفات نجدها تطلق على المكتوب، وعلى المنطوق(الشفوي)مع الاحتفاظ بتماسك أبنيته، وتحقيق وظيفته الاتصالية بين المبدع والمتلقي.

وثَّمة تعريفات تنظر إلى النصّ على أنه المكتوب فقط، ومن القائلين بهذا الرأي– على سبيل المثال– بول ليكور فقد عرّف النص بأنه((كل خطاب تثبته الكتابة))[٤٣]، وكذلك عند رولان بارت، فقال: إنّ النصّ هو الكتابة[٤٤]، ومن تطبيقاته في الدراسات العربية قول رشيد بن جدو:إنَّ النص((ما تنقرئ فيه الكتابة وتتكتب فيه القراءة))[٤٥]،وقد اتخذ المسلك نفسه كل من بشير إبرير والدكتور محمد مفتاح[٤٦].

أما سعد مصلوح؛ فيعرف النص بأنه سلسلة من الجمل، كُلّ منها يفيد السامع فائدة يحسن السكوت عليها[٤٧]، ويعقب أحمد عفيفي على هذا التعريف قائلاً: إنَّ الجمل فيه تفقد خاصية الاتصال أو خاصية ارتباطها في سياق خطابي[٤٨]، ويعرف لفارنيش (H.Weirnich) النص بأنه((وحدة كلية مترابطة الأجزاء فالجمل يتبع بعضها بعضاً وفقاً لنظام سديد؛ بحيث تسهم كل جملة في فهم الجملة التي تليها كما تسهم الجملة التالية في فهم الجملة السابقة عليها فهماً أفضل))[٤٩]، ولفارنيش يشير في تعريفه إلى الارتباط الأفقي في النص، وهو ما يقابل مصطلح الاتساق.

أما "بريكتر"(H.Brinker)؛ فيسلط الضوء في تعريفه للنص على العلاقات الدلالية والمنطقية المتضمنة فيه، فيرى أن النص هو((مجموعة منظمة من القضايا أو المركبات القضوية يترابط بعضها مع بعض على أساس محوري – موضوعي من خلال علاقات منطقية دلالية))[٥٠]، وبرينكر يُشير هنا إلى مصطلح الانسجام.

وهارتمان(P.Hertman) نجده يركز في تعريفه للنصِّ في الجانب التواصليّ فهو((علاقة لغوية أصلية تبرز الجانب الاتصاليّ والسيميائيّ))[٥١]، ومن هذه التعريفات نخلص إلى أهم العناصر المتوافرة في النصِّ وهي على الترتيب:

الجانب التناصيّ.

الجانب الاتساقيّ.

الجانب الدلاليّ.

([٤٣]) من النص إلى الفعل(أبحاث التأويل)،بول ليكور:١٠٥.

([٤٤])ينظر: لذة النص، رولان بارت: ٢٨.

([٤٥])من لسانيات الجملة إلى علم النص: ٢١.

([٤٦])ينظر: نفسه: ٢٨، وتحليل الخطاب الشعري، د. محمد مفتاح: ١٢٠.

([٤٧]) ينظر: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي:٢٤.

([٤٨]) ينظر: نفسه:٢٤.

([٤٩]) نفسه:٢٤– ٢٥.

([٥٠]) علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات:١١.

([٥١])علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات:١٠٨.

الجانب الاتصاليّ.

وهذه الجوانب جميعها، نجدها متحققة في تعريف"دي بوجراند ودريسلر" للنص؛فهو عندهُ ((حدث تواصليّ يلزم لكونه نصاً ، أن يتوفر له سبعة معايير للنصية مجتمعة، ويزول عنه هذا الوصف، إذا تخلف واحد من هذه المعايير))[٥٢]، وهذه المعايير ستكون موضوع دراستنا في المقامات.

وستقوم الدراسة على تعريف للنصّ يوافق طبيعتها، أو على الأقل يتمتع بأكبر قدر متاح من الدقة والشمولية، وهو تعريف سمير حجازي في الملحق الخاص بالمصطلحات الأدبية ضمن كتابه(المدخل في مناهج النقد الأدبي)، فالنص عنده((نتاج تاريخي للكتابة التي تم تنظيمها وفق بداية ونهاية، أو كل ما يبدي قابلية لبناء بنية داخلية، تتميز بقدر من المتانة، تمكنها من مقاومة الوقائع اللسانية الاجتماعية والنفسية، أما الكتابة، فتتميز بالانفتاح، والسيولة، وقوة النفوذ أمام مختلف المؤثرات الخارجية))[٥٣]، وهذا التعريف يركز في الطابع الكتابيّ للنصّ من جانب، ويشير من جانب آخر إلى المعايير النصية التي أفردها دي بوجراند، وسارت عليه كلّ الدراسات في علم النص، فالنص عندنا هو المكتوب والمنطوق، وكلّ ذلك ينسجم مع مقامات جلال الدين السيوطي.

وبعد هذا العرض لهذا المفهوم، فقد تبادر إلى الذهن سؤال مهم هل المقامات نصوص؟ علماً أن الجواب عن هذا السؤال يحدد صحة هذه الدراسة من عدمها، لقد استقر عندنا في ضوء التعريف الذي تبناه البحث أن النص هو المكتوب والمنطوق، ووفاقاً لهذا الفهم، فالمقامات نصوص لا إشكال في ذلك؛ لأنها مكتوبة منطوقة.

([٥٢]) نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي:٧٥.

([٥٣])مدخل إلى مناهج النقد الأدبي المعاصر مع ملحق قاموس المصطلحات الأدبية، د. سمير حجازي:١٦٦.

الفصل الأول
الاتساق النّصيّ وآلياته

ويتضمن:

-توطئة

المبحث الأول:الاتساق الصوتي والعجمي

المبحث الثاني: الاتساق النحويّ

الفصل الأول

الاتساق النصي وآلياته

توطئة :

إن الاتساق النصيّ هو موضوع أساس في اللسانيات الحديثة التي أخذت على عاتقها في سبيل التكونّ والتأسيس والتطور، الانطلاق من فرضية التوسع، إذ توجب عليها الانتقال من دراسة الجملة بوصفها وحدة لغوية كبرى، تبنى عليها نظريات اللغة ومدارسها وإتجاهاتها، إلى النص؛ بوصفه ممثلاً شرعياً للغة، يمتاز بكل خصائص ومميزات الاتساق والانسجام.

وهو ما تقوم عليه كل الدراسات الحديثة والابحاث اللغوية المعاصرة، لأنه بنية منتظمة متسقة ومنسجمة، تحتكم إلى علاقات معينة بين متتالياتها الجملية في أداء معناها، بالصورة التي تكون فيه قابلة للقراءة والفهم والتأويل؛ إذ يمثل الاتساق المعيار الأول من المعايير النصية السبعة التي وضعها (دي بوجراند) وقد نال هذا المصطلح عناية كبيرة من قبل اللسانيين النصيين، بتوضيح مفهومه وأدواته وإبراز عوامله وشروطه، ولم يتفق الباحثون

والدارسون حول المصطلح العربي المقابل له. والمخطط الآتي يوضح المصطلحات العربية المقابلة للمصطلح الإنكليزي (COHESION) التي وضعها الباحثون والدارسون.

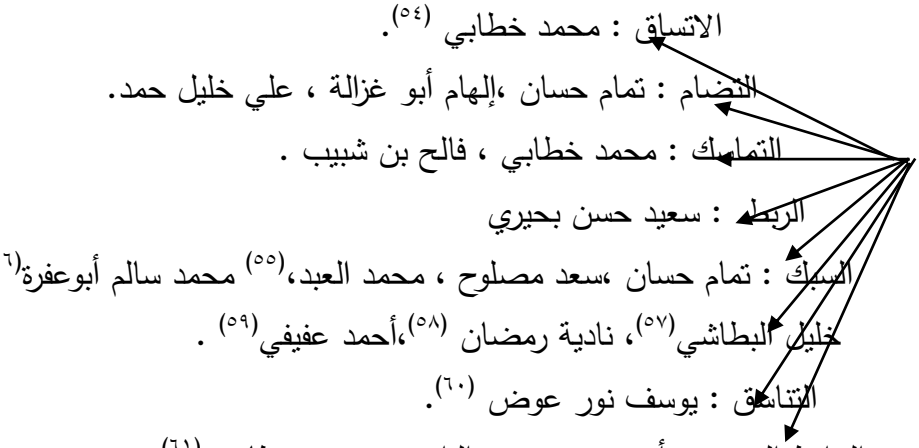

ولم يكتب الشيوع والانتشار لأيِّ مصطلح كما كُتِبَ للاتساق ،وذلك لتداوله ، وقرب هذه الترجمة إلى المفهوم المراد ، فضلاً عن كثرة شيوعه في الدّرس اللسانيّ الحديث[٦٢]؛ولأنَّ مصطلح الاتساق، من معانيه في العربية الجمع والانضمام والامتلاء والانتظام، ولكون محمد خطابي أول مؤلف استعمل مصطلح (الاتساق) في كتابة لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب لذلك استعملت هذه التسمية دون غيره بسبب الشيوع والقدم كما أسلفنا.

والحقيقة أنه لامشّاحة في تعدد التسميات للمسمى الواحد، إذ كل تسمية تعبر عن وجهة نظر الباحث أو الدارس في النظرة الوظيفية التي يؤديها هذا المصطلح؛ لأنها تشير إلى معنى الترابط أو التماسك بين الكلمات أو الجمل وغيرهما من أجزاء النص، إذ لا يتحقق ذلك في نص ما إلا باستعمال العناصر اللغوية التي تساعد على ذلك، فالمتكلم (المرسل) يهدف عند صياغته نصاً لغوياً إلى إرسال رسالة للمخاطب (المتلقي)، وقد تعبر تلك الرسالة عن انفعال أو شعور القائل تجاه أمر معين، وهو ما يوضحه المخطط الآتي[٦٣]:

([٥٤])ينظر : لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب : محمد خطابي: ١١، وهذا الرأي هو متابعة لهاليداي ورقية حسن في كتابهما الاتساق في الإنجليزية الذي كان كتابه لسانيات النص عبارة عن شرح لهذا الكتاب .

([٥٥]) ينظر :الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم : ١٤١ .

([٥٦])ينظر: السبك في العربية المعاصرة :محمد سالم أبو عفرة : ٢.

([٥٧]) ينظر : علم لغة النص والأسلوب: نادية رمضان : ٢٦ .

([٥٨]) ينظر :الترابط النصي في ضوء التحليل النصي للخطاب: خليل البطاشي : ٦٦

([٥٩]) نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي : ٩٠.

([٦٠]) ينظر: علم النص ونظرية الترجمة : يوسف نور: ٤٩ .

([٦١]) ينظر: نحو النص بين الأصالة والحداثة :احمد الراضي: ٨٦ .

([٦٢]) ينظر : مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه: ٨٤ .

([٢]) ينظر: لسانيات النص، محمد خطابي: ١٢، من أنواع التماسك النصي (التكرار، الضمير، العطف) (بحث منشور): أ. م. مراد حميد عبد الله: ٥١.

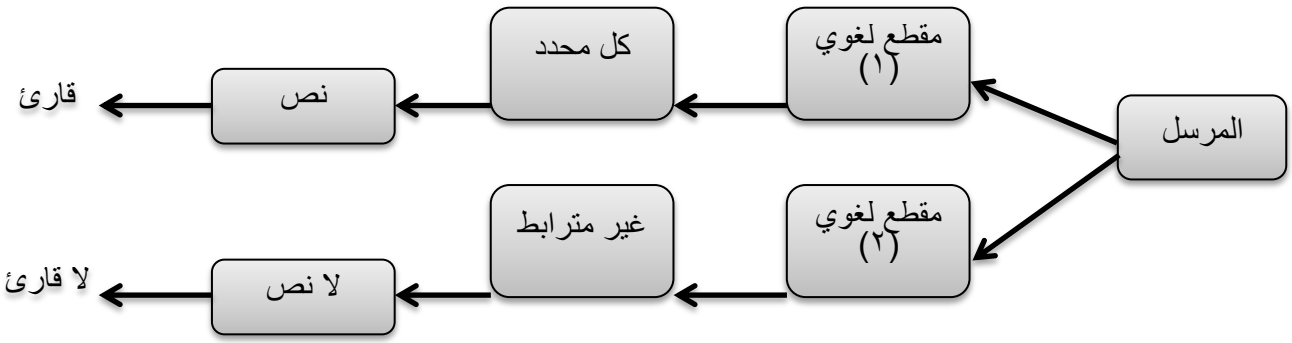

ما يلحظ على هذا المخطط أنَّ الاتساق شرط ضروري لتحديد ما هو نص وما هو ليس نصاً، فإذا توافرت وسائله كان المقطع اللغويّ كلاً موحدًا، وإذا افتقر إليها أصبح جملاً غير مترابطة (لا نص) وهذا يؤدي بالقارئ إلى رفضه، لعدم فهمه، وذلك لغياب الاتساق، ولعل هذا ما قصده ابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ) بقوله في باب النظم: ((إذا كان متنافراً متبايناً عسر حفظه، وثقل على اللسان النطق به، ومَجَّتْهُ المسامع، فلم يستقر فيها منه شيء))[٦٤]؛ ففي المقولة إشارة إلى الاتساق[*] في الكلام لكنه يختلف عن الوحدة العامة للنص التي نتوصل إليها عن طريق الأنماط التنظيمية الكبرى لجميع الأفكار في النص. ويتبنى البحث الفهم الذي يجعل الاتساق مرتبطاً بالجانب الشكليّ للترابط النصي جاعلاً الاتساق بوصفه أقدم مصطلح عربي مقابلاً للمصطلح الانكليزي (COHESION).

أما مفهوم الاتساق عند النصيين؛ فهو ((ما يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحيّة على هيئة وقائع يؤدي السابق منها اللاحق، بحيث يتحقق لها الترابط الرصفيّ، إذ يمكن استعادة هذا الترابط على هيئة نحوية للمركبات والتراكيب والجمل، وعلى أمور، مثل: التكرار، والألفاظ الكنائيّة، والإحالة المشتركة (Co–reference)، والحذف والروابط))[٦٥]، أو هو ((خاصية دلالية للخطاب؛ تعتمد على فهم كل جملة مكونة للنص في علاقتها بما يفهم في الجمل الأخرى))[٦٦]، وبذلك فالاتساق مظهر من مظاهر عملية إنتاج النص الكبرى التي تشتمل على عناصر أخرى سياقية.

ويرى أسامة عبد العزيز جاب الله أنّ الاتساق هو ذلك التماسك بين الأجزاء المشكلة لنص ما، ويكون مناط العناية فيه منصباً على الوسائل اللغوية التي تربط بين العناصر المكونة للنص، مثل: الإحالة، والعطف، والضمائر، والاستبدال، والحذف، والمقارنة، وغيرها من الوسائل، ويرى أنّه إحكام علاقات الأجزاء، ووسيلة ذلك إحسان استعمال المناسبة المعجمية من جهة، وقرينة الرّبط النحوي من جهة أخرى، واستصحاب الرتب النحوية، حيث تدعو دواعي الاختيار الأسلوبيّ، ورعاية الاختصاص، والافتقار في تركيب الجمل[٦٧].

([٣]) العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده، ابن رشيق القيرواني: ٢٥٧/١

(*) إن أول من أطلقه هو د. محمد خطابي في (لسانيات النص) ويعد كتابه هذا من أقدم مصادر الدراسات النصية الحديثة.

([٦٥]) الاتساق في العربية: ٢٧، ينظر: الإحالة دراسة نظرية: ٩٠.

([٦٦]) بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل: ٢٤٥.

([٦٧]) ينظر: نظرات في مصطلحات اللسانيات، د. أسامة عبد العزيز جاب الله، www.alfaseeh.com.

وفي إطار هذه المعالجات؛ فإنّ البحث سيعمد إلى الكشف عن وسائل الاتساق الموجودة في مقامات السيوطيّ من النظر إلى بنية النصّ من الداخل، وهذا يقتضي وضعاً وتحليلاً للنظام الذي تأتلف فيه البنى النصية، بحيث يتم تمحيص علاقات الارتباط الأفقية التي تنشأ بين مكوناتها، وبيان مقوّماتها التي تحكم النص[٦٨].

وبعد هذا العرض الموجز لبعض مفاهيم الاتساق أقول إنَّ الاتساق يمثل دعامة أساسية من دعائم الدرس النصيّ، ويدرس الروابط التي تجعل من النص متسقًا، فهو يتصل بالاتساق النصي داخل النص، ويرتبط بالوسائل والروابط الصوتية السطحية، أذن هو مصطلح لصيق بدراسة البنية السطحية للنص، وتتحدد مهمته في توفر عناصر الالتحام، وتحقيق الترابط بين بداية النص وآخره من دون الفصل بين المستويات اللغوية المختلفة، هذا الترابط هو الذي يخلق بنية النص، ويحقق استمراريته.

وقد اختلف الدراسون في تحديد وسائل الاتساق النصي، لذلك اعتمدت على نصوص المقامات في تحديدها، وهي تتوزع على ثلاثة مستويات (صوتيّ، معجميّ، نحوي)، وكل منها يرتكز على وسائل عدّة ومظاهر لغوية تنسج العلاقات بين البنى الداخلية وبين وظائفها:

المبحث الأول

الاتساق الصوتيّ والمعجميّ

أولاً: الاتساق الصوتي:

توطئة:

من المعروف أنّ اللغات تختلف في نظامها اللغوي العام، فلكل لغة خصائصها التي تميزها من غيرها من اللغات، وعلى ذلك فإن العناصر الصوتية تختلف من لغة لأخرى. فضلاً عن ذلك فإنّ اللغة العربية لغة ذات طبيعة ايحائية، إذ إنّ ((لكل نوع من الحروف والأصوات وظيفة في تكوين المعنى وتثبيت أصله وتنويع شكله

([٦٨]) ينظر: نسيج النص: ٢٥، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، د. مصطفى حميدة: ٢.

وألوانه مع تناسب بين أصوات اللغة وأصوات الطبيعة وتوافق بين الصورة اللفظية والصورة المعنوية المقصودة))[٦٩].

صبَّتْ الدراساتُ الغربيةُ في علم النَّصِّ جُلَّ عنايتِها على وسائلِ الربطِ المعجمي والنحوي ، ولم تلتفتْ إلى الاتساق الصوتي وأدواته كثيراً إلَّا ما جاء منه عند ديبوجراند ودريسلر من إشاراتٍ قليلةٍ إلى مصطلحات الوزن والقافية والتنغيم وأهمِّيَّتِها في سبك النصوص[٧٠] . وقد سار أغلب الباحثين العرب على هذا ، حتى تنبَّه بعضُهم مؤخَّراً إلى أنَّ ما جاء في كتب البلاغة العربية عن السَّجْع والجناس ، وعلاقة الفقرات المسجوعة والمتجانسة ببعضها صوتياً مما يمكن دراسته في علم النص تحت مصطلح الاتساق الصوتي ، بعد دمجها بالإشارات التي جاء بها ديبوجراند ودريسلر فضلاً عن إضافة عنصرين آخرين عدُّوهما من وسائل الربط الصوتي وهما : التوازي ، واللزوم[٧١] .

ويظهر أنَّ سبب عدم التفات علماء النص الغربيين إلى عنصري السجْع والجناس –وهو ما يراه الدكتور حسام أحمد فرج– أنَّهما مقصوران على اللغة العربية دون غيرها من اللغات[٧٢] . أما في الدارسات العربية، فقد عَنِيَ الباحثون بترجمة النتاج الغربي في اللسانيات النصية أوَّلاً ، قبل البدء بمرحلة التأليف والتأصيل في التراث والتطبيق على النصوص العربية وإضافة ما يمكن إضافته إلى هذا العلم ؛ لذلك جاء الحديث عن الاتساق الصوتي ووسائله متأخراً عندهم .

يتبيَّن مما سبق اقتراب مصطلح الاتساق الصوتي من علم البديع ، أحد علوم البلاغة العربية الثلاثة، الذي استقر الأمر به سابقاً أنَّ وظيفته هي تحسين الكلام[٧٣]، ولكن ما لبث أن أصبح له عند المحدثين ((أُفقٌ جديد من منظور اللسانيات النصّية ، وهو فاعلية البديع في ربط أجزاء النص))[٧٤].

أما فائدة هذه الوسائل البديعة في الدراسات النصِّيَّة فهي تكمنُ في أنَّها يمكن أنْ تُصَيِّرَ النصوصَ المقروءة والمسموعة نصوصاً متَّسقة صوتياً ، بما تضفيه عليها من جمالية موسيقية ، ونمط إيقاعي منتظم[٧٥] ، يبرزهما تكرار الأصوات ، مكوناً وحدة صوتية في النص الواحد ، أو توازي الكلمات والجمل في المقاطع والتراكيب، ما

---

(٦٩) فقه اللغة وخصائص العربية، د. محمد المبارك: ٢٦٣.

(٧٠) ينظر : مدخل إلى علم لغة النص تطبيقات لنظرية روبرت ديبوجراند وولفجانج دريسلر ، د. إلهام أبو غزالة ، وعلي خليل حمد : ١١٥ – ١١٨، وعلم لغة النص النظرية والتطبيق، عزة شبل محمد : ١٢٥ ، ونظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري: ١١٦ .

(٧١) يُنظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: ١٢٥– ١٤١، ونظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري: ١١٦ – ١٢٦ .

(٧٢) ينظر : نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري : ١١٧ .

(٧٣) يُنظر : مفتاح العلوم : ٥٣٢ ، وجواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، السيد أحمد الهاشمي : ٢٩٨ .

(٧٤) البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية : ٧ .

(٧٥) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: ١٢٠ .

يجعل المؤدي والمتلقي يستمتعُ بهذه النصوص ، ويُقرِّبُ إليه بالاشتراك مع وسائل الاتساق الأخر – النحوية والمعجمية – الوصول إلى الغرض المنشود من الرسالة (معنى النص) .

١- السجع :

هو تواطؤ الفواصل بين النثر على حرف واحد، أي الأصل فيه الاعتدال في مقاطع الكلام[٧٦]،ومعناه في ألسنة علماء البيان اتفاق الفواصل في الكلام المنثور في الحرف أو الوزن أو في مجموعهما[٧٧]، والسجع في النثر كالقافية في الشعر[٧٨]،ويستعمل من الناحية الشكلية المتمثلة في الزخرف اللفظيّ لتزيين الأسلوب[٧٩]،وهو يُسهم مباشرةً في جعل المتلقي قادراً على الحفظ[٨٠]، وتعد النهايات المتشابهة التي يخلقها السجع من الوسائل القوية لإقناع المتلقي، والاقتناع عن طريق السجع من المفاهيم الثابتة في الثقافة العربية خاصة، إ ذا كان بين الكلمتين المسجوعتين علاقة دلالية، وتكون الأسجاع ساكنة موقفا عليها؛ لأنّ الغرض من ذلك أنْ يُزاوج بينها[٨١]،والمقامات زخرت بالسجع، الذي أضفى نغماً موسيقياً للنصّ، فشدَّ انتباه القارئ، وعمد إليه السيوطيّ في مقاماته؛ ليزيد في قوة اتساق نصوص المقامات وترابط أجزائها، ومن أنواع السجع في المقامات ما يأتي:

النوع الأول: السجع المطرف:

هو ما تتفق فيه الكلمتان في حروف السجع لا الوزن، أي أن يُراعى الحرف الأخير في الكلمتين قرينتين من غير مراعاة الوزن[٨٢]، وقد ورد هذا النوع في المقامات بنحو كثيرًا، ومن الأمثلة على ذلك قولُهُ:

١-((**فقامَ النرجسُ على ساقٍ، ورمى الورد منهُ بالأحداقِ، وقالَ: تجاوزت الحدَ يا وردُ، وزعمَت أنّكَ جمعٌ في فَرْدٍ**))[٨٣]،وقع السجع في لفظتي(**ساق، الأحداق**)،و(**تجاوزت، زعمت**)،و(**الحد، ورد، فرد**).

٢-((**قالَ البانُ: ودهنيٍّ نافعٌ لموضعِ كُلِّ وجعٍ باردٍ، وتحتِّ ذلك صورٌ كثيرةُ المواردِ، من الرأسِ والأذنِ، والضرسِ، و فقارَ المفلوجِ**))[٨٤]،وتحقق السجع في كلمتي(**بارد، الموارد**).

([٧٦])ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر:٢١٠/١.

([٧٧]) ينظر: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز:٣-١٨-١٩.

([٧٨]) ينظر: مفتاح العلوم:٤٣١، والإيضاح في علوم البلاغة:٥٤٧/٢،و أسرار البلاغة:١١-١٦.

([٧٩]) ينظر: استراتيجيات الخطاب(مقاربة لغوية تداولية):٤٩٨.

([٨٠])ينظر: الاتساق في نهج البلاغة دراسة في ضوء لسانيات النص(رسالة ماجستير) رائدة ناظم:٩-١١.

([٨١])ينظر: نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري:١١٧.

([٨٢]) ينظر: نهاية الأرب في فنون الأدب:١٠٥/٧.

([٨٣]) المقامات:٢١.

([٨٤]) نفسه :٢٨.

٣-((**روضةٌ ذاتَ محاسنَ، فيها أنهارٌ من ماءٍ غيرِ آسنٍ، وأشجارٌ تُنْبِتُ أفانينَ الأحاسنِ، وأزهارٌ مابين مفتوحِ العينِ ووَسنٍ، أطيارٌ ترنمَتْ بلغاتٍ يعجبُ منها كُلُّ فصيحٍ ولَسنُ**))[٨٥]، وقع السجع على طول هذا النص بتكرار حرف النون مما أعطى للنصّ نغمة موسيقية، وفضلاً عن ذلك حققت الاتساق الصوتي بين أجزاء النصّ، والكلمات التي وقع بينها السجع هي (**محاسن، آسن**)،(**الأحاسن، وسن، لسن**).

النوع الثاني: سجع الترصيع:

وهو أن يتفق آخر القرينة من اللفظ مع نظيرتها في الوزن والروي[٨٦]،ويعني ذلك مقابلة كل لفظ على وزنه ورويه ((فهو أحسن وجوه السّجع))[٨٧]، والغاية من استعمال مثل هذا النوع من السّجع هي ((المقاربة بين الكلام بما يشبه بعضه بعضاً))[٨٨]،((وهو أن الألفاظ مستوية الأوزان متّفقة الأعجاز))[٨٩]، وهذا النوع من السجع نجد صورته حاضرة في جميع مقامات السيوطي، وسنذكر بعض النماذج التي تؤكد هذه الصورة من السجع كما يأتي:

١-((**الزعفران :أنت ثالثُ المراتبِ ،ثابتُ المناقبِ، حبيبٌ لكُلِّ صاحبٍ ، لذيلِ الفضلِ ساحبِ**))[٩٠]، نلحظ الترابط بين الألفاظ المسجوعة، وكيف أنّها جاءت متسقة على نسق واحد، ممّا أسهم في الاتساق الصوتي عن طريق الوزن والروي في كلمتي (المراتب، المناقب)، و(صاحب ، ساحب).

٢-((**بنى اللهُ جنةَ عدْنٍ مِنْ ياقوتةٍ حمراءٍ، ولَبِنَةً من زبرجدةٍ خضراءٍ، ولبنةً من درةٍ بيضاءٍ**))، تحقق الاتساق الصوتيّ في هذا المثال، ممّا نلحظه في الألفاظ المتساوية الأوزان ، إذ إنَّ جميع الألفاظ على وزن واحد وهو(**فعلاء**)، وكذلك متفقة الإعجاز كما هو في الألفاظ(**حمراء، خضراء، بيضاء**)، وفي هذا المثال استعمل السيوطيّ سلاسل من السجع، اي استمرار السجع لأكثر من كلمتين، وهذا يدلُّ على قوة الاتساق الصوتي في اتساق نصوص المقامات وترابط أجزائها، والسجع إمّا أنْ يكون قصيراً ، وهو أنْ تكون كل واحدة من السجعتين مؤلّفة من ألفاظ قليلة ، وكُلّما قلّت الألفاظ كان أحسن ؛ لقرب الفواصل المسجوعة من سمع السامع ، وهذا النوع أوعر السجع ، وأبعد متناولا ولا يكاد استعماله يجيء إلّا

---

(٨٥) نفسه :١٨٣.

(٨٦)ينظر: زهرة الربيع في شواهد البديع:١٠٣.

(٨٧) كتاب الصناعتين: ٢٦٣.

(٨٨) نقد الشعر، قدامة بن جعفر: ٨٥.

(٨٩) نهاية الأرب في فنون الأدب:١٠٤/٧،ونهاية الإيجاز في دراسة الإعجاز: ٧١، وينظر: مفتاح العلوم، السكاكي: ٢٠٣.

(٩٠) المقامات:٦٩.

نادرًا ؛ وذلك لأنّ المعنى إذا صِيغ بألفاظ قصيرة يصعب إتيان السجع فيه ؛ لقصر تلك الألفاظ ، والطويل هو ضد الأوّل[٩١]، ومن السجع القصير كما في قوله :((**كانتْ دارُ ملكٍ وخلافةٍ، ومسكنُ علماءٍ أعلامٍ ومجلسُ قضاةٍ وحكامٍ**))[٩٢]، أو طويل كقوله((**فمن سبقَتْ لـهُ السعادةُ أطاعَ ودخلَ الجنانُ، ومن سبقَتْ لهُ الشقاوةُ عصى وأدخلَ النيرانَ**))[٩٣]، وكذلك متوسط كقوله :((**فسرَ قومٌ من العلماءِ الثمراتِ بالأولادِ؛ لأنَّهُم ثمراتُ الفؤادِ والأكبادِ، ومصابُهُم أعظمُ مصاب**))[٩٤].

٢-الجناس :

هو فن من فنون علم البديع، ومُحَسِّن من مُحَسِّناتِه اللفظية، إذ قيل فيه إنَّهُ:((من الحلى اللفظية والألوان البديعية التي لها تأثير بليغ، تجذب السامعَ، وتحدثُ في نفسِه ميلاً إلى الإصغاءِ والتَّلَذُّذِ بنغمتِه العذبة، وتجعلُ العبارةَ على الأُذنِ سهلةً ومستساغةً، فتجدُ من النفس القبول، وتتأثرُ به أيَّ تأثير، وتقع من القلب أحسن موقع))[٩٥]، ولم يختلف البلاغيون جميعهم في مفهوم الجناس، إذ إنَّهُ اتفاقُ لفظين أو أكثر في أنواع الحروف، وأعدادها،وهيآتها، وترتيبها، أو في بعضها، مع اختلافهما في المعنى[٩٦]، وفي مصطلح علماء البيان((هو أن تتّفق اللفظتان في وجه من الوجوه ويختلف معناها))[٩٧]، و يضفي هذا الفنُّ البديعي الاتساق والانسجام على النصوص التي يَرِدُ فيها، ولهذا أنتبه االبلاغيون القدامى عليه؛ لأهميتِه، ودليل ذلك إطلاقُهم مصطلحَ الجناس

([٩١]) ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ١/٢٥٧ــ ٢٥٨ .

([٩٢]) المقامات:١٨٨.

([٩٣]) نفسه:٢٥٠.

([٩٤]) نفسه :٢١٨.

([٩٥])البديع في ضوء أساليب القرآن:١٨٥.

([٩٦]) ينظر: البديع : ٢٥، والصناعتين:٣٢١،والعمدة في محاسن الشعر، وآدابه، ونقده،:١/٣٢١، فن الجناس بلاغة-أدب-نقد:٣، والبديع في ضوء أساليب القرآن:١٥٩.

([٩٧])الطراز:٢/١٥٨.

عنواناً لهذا الفن، هذا المصطلح الذي يوحي بمعنى الترابط والتشاكل بين شيئين أو أكثر[٩٨]، وهو أسلوب يتطلب المهارة والبراعة في الكلام، لايقدر عليه إلا الأديب الذي وهب حاسّة مرهفة في تذوق الموسيقى اللفظية[٩٩].

أثره في الاتساق الصوتي :

للجناس أثرٌ بيِّنٌ في اتساق النصوص ووسْمِها صوتياً ، فضلاً عن كونه أداة يُتمَلَّحُ بها في قراءة النصوص ، ويتوصل بها إلى المعنى المنشود ، فنطقُ كلمتينِ في جرْسٍ موسيقيٍّ متماثلٍ كلِّياً أو جزئيَّاً ، تقعانِ في سياقِ جملٍ ذات بنية نصيَّة موحدة ، من شأنِه أن يجعَلَ المتلقيَ يعودُ بذاكرتِهِ إلى الكلمةِ التي نُطقتْ أوَّلاً ، رابطاً إيَّاها بالثانية ، هذا الرَّبطُ يَحْدثُ بفعل الاتساقِ الصوتي الذي حقَّقهُ تكرارُ الإيقاعِ الموسيقي لحروف الكلمة الأولى ، فتكرار الأصوات نفسها ((يجذبُ الانتباه ، ويعزز دلالة النغم ، ويؤلف نوعاً من الانسجام الصوتي المحبب))[١٠٠]الذي تطرب له الآذانُ وتستمتع به الأسماع ، وتزداد به رغبة المتلقي في متابعة النَّصِّ .

وفي لسانيات النص تَتَبَّعَ بعض الباحثين أثرَ الجناس الصوتي في اتساق النصوص ، وخاصة النثرية منها ؛ لأنها ((تتخذ من العناصر الصوتية وسيلة تخلق موسيقى في النثر توازي موسيقى الوزن والقافية في الشعر ، مراعاة لعملية التلقي وعمليتي الحفظ والرواية))[١٠١] .

أما ما دعا الباحث إلى دراسة هذا الفن البديعي دراسةً اتساقية نصِّيَّة ، فهو ما يمكن أن تتركه الكلمات المتجانسة على النص من وحدة الإيقاع والجرس ، ومن ثَمَّ أهمية هذه الوحدة الصوتية في خلق اتساق النص والربط بين عناصره ، فالجانب الصوتي ((يكاد يكون هو الركيزة التي يعتمد عليها فن الجناس ، وما الجانب الصوتي إلا الإيقاع Rhythm، أو النغم ، أو الترديد الموسيقي ، فالكلمتان المتجانستان تجانساً تاماً ، هما في الواقع إيقاعان موسيقيان ترددا في مساحة البيت الشعري أو الآية القرآنية أو الجملة النثرية البشرية ، وكذا الكلمتان المتجانستان تجانساً ناقصاً ، فالنقص في الجناس يلبي حاجة النفس إلى الإيقاع المتباين ، كما يلبي الجناس التام حاجتها إلى الإيقاع الواحد المتكرر))[١٠٢] .

ومقامات السيوطي حوت عدداً كبيراً من أنواع الجناس وتصنيفاته(التام وغير التام)،وعن الجناسين تتشعب تفريعات عدّة[١٠٣]، وهو ما يوفر الإيقاع الصوتي المتجانس في نصّ المقامة، وسنذكر أنواع الجناس على النحو الآتي :

([٩٨])ينظر: جنان الجناس في علم البديع:١٠، والبديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية:١٣١.

([٩٩]) ينظر: موسيقى الشعر:٤٣.

([١٠٠]) تمهيد في النقد الحديث ، روز غريب : ١٧٧ .

([١٠١]) علم لغة النص النظرية والتطبيق : ١٣٠ .

([١٠٢]) البديع تأصيل وتجديد ، د. منير سلطان : ٨٢ .

([١٠٣]) ينظر: التلخيص في علوم البلاغة :٣٨٨-٣٩٢.والعمدة:١/٣٢١- ٣٣٢،وفنّ الجناس:٥٧ومابعدها.

النوع الأول: الجناس التام:

هو مااتفق ركناه لفظاً واختلفا معنى بلا تفاوت في تركيبهما ولا اختلاف في حركتهما[١٠٤]،هو الاتفاق في عدد الحروف، وهيئاتها،وترتيبها،وهذا النوع حاضرٌ في المقامات كما في قول السيوطي:

١-**قال النرجس((وإنَّ قُلتَ: إنك النافع في العلاج، فكم لك في منهاج الطب منهاج))**[١٠٥]، جاء الجناس في كلمتي (منهاج، منهاج) فننظر إلى اللفظين متفقتين في اللفظ مختلفين في المعنى، أذ إنَّ الأولى تعني المنهج والقانون الطبي، في حين الثانية تعني من الطّريق الواضِحُ [١٠٦].

٢-**((لأنَّ له أجرين فلا جرم أنَّ حاز صاحبهُما شرفًا، ورفّ ظلها الوارفُ عليه حين رَفّ، ولم شعثَه ورَفّا، وأيقن منهما بفرج شَفّا، لابشَفّا جُرُفٍ؛ بُوعدت جُرُفا))**[١٠٧]، والجناس في هذا النصّ جاء في كلمة (الرَفّ) التي تعني اضطربت وتحركت حين أخذته الحمى، و(الرَفّا) يُقال رَفّا الثوب: أصلحه وضم بعضه إلى بعض، ويُقال رَفّا فلانا: أزال فزعه وسكنه من الرعب[١٠٨].

٣-**وفي الحمى قال((ولوفورُ مغاليها لمغاليها،وقورَ معانيها عند معانيها،رغبَ جماعةٌ من السلفِ فيها، ودعتْ طائفةٌ من الصحابةِ بملازمةِ الحمى لها إلى توفيها، وتلقوا نشر الحمى بالنشرِ والطيّ))**[١٠٩]، نجد أحتواء هذا النص على الجناس في الكلمات(معانيها، ومعانيها) وفي (نشر، والنشر) فالأول(نشر) تعني لانتشار، اما الثاني(بالنشر) أي الرَّيحُ الطَّيِّبةُ يعني ريحُ المِسك[١١٠].

النوع الثاني: الجناس غير التام:

الجناس غير التام: هو ((مقطعان صوتيان مختلفان في الإيقاع مختلفان في المدلول))[١١١] وسيتناولها البحث هنا على النحوِ الآتي:

أولاً- الجناس المُحرّف:

([١٠٤]) ينظر : فن الجناس:٦٢.

([١٠٥]) المقامات:٢٢.

([١٠٦]) ينظر: العين: ٢٧١/٤.

([١٠٧]) المقامات :١٥٤.

([٥]) ينظر: المعجم الوسيط:٢٤٢-٢٤٣.

([١٠٩]) المقامات: ١٥٩.

([١١٠]) ينظر:العين:٢٢١/٤.

([١١١]) البديع تأصيل وتجديد، د. منير سلطان: ٧٦.

وهو أن يختلف فيه اللفظان في هيئات الحروف أو الحركات، وسمي أيضاً:جناس التحريف ،والمغاير والمختلف[١١٢]، وسمي الناقص ؛ وهو أن يختلف الفظان المتجانسان في عدد حروفهما وحركاتهما ؛لأنّه لو اتفقت حركات الحروف في الكلمتين لكان جناساً تاماً[١١٣] ، ويكون على أنواع منها:

أ-أنّ يكون الاختلاف في هيئة الحركة فقط:[١١٤]

١-((**وتلبسنا من خِلع الملاحة ماضَفَا،وتعفو عمّا صدر منّا من جَفَا ،وتأخذ من أخلاقنا ما عَفَى، وتنعم لنا من دُرّ ألفاظك التي هي شِفا لمن كان على شَفَا**))[١١٥]، حصل هذا الجناس بين كلمتي (شِفَا) التي تعني البُر من المرض، ودواء النفس، وكلمة (شَفَا) التي تعني طرف وحرف[١١٦]، ولو تأملنا في الكلمتين نجد أنّ الجناس المحرّف حصل في تغير الحركة فقط على الرغم من تجانس الكلمتين في هيئات الحروف.

٢-((**يصفُ إمامُ البلاغةِ الرسول(صلى الله عليه وعلى آله وسلم):قال:الطيبُ خَلْقاًوخُلُقاً، والذي كان يقطرُ منه ماهو أطيبُ من المسكِ إذا أرفضَ عرقاً**))[١١٧]، الجناس في هذا النص بين كلمتي (خَلْقاً) و(خُلُقاً)،إذ أنّ الأولى تدل على الخلق والتكوين، بينما الثانية تدل على الأخلاق والطَّبع العادة السَّجيِّة المروءة[١١٨]، وهنا بقصد بها الأخلاق التي كان يتخلق بها الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام ، وهنا هيئة الحروف كانت متطابقة بين الكلمتين،ولكن الجناس المحرّف كان الاختلاف فيه في هيئة الحركة لذلك نرى كل كلمة دلت على المعنى الذي أكتسبت من الحركة.

٣-((**ليس أحدٌ منكُم مستحقاً عندي للمُلكِ، ولا صالحٌ للانخراطِ في هذا السلكِ، ولكن المَلكَ الأكبرُ، والسيدُ الأبَرّ وصاحبُ المنبرِ،...**))[١١٩]، والجناس في هذا النصّ جاء في كلمة (المُلك) التي تعني امتلاك الأشياء أيّ مايملكه الشخص من العظمة والسلطان، و(المَلك) هوصفة تطلق على الشخص والسيد صاحب السلطة والأمر على أمة أو الدولة[١٢٠].

٤- **وفي مقامة الروضة يقول السيوطي ((ويبلغُ الخَلقُ من النَّيلِ غاية النِّيل، ويسحبُ الماءُ على بساطِ الأرضِ الذّيلِ، ويركَبُ إليه الملِكُ والجنودُ، وتعقدُ الألويةُ والبنودُ، ويكون للناسِ من مائهِ ولونهِ المحمرِّ ورود،ذلكَ يومٌ مجموعٌ له الناسُ، وذلكَ يومٌ مشهودٌ، ولهُ في كلِّ ستةِ أجلٌ معدود**))[١٢١].

([١١٢]) ينظر: التلخيص في علوم البلاغة:٣٨٩، وفن الجناس:٨٧.

([١١٣]) ينظر: نهاية الإيجاز :٢٨، ومفتاح العلوم :٢٢٨.

([١١٤]) ينظر: فن الجناس:٨٧.

([١١٥]) المقامات:٥٤.

([١١٦]) ينظر: مفردات في غريب القرآن:٣٥٠، والمعجم الوسيط: ٢٩٨.

([١١٧]) المقامات:٥٧.

([١١٨]) ينظر:العين:٤٣٨/١، والمعجم الوسيط:٢٠٣، و مفردات في غريب القرآن:٢١٢-٢١٣.

([١١٩]) المقامات :٤٦.

([١٢٠]) ينظر: العين:١٦٥/٤-١٦٦، المعجم الوسيط:٥٤٢.

([١٢١]) المقامات: ١٩٣.

أحتوى هذا النص على أنواع من الجناس منها الحرف في كلمتي(**النِّيل**) التي تعني نهر النِّيل، إما (**النَّيل**) هو الحصول على شيء ما، ومن أنواع الجناس في هذا النصّ أيضاً الجناس المضارع في كلمتي (النّيل والذّيل)، وجناس اللاحق بين كلمتي(الجنود والبنود)الاختلاف مخرج الحرفين (الجيم والباء).

-**يقول السيوطي:((وأمَّا لحاظه فقد غنيت عن الكُحل بالكَحل،...،وأشربوا في قلوبهم من الحَب والحُب، وخلا البَر والبُر))**[١٢٢]،ورد الجناس المحرف الكلمات(الكُحل والكَحل)، و(الحَب والحُب) و(البَر والبُر).

ب- أن يكون الاختلاف في نوع الحرف ويشترط أن يكون الإختلاف في حرف واحد فقط، وورد هذا النوع بشكل كبير في المقامات على سبيل المثال:

١-((**على الخبيرِ سقطتُم ،ومن البحرِ لقطتُم ،ولقد أقسطتُم في سؤالكُم وما قسطتُم ، وسأنبئكُم بما يفوقُ حكمة بقراط من غير تغليطُ وإلاّ إفراط))**[١٢٣] ،وقع الجناس في لفظتي (سقطتم ولقطتم) وكان الجناس في أولهمابين (السين و اللام)،إذ إنّ الأولى تعني وقعتم على العالم ليزيدكم بعلمه وهو الخبير بالأمور، والأخرى تعني جمعتم من بحر هذا العالم وعلمهِ من شيء.

٢-((... **وتمثلُ أربابُ الأرضيِّ والمزارعِ ،وأصحابُ المراعيِّ ، والمراتعِ والمرابعِ))**[١٢٤]،وجاء الجناس في كلمتي (المراتع والمرابع)، فالمراتع جمع مرتع :وهو الموضع الذي ترتع فيه الماشية، والمرابع جمع مَرْبع : وهو الموضع يُقام فيه زمن الربيع[١٢٥]، وكان التحريف في الحرف الرابع في حرفي(التاء) و(الباء).

٣-**قال الخطيب يصف الزياد((أنت: لانسبَ لك، ولاحسبَ، ولاسلفَ، ولاخلفَ، وأنت أقلُّ شرفاً، و أذلُ سلفاً))**[١٢٦]، والجناس هنا في عدد من الكلمات وهي (**النسب والحسب**)وكان التحريف في الحرف الأول وهما(**النون والحاء**)، وكما إنَّ الكلمة الأولى(النسب) تعني القرابة، ويُقال:نسبه في بني فلان وهو منهم، أما (الحسب) فمعناهُ مايعدّهُ المرء من مناقب أو شرف آبائه[١٢٧].

وفي النص يوجد جناس أيضاً وهو في كلمتي(**السّلف والخلف**) وكان في الحرفين (**السين والخاء**) وكان معنى (السلف) وهو جمع سالف، وهو كل من تقدم الرجل من آبائه وذوي قرابته في السن أو الفضل، وكلمة(الخلف) فتعني الولد الصالح[١٢٨].

ثانياً : الجناس المضارع:

([١٢٢]) نفسه:١٦٦.

([١٢٣]) نفسه:١٠٦.

([١٢٤]) نفسه:١٦٣.

([١٢٥]) ينظر: المعجم الوسيط:٥٠٧.

([١٢٦]) المقامات: ٧٣.

([١٢٧]) ينظر :العين ٢١٤/٤، العين ٣١٤/١.

([١٢٨]) ينظر: العين ٢٦٥/٢، ونفسه ٤٣٥/١ ، وينظر: المقامات : ٧٣.

يُعرِّفُ البلاغيون هذا النوع بأنَّه ماجُمِعَ فيه بين كلمتين متجانستين لا تفاوت بينهما إلَّا بحرف واحد من الحروف المتَّحدة أو المتقاربة في المخرج[١٢٩]،وهذا التقارب هو تسميتِه بهذا الاسم؛((سمي بذلك لمضارعة المخالف من الحرفين لصاحبهِ في المخرج))[١٣٠]، وهذان الحرفان إما أن يركزان في أول الكلمة، أو في وسطها، أو في آخرها،مثل:(دامس،وطامس)في قول الحريري:(ليل دامس،وطريق طامس) وفي(ينهون، وينأون)كما في قوله تعالى ﴿ **وهم يَنْهون عنه وينأون عنه** ﴾ (**الأنعام :٦**)، وفي(الخيل والخير) في

الحديث الشريف(الخيلُ معقود بنواصيها الخير)[١٣١]،ففي الأمثلة نلحظ أنّ مخارج الحروف متقاربة، فمخرج فمخرج الدال والطاء من الأسنان واللثة معاً، واللام والراء في الحديث الشريف من اللثة[١٣٢].

وهذا النوع من الجناس مشابهاً للجناس التام الذي يتفق فيه اللفظان المتجانسان بلا تفاوت في حروفهما أو حركاتهما [١٣٣]، الذي يضفي على الألفاظ المتجانسة مزيداً من النغم الصوتي، بتكرار الجرس اللفظي عينهُ[١٣٤]،ومن أمثلة هذا الجناس الوارد في نصوص المقامات مدار البحث قوله:

١-((**إنّ عساكرَ الرياحينِ قد حضرَتْ، وأزاهرُ البساتينِ قد نظرَتْ لما به نضرَتْ، واتفقَتْ على عقدِ مجلسٍ حافلٍ، لاختيارِ من هو بالمُلْكِ أحقّ وكافلُ**))[١٣٥]،إذ حصل التجانس في هذا النصّ بين كلمتي (نَظَرت ونَضَرت)، فهما متشابهتان في تركيب الحروف وهيئاتها إلاّ في حرفي (الظاءوالضاد)، وهما حرفان يقارب أحدهما الآخر في المخرج، فمخرجهما ينحصر بين أول اللسان والثنايا العليا مع أصولها[١٣٦]، وهذا التقارب هو ما يجعل بعض متكلمي اللغة العربية ينطقون بنوع من الضاد يشبهُ الظاء،وأخذوا يخلطون بين هذين الحرفين[١٣٧]،مع كون الحرفين من مجموعة واحدة هي الأصوات المطبقة، وتجانس حروف اللفظين،وتقارب مخرجي الحرفين المختلفين[١٣٨]، صبَّ أصوات الكلمتين في قالب واحد غايته إقامة الاتساق الإيقاعي، وفضلاً عن ذلك فهو يحملُ دلالةً معبرة تستدعي التأمل في معنى اللفظين كليهما،ويجعلُ النفس تتوقُ إلى استخراجه، فيصيرُ للتجنيسِ فائدتان: وقعٌ في النفوس، وتفكّر في المعاني.

([١٢٩]) ينظر: مفتاح العلوم :٥٣٩، وفن الجناس: ١٣٢.

([١٣٠]) فن الجناس:١٣٣.

([١٣١])الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه ، محمد بن إسماعيل البخاري(ت ٢٥٦ هـ) : ٤/ ٢٨ .

([١٣٢])ينظر: في البحث الصوتي عند العرب:١٩-٢٠،وعلم الأصوات د.كمال بشر:١٨٣-١٨٥،وفن الجناس:١٣٤.

([١٣٣]) ينظر: فن الجناس:٦٣.

([١٣٤]) ينظر: الأثر القرآني في نهج البلاغة:٢٦١.

([١٣٥]) المقامات:١٣.

([١٣٦]) ينظر: الأصوات اللغوية :٤٩.

([١٣٧]) ينظر: نفسه:٥٢-٥٣.

([١٣٨]) ينظر: نفسه:٥١-٥٢.

٢-((**إمامُ البلاغةِ يخطبُ في أمراءِ الطِّيبِ: مرحباً بالكرامِ الزورِ، أعيذكم باللهِ من الجورِ،ومن الحورِ بعد الكورِ،وأقامكم في أحسنِ الطّورِ، وقطعَ عنكم التسلسلُ والدّوْرُ**))[١٣٩]، في هذا المثال نلحظ الجناس في أكثر من لفظ، نجد الجناس المضارع بين اللفظين(الطور) و(الدور)على الرغم من اختلاف الحرف الأول فيهما، إلاّ أنَّ تقارب الحرفين في المخرج (مابين طرف اللسان وأأصول الثنايا)، وتماثلهما في صفتي الشدة والجهر[١٤٠]،يجعل جرس الكلمتين متقارباً، فلولا صفة الإطباق في الطاء لأصبحت في الأداء دالاً[١٤١]،وهذا مايضفي على النص اتساقاً صوتياً، يشبه مايحققه الجناس التام[١٤٢]،ويسهم في تحقيق وحدة النص واستمراريته،والطّور:التّارة أيّ تارةً بعد تارةٍ والدّور:من دور الشيء والدّهرُ دّوارٌ بالإنسانِ ودّواري[١٤٣].

٣-((**ومن جواهرِ جورِ خُنّس، كأنهنَّ الجواري الكُنّس**))[١٤٤]، إذ حصل التجانس بين كلمتي (الخُنّس و الكُنّس)، فهما متشابهتان في تركيب الحروف وهيئاتها إلاّ في حرفي الخاء والكاف ، وهما حرفان مهموسان متقاربان في المخرج،فكلاهما ينطقُ من أقصى الحنك [١٤٥]،وهذا يجعلنا نَسْتمتعُ بالجرس الصوتي الذي كوَّنَهُ تكرارُ الأصواتِ بين هاتين اللفظتين ، وزادَ من تكوينِه تقاربُ مخرجي الحرفين المختلفين واتحادُهما في صفةِ الهمس . وهذا الاتساقُ الذي أحدثَه الجناسُ يساعدُ المتلقيَ على الرَّبط بين الجملتين؛ بفعل التجاوب الموسيقي الصادر من تماثل الكلمات تماثلا تطرب له الأذن وتهتز له أوتار القلوب[١٤٦]، والكلمتان صفتان للنجوم التي تظهر في الليل وتخفي في النهار ؛ لغلبة شعاع الشمس على أفقها، فالأولى بمعنى الرجوع والثانية بمعنى الخفاء[١٤٧].

ثالثاً - الجناسُ اللاّحقُ :

وهذا النوع من الجناس يشبه النوع السابق، إلاّ أنّ الصورتين المختلفتين في اللفظين المتجانسين متباينين في المخرج[١٤٨]، والصوتان المختلفان إمّا أن يكونَ كلٌّ منهما في أوّل الكلمة،نحوقوله تعالى: ﴿ **وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكلاً لَّمًّا(١٩)وَتُحِبُّونَ المالَ حُبّاً جَمّاً(٢٠)** ﴾**(الفجر:١٩-٢٠)** ،أو الوسط في قوله تعالى:﴿ **وَإِنَّهُ عَلَى ذَٰلِكَ**

---

(١٣٩) المقامات:٥٦.

(١٤٠)ينظر: علم الأصوات:٤١٤،والأصوات اللغوية :٥١-٥٢.

(١٤١) ينظر: الأصوات اللغوية:٥١.

(١٤٢) ينظر: الأثر القرآني في نهج البلاغة :٢٦١.

(١٤٣) ينظر:العين:٦٤/٣، ولسان العرب: مج١٤٥٠/١٧/٢.

(١٤٤)المقامات:١٩٧.

(١٤٥) ينظر: علم الأصوات:٤١٤.

(١٤٦) ينظر : البديع في ضوء أساليب القران : ١٦٦ .

(١٤٧) ينظر:لسان العرب مادة (خنس):مج١٢٧٧/١٤/٢.

(١٤٨)ينظر: التلخيص:٣٩١، ومفتاح العلوم :٥٤٠، وفن الجناس:١٣٦.

لِشَهِيدٌ(٧)وَإِنَّهُ لحُبّ الخيرِ لشديد(٨) ﴾(العاديات:٧-٨)،أو الآخر في قوله تعالى: **﴿وَ إِذاجَآءَهُم أَمرٌ مِّنَ الأمنِ أوِ لخوفِ أذَاعوا بِهِ . . .(٨٣) ﴾(لنساء:٨٣)**، فقد حصل هذا الجناس في الأمثلة السابقة على التوالي بين لفظتي (لما وجما) ،و(شهيد وشديد) ، و(أمر وأمن).

وسمي بالجناس اللاحق، ((لأنَّ أحد اللفظين ملحق بالآخر في الجناس باعتبار جلّ الحروف))[١٤٩]،وبعد تتبع نصوص المقامات،وجد الباحث أن لهذا الجناس حضوراً في المقامات، وأنّه يتضافر مع أدوات اتساقية أُخر،كما في قوله:

١-((**أتَغْتَرُ بُبْرْدِك القشيبِ، وأنت الجالبُ للمشيبِ؟!فاحفظْ-بالصّمتِ- حرمتَك،وإلاّ أكسرُ بقائمِ سيفي شوكتَك**))[١٥٠]،الشاهد فيه الجناس الذي وقع بين كلمتي (القشيب)و (المشيب)، ونلحظ تباين مخرجي الحرفين المختلفين، فالقاف لهوية ،والميم شفوية[١٥١]، والتجانس هنا كوّنَ علاقةً صوتيةً بين عنصرين لأصواتهما الإيقاعُ نفسه، مما يدفع بالمتلقي إلى ربط أجزاء النص ، ومن ثمَّ؛ فإنّ هذه العلاقة -كما هو حال العلاقات النحوية والمعجمية -تخلق نصّيّة النص-وتسهم في وحدته الشاملة[١٥٢].

٢-((**قال اللؤلؤ:الحمدُللهِ الذي ألبسني خلْعةَ البياضِ، وجعلني بين اليواقيتِ كالنّوْرِ،في الرياضِ، ومَنّ عليَّ بالتبجيلِ،وحَبَاني بالتنويهِ والتنويلِ، وكرّرَ ذكري في عدةِ مواضعَ من التنزيلِ**))[١٥٣].

نلحظ أنّ النص قد احتوى على عدد من الكلمات المتجانسة ومن بين هذه الكلمات التجانس بين كلمتي(البياض)و(الرياض)، لتباعد مخرجي الحرفين المختلفين في أولهما،فالباء شفوية، والراء لثوية[١٥٤]، وأيضاً في كلمتي (التبجيل) و (التنويل)، لتباعد مخارج الحرفين أولاً بين(الباء) صوت شفوي مخرجه مابين الشفتين، و(النون) صوت أسنانية لثوية مخرجه من حافة اللسان، والثاني في الوسط،بين(الجيم) أسنانية لثوية حنكية ،و(الواو)الشفوي، وحصل جناس بين كلمتي(التنويه والتنويل) في الحرف الأخير،فـ(الهاء)من الأصوات الحنجرية(الحلقية)،و(اللام)أسنانية لثوية[١٥٥]،وحصل جناس بين كلمتي(التنزيل والتنويل) في الوسط بين (الزاي) صوت أسنانية لثوية،و(الواو)الشفوي، وهو من الجناس اللاحق؛ لتباين مخارج الصوامت المختلفة[١٥٦]،إن الإيقاع المنتظم الذي خَلقَه تكرار أصوات الكلمات المتجانسة في هذا النص،قد نسَجَ اتساقاً صوتياً أضفى على الجمل

([١٤٩]) فن الجناس:١٣٦.

([١٥٠]) المقامات:٢٢

([١٥١]) ينظر :علم الأصوات:٤١٤.

([١٥٢]) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب:١٣.

([١٥٣]) المقامات:١٣٦.

([١٥٤]) ينظر :علم الأصوات:٤١٤،، و علم وظائف الأصوات اللغوية الفونولوجيا:١٨٣-١٨٤.

([١٥٥]) ينظر: علم وظائف الأصوات اللغوية الفونولوجيا:١٨٣-١٨٤.

([١٥٦]) ينظر: علم الأصوات د. كمال بشر:٤١٤.

نوعاً من الوحدة التي تجمع شتات النصّ، ويمكن إدراك ذلك إذا وضعنا في الحسبان أنّ الإيقاع هو أحد أسباب وحدة النّصّ.

٣-((**قال المقري:ماهذا التعسيرُ بعد التيسيرِ، ومالنا عُدنا نروي عن ""قُل بن قُل""بعد أن كنا نروي عن ابن كثير؟!**))[١٥٧]، فالجناس في هذا النصّ حاصل بين الكلمتين(التعسير) و(التيسير) جناس لاحق؛ لتباعد مخرجي الصوتين الصامتين المختلفين في أولهما، فالياء من بين اللسان والحنك، والعين من الحلق[١٥٨]، واتحاد الحرفين في صفة الجهر[١٥٩]، مما يزيد النصّ اتساقاً وانسجاماً صوتياً.

٤- ويقول أيضًا في مقامة روضة مصر:((**روضة أريضة، عيون زهارها مريضة**))، فورد الجناس الاحق بين(أريضة، ومريضة)، وهو جناس ناتج عن تباعد حرف الألف وحرف الميم في المخرج.

وقد جاءت بعض الجناسات عفوية الخاطر عند السيوطي، وبعضها جاء متكلفًا، وربما يعود ذلك لالتزامه بذكر مصطلحات العلوم التي يعرفها مع التزامه السجع في الآن نفسه، وفي المقامات أضرب من الجناس غير ما درس ،إلاّ أنّه لم يتسنّ للباحث ذكرها؛ خشية الإطالة وتماشياً مع منهج البحث،وقد استغنى عنها بما ذكر من أنواع، ومنها:الجناس الناقص[١٦٠]بين(منهاج وهاج)،و(رحيلةوحيلة) [١٦١]،وجناس المقلوب[١٦٢]،بين(الجدال والجلاد) [١٦٣]،الجناس المشتق[١٦٤]بين(قسم وقسيم).

ومما سبق يتضح أنَّ الاتساق الصوتي له أثرٌ بارز في بناء النص وتنظيم معلوماته، إذ يضمن له خاصية الاستمرارية، ويساعد على إدراك وفهم ماهية النص، فهو يحقق للنص اتساقاً شكلياً أي على مستوى البنية السطحية، لكنه لا يمنح النص اتساقاً كلياً، بل لابد من توفر عنصر آخر يضمن للنص اتساقه المعنوي وهذا العنصر هو الانسجام، فيتآزران معاً لتحقيق الاتساق الكلي للنص.

فالجناس كما مر ليس تلاعباً بالألفاظ، أومهارة في صنع العبارات، أو المحسنًا لفظيًا فحسب، إنَّما تعبير فني يكسب الكلام قيماً جمالية بما يضيفه إلى النسق اللغوي من اتساق وانسجام وتناسب وتآليف في البناء الصوتي يثري المعنى، ويغني الصياغة اللغوية، ويشيع الجرس الموسيقي الذي تطرب إليه الأذن.

([١٥٧])المقامات:١٦٦-١٦٧.

([١٥٨]) ينظر: الأصوات اللغوية :٤٤-٧٥، وعلم الأصوات :٤١٤،وعلم وظائف الأصوات اللغوية :١٨٣.

([١٥٩]) ينظر: علم الأصوات:٤١٤، وفي البحث الصوتي عند العرب:٤٠-٤٤.

([١٦٠])الجناس الناقص: وهو أن يختلف الفظان المتجانسان في عدد حروفهما. ينظر:التلخيص في علوم البلاغة:٣٨٩-٣٩٠.

([١٦١])المقامات:٢٢،والمقامات:٢٠٠.

([١٦٢])الجناس المقلوب: وهو أن يتفق اللفظان في نوع الحروف وعددها وهيئتها (شكلها)، ويختلفا في الترتيب فقط، ينظر: فن الجناس:١٠١.

([١٦٣]) المقامات:٥٣.

([١٦٤]) الجناس المشتق :وهو أن يتفق اللفظان المتجانسان في أصل الاشتقاق والمعنى ، ويختلفان في هيأة الحروف وترتيبها، ينظر: الإتقان في علوم القرآن:٥٩٩،و فن الجناس:١١٤.

ثانياً: الاتساق المُعجمي:

توطئة:

بعدَ أنْ أكملَ البحثُ الحديثَ عن الاتساقِ الصوتي وأثرِ أدواتِه في اتساق نصوص المقامات، سينتقلُ فيما أُعِدَّ من صفحات هذا الفصل إلى الحديث عن الاتساق المعجمي وأثره في بناء لُحمَةِ النص، هذا النوع من الاتساق مظهرٌ من مظاهر التحليل النصيّ المعاصر، يسهم بصورة واضحة في ربط العناصر اللغوية المشكلة للنصّ، لذلك سمي بالربط الإحالي أيضاً[١٦٥]، وهو من مظاهرِ الاتساق يتمُّ بوساطةِ وسائلَ آخرَ غير ما سلف ذكرُه من الوسائل الصوتية، أو ما سيأتي بيانه من الأدوات النحوية؛ إذ إنَّه لا يمكن فيه الحديثُ عن علاقاتٍ نحويةٍ تعتمدُ على النظام النحوي لتربط بين عناصر النص[١٦٦]،بل يتم من اتحاد الكلمات المتشابهة والمرادفة أو المتلازمة وتشابكها في النص، لتنسج خيطاً من المفردات المتشابكة التي تُحيل بعضها لبعض بعلاقاتٍ معجميَّةٍ، فيحدث الربط بين الجملة الواحدة أو المتتاليات الجملية بفعل استمرار المعنى الذي يمنح النصّ صفة النصية[١٦٧] .

فهو إذن وسيلة من وسائل الربط الذي يتحقق من العلاقة الجامعة بين كلمتين أو أكثر داخل المتتابعات النّصيّة، هذه العلاقة المعجمية خالصة ليس بها حاجة إلى عنصر نحويّ ليظهرها[١٦٨]، وعرفه "هاليداي ورقية حسن" بأنّه((الربط الذي يتحقَّق من اختيار المفردات عن طريق إحالة عنصر إلى عنصر آخر))[١٦٩]، وهذه الوسائل بنيات معجمية تحقق ضرباً من ضروب التكافؤ والتماثل، وتمهد لاتساق الجمل والمفاهيم، ومن ثم النصّ بتمامه[١٧٠]، إذن عماد الاتساق المعجميّ هو المعجم، وما يقوم بين وحداته من العلاقات[١٧١]، فكلما ازدادت الوحدتان المعجميتان قرباً في النص زادهُ اتساقًا وترابطًا وقوة [١٧٢].

وتتحقق العلاقة بين النصيّة والاتساق المعجمي عن طريق تحرك العناصر المعجمية بتنظيم الفكرة وبنائها في النص، لتقدم معلومات تفسر العناصر المعجمية الأخرى المرتبطة بها، مما يساعد على فهم النص، عند سماعه

([١]) ينظر: لسانيات النصّ النظرية والتطبيق:١٢٤.

([١٦٦]) ينظر : لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب : ٢٤ ، ولسانيات النص النظرية والتطبيق : ١٢٤ .

([١٦٧]) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق :١٠٥،أدوات الاتساق وآليات الانسجام في قصيدة الهمزية النبوية (رسالة ماجستير):٣٢.

([١٦٨]) ينظر: نظريّة علم النصّ رؤية منهجيّة في بناء النصّ النثري:١٠٦.

([١٦٩]) علم لغة النص النظرية والتطبيق:١٠٥، نقلاً عن :Cohesion in English:٢٧٤.

([١٧٠]) ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية :١٠٩.

([١٧١]) ينظر: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية :١٣٨

([١٧٢]) ينظر: الاتساق في العربية(دراسة في ضوء علم اللغة الحديث): ٦٨.

أو قراءته؛ لاتصافه بالتواصل[١٧٣]، وفضلًا عن ذلك؛ فإنّ عناصر الاتساق المعجميّ تتصف في ذاتها بالرّبط، فبعضُها يفسّرُ بعضَها الآخر، فلذلك هي ليس بحاجة إلى أدوات ربط تربط بينها، وتحقق الاتساق لأجزاء النص[١٧٤]، وتُشير الدراسات النصية إلى أنّ الاتساق المعجمي يُسهم في ربط عناصر النصّ المتباعدة و في استمراريته، وتلاحم عناصره، من استمراريّة عنصر لغوي من أول النصّ إلى نهايته[١٧٥]،وقَسَّمَ علماء النصّ الاتساق المعجميّ قسمين، هما:(التكرار، والمصاحبة المعجمية أو التضام) حسب ما جاء في جلّ كتب لسانيات النص[١٧٦]،كما موضح :

الاتساق المعجمي

التكرار **المصاحبة المعجمية(التضام)**

أولاً: التكرار:

هو من الظواهر التي تتَّسمُ بها اللغات عامَّة، ولاسيما لغتنا العربية، إذ إنّه شغل حيزاً كبيراً من الدراسات عند القدماء والمحدثين؛ لأهمّيَّتِه في اتساق النصوص، إلاّ أنَ قليلاً مِنَ القدماء مَنْ تنبَّه على ذلك؛ لأنّ دراستهم كانت مقصورةً على بيان الجانب البلاغي أو الجماليّ في الغالب [١٧٧]، من بين هؤلاء الجرجاني(ت٤٧١هـ)الذي يعدُّ التكرار((من معاني النحو التي تبثُ في النظم(الكلام) الانسجام والاتساق والتناسق))[١٧٨]، وعُرّفَ التَّكرار أيضاً((بأنّه ضمُّ الشيء إلى مثله في اللفظ مع كونه إياه في المعنى؛ للتأكيد والتقرير))[١٧٩]، وأشار في التعريف إلى وظيفة من وظائف التّكرار، وهي الربط بين الشيئين، فالضم((يعني ربط الشيء بما ضُمَّ إليه، وفي هذا الربط يتحقق التماسك بينهما))[١٨٠]، ويُلحظُ من التعريف ارتباط مفهوم التكرار بالتوكيد اللفظيّ، غير أنّ التكرار((ليس مساوياً للتوكيد اللفظيّ الذي قال به النحاة مساواةً تامةً، وإنّما يعدّ التوكيد اللفظي صورةً من صور

([١٧٣]) ينظر: لسانيات النصّ النظرية والتطبيق:١٢٤، وعلم لغة النص النظرية والتطبيق:١٠٥.

([١٧٤]) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق:١٠٥.

([١٧٥]) ينظر: علم اللغة النصّيّ بين النظريّة والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكيّة:٢٢/٢.

([١٧٦]) ينظر: السبك في العربية المعاصرة:١٧٢،ولسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب:٢٤،ونحو النصّ إطار نظريّ ودراسات تطبيقية: ١٣٩-١٥١، وعلم لغة النص النظرية والتطبيق:١٠٦-١٠٩.

([١٧٧]) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق:١٧/٢.

([١٧٨]) دلائل الاعجاز:٦٨-٦٩.

([١٧٩]) شرح الرضي على الكافية:٤٩/١.

([١٨٠]) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق :١٨/٢-١٩.

التكرار، وعلى هذا؛ فإنّ التكرارَ أعمُّ من التوكيد اللفظيّ؛ إذ يتخذُ التكرارُ أنماطاً وأشكالاً أسلوبية لا يمكن تصنيفَها تحت التوكيد اللفظي، ولذا كل توكيد لفظي تكرار، وليس كلُّ تكرار توكيداً لفظيًا))[١٨١]، ومن الذين عَدّوا التكرار أبلغ من التوكيد السيوطيّ ،إذ إنّه يعدّهُ من محاسن الفصاحة خلافاً لمن غلط...،إذ قيل:((الكلام إذا تكرر تقرر))[١٨٢].

قد باتَ التكرار محلَّ عناية الدارسين في علم النصّ؛ إذ عُدَّ عنصراً مهمّاً في اتساق النصوص، وعُرِّفَ بأنه الاتساق الناتج من الطريقة التي ألفت بها المفردات عن طريق إعادة عنصر معجميّ أو وجود مرادف له، أو شبه مرادف، أو عنصر مطلق أو أسم عام[١٨٣]، والإيضاح هذا المفهوم ذُكر المثال الآتي:

شرعت في الصعود إلى القمة ← الصعود، التسلق، العمل، الشيء، هو ← سهل للغاية

فكلمة (صعود) تُعدُّ إعادة للكلمة الواردة في الجملة الأولى؛ و(التسلّق) مرادف للصعود، و(العمل) اسم مطلق، أو اسم عامٌ يمكن أن يندرج فيه الصعود، و(الشيء) كلمة عامّة تُدرَج في ضمنها كلمة(الصعود) وأيضاً الضمير (هو)[١٨٤]، ومن هذا التفسير للمثال تتبين أشكال التكرار في ضوء النظرية النصيّة.

وكذلك عُدَّ التكرار نوعاً من أنواع الإحالة، وأطلقوا عليه (الإحالة التكرارية) أو (الإحالة بالعودة)، أي تتمثل في تكرار لفظ أو عدد من الألفاظ في بداية كل جملة من جمل النص؛ قصد التأكيد، وهي أكثر أنواع الإحالة دوراناً في الكلام[١٨٥]، ووظيفة التكرار هي إنعاش الذاكرة، وتوضيح علاقة السابق باللاحق ويهدف إلى دعم الاتساق النصيّ، ويوظف التكرار أيضاً لتحقيق العلاقة المتبادلة بين العناصر المكونة للنصّ[١٨٦]، وفضلاً عن ذلك؛ فإنّه يُشيرُ إلى الطريقة التي يبنى بها النصّ دلالياً؛ لأنه مقياس للتوازي بين المعلومات الجديدة والقديمة، وبعدُّ أحد العوامل التي ترتبط بالقدرة على الفهم[١٨٧]، ويكون التكرار على قسمين كما يأتي : **(١- تكرار الكلمة نفسها. ٢-الـــترادف).**

([١٨١]) المعايير النصيّة في القرآن الكريم:١٧٤.

([١٨٢]) الإتقان في علوم القرآن الكريم:١٩٩.

([١٨٣])ينظر: نحو النصّ:١٠٦، ولسانيات النصّ مدخل إلى انسجام النصّ:٢٤.

([١٨٤]) ينظر: لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام النصّ :٢٤-٢٥.

([١٨٥]) نسيج النصّ:١١٩، والبديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصيّة:٧٩.

([١٨٦]) ينظر: البيان في روائع القرآن :١٠٩-١١٣.

([١٨٧]) ينظر :علم لغة النصّ النظرية والتطبيق:١٠٥.

القسم الأوّل : تكرار الكلمة نفسها ، ويقسّم على :

أوّلاً– **التكرار المباشر أو (التام):** ويسمى أيضاً (التكرار المحض)[١٨٨]،ويقصد به تكرار الكلمة نفسها بلا تغيير، أي إعادة المفردات أو الجمل من دون تغيير مع وحدة المعنى[١٨٩]،وكذلك هو مواصلة المتكلم الحديث عن الشيء نفسه، بما يعني استمراره عبر النصّ، ويطلق عليه التكرار المعجميّ البسيط، ويمكن أن تكشف بنية النظام اللغوي وجود صور هذا النوع من التكرار، إذ إن هدفها تدعيم الاتساق النصّي، سواء كان على مستوى المقامة الواحدة أو المقامات كلِّها، ولنتأمل بعض الأمثلة لبيان ذلك:

١–((**الحمدُ للهِ الذي...))**[١٩٠] فقد كرّر هذه العبارة في المقامة الياقوتية على طولها باللفظ الصريح؛لأنه النسيج الرابط لهذه المقامة، ويبدو من تكرار هذه العبارة، أنّ السيوطي أراد أن يلمح للمتلقي بأنّ الحمد والثناء يجب أنّ يلتزم به الجميع؛ لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي خلقنا وصورنا بهذه الحالة، فلا يستحق غيره أنّ يحمد على النعم جميعها.

٢–((**و آخرونَ تحولوا إلى الروضةِ قطائعَ قطائعَ، وأقبلوا إلى سكنِها والقاهرةِ**))[١٩١]،ففي تكرار لفظة(قطائع) هذا تأكيد على أنّهم توجهوا على شكل جماعات وفصائل إلى روضة مصر خوفاً من الطاعون ليبين عظمته وهولهُ وتكرير اللفظة نفسها دون غيرها يزيد من جمالية النص واتساقه والمحافظة على الإيقاع الصوتيّ في النصّ.

٣–**مقر الروح ((وأمَّا مقرُ الروحِ، وما أدراكَ ما مقرُ الروحِ؟!فمختلفٌ بحسبِ الصاحبِ، ومَتَنَوعٌ على قدرِ المراتبِ:فأرواحُ في حواصلِ طيرٍ خضر تسرحُ في الجنةِ ...، وأرواحٌ في قبةِ خضراءَ سندسيةٍ على بارقِ نهرٍ...، وأرواحُ الأطفالِ الذين لم يبلغُ الحَنْثُ ولم تجرحْ ...، وأرواحٌ في السماءِ الدنيا أيضاً، وأرواحٌ في السماءِ السابعةِ في دارٍ يقالُ لها"البيضا"، وأرواحٌ في كفالةِ جبريلَ، وأرواحٌ في كفالةِ ميكائيلَ، وأرواحٌ في خزانةِ رمائيلَ وأرواحٌ في سببٍ ممدودٍ بين السماءِ والأرضِ....،وأرواحٌ في برزخٍ من الأرضِ ....،وأرواحٌ تجمعُ بأريحاءَ ....،وأرواحٌ ببئرِ زمزمَ))**[١٩٢]، تكررت كلمة "الروح "(١٤) أربع عشرة مرة)، وردت(٢)مرتان: مفردة،(١٢) أثنتا عشرة مرة: مجموعة، ولم يكن هذا التكرار من أجل التوكيد، وتتفق جميعها في المعنى؛ إذ تُحيل كلها إلى مقر الروح ،إذ إنّها تفاوتت في المقر الأعظم، بحسب مقامها، واختلفت بحسب أعمالها وإعظامها، وإنّ تكرار لفظة "الأروح" عدة مرات في نصّ

---

(١٨٨)ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية: ٨٠.

(١٨٩)ينظر: الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني الخطابي:٦٦.

(١٩٠) المقامات :١٣٠ومابعدها.

(١٩١) نفسه: ١٩٩.

(١٩٢) المقامات:٢٣٢.

المقامة اللّازوَرْديَّة، كان خدماً للمعنى، إذ حقق استمرارية لهذا النصّ، واتساقاً بين عناصره، وهذا النوع يطلق عليه التكرار المحض مع وحدة المرجع[١٩٣].

ثانياً- التكرار الجزئي: وهو ما يكون باستعمال المكونات الأساسية للكلمة(الجذر الصرفي)وهو نقل العناصر المستعملة إلى فئات مختلفة من اسم، أو فعل[١٩٤]،أي إنّ العنصر المعجميّ يتكرر، ولكن مع شيء من التغيير في الصيغة كما في (المحكومين والحكومات)إذ ترجع إلى مادة (حكم)[١٩٥] ويطلق عليه التكرار المعجميّ المركب أيضاً؛ لأنه يُشرك عنصرين معجميين في مورفيم معجمي واحد[١٩٦]، وإنّ التكرار الجزئيّ أسهم إلى جانب التكرار المباشر في اتساق النصّ، وهذا التكرار يمكن أن يكون على مستوى الجملة الواحدة، أو على مستوى جملتين[١٩٧] ،وكما موضح في الأمثلة الآتية:

١-**الريحان يتولى بَيَان حجتِه: فقال: ((يا آسُ ! لأ جْرحنَّك جرحاً مالهُ من آسٍ))**[١٩٨] فقد كَرّر لفظ (جرح) في مستوى الجملة الواحدة .

٢-((**غيرّ أنّهُ ليس للرجالِ في التطيبِ بك مجالٌ، ولا بينكَ وبينهُم في المودةِ من أسجالٍ، ولا في الموردةِ سجالٍ))**[١٩٩] كَرّر لفظ (أسجال)و (سجال) بشكل جزئي.

٣-((**قد زلزلَ الطاعونُ الناسَ زلزلةً وزلزالاً، وقلقلَ الجلاسَ قلقلةً وقِلقالاً، وصَلْصلَ أصواتَ الناعياتِ صلصلةً وصلصالاً، وأدرجَ كُلَّ ميتٍ في أكفانهِ إدراجاً، ودحرجَهُ في لَحْدِهِ دَحرجةً و دِحراجاً**))[٢٠٠]،كَرّر الجذر الصرفي لأكثر من كلمة منها (زلزل)و(قلقل)و(صلصل)،وهذه الكلمات كما هي واضحة من المثال هي رباعية تأتي على وزن (فعْلَل)؛فإن مصدرها يكون على وزن:(فَعْلَلَةً، وفِعْلالا)،وكذلك هناك تكرار ثانٍ في كلمة (أدرج) على وزن(أفعل)فإن مصدرها على وزن(إفعال) ، ويبدو أنّ الكاتب لجأ إلى هذا التكرار؛ لأنّ به حاجة إلى الجذر الصرفيّ للكلمة، فلا يكرّر الكلمة نفسها مباشرة؛ لأنّها قد لا تؤدي المعنى الذي يرمي إليه؛ لذلك يلجأ إلى الجذر الصرفيّ وما يؤيد صحة ما تقدم يتبين أنّه حينما جاء بهذا التكرار أراد معنى ثانياً، فإنّه في قوله:((زلزل الطاعون الناس):هزهم وحركهم حركة شديدة، و((زلزالاً)): هزة أرضية طبيعية، فشبه الطاعون بالهزة الأرضية

---

(١٩٣)ينظر: نحو النصّ اتجاه جديد في الدرس النحويّ:١٠٧.

(١٩٤) ينظر: مدخل إلى علم لغة النصّ:٧٢، وعلم لغة النصّ النظرية والتطبيق:١٠٦،وفي البلاغة العربية والإسلوبيات اللسانية:٢٤٣، ونظرية علم النصّ:١٠٧،والمعايير النصية في القرآن الكريم:١٦٣،والترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب:٦٧.

(١٩٥)ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصيّة:٧٩.

(١٩٦) ينظر: علم لغة النصّ النظرية والتطبيق:١٠٦.

(١٩٧) ينظر : نفسه :١٤٥.

(١٩٨) المقامات:٤٢.

(١٩٩) نفسه:٧٠.

(٢٠٠) نفسه:٢٠٨.

لقوته بما أحدثه في نفوس الناس وحياتهم، وفي قوله ((صلصل أصوات الناعيات)) :أي أحدث صوتَ ترجيع كل ناعية تبكي موتاها .

ثالثاً- الاشتراك اللفظيّ: وهو التكرار الذي يكون فيه اللفظ الواحد دالاً على معنيين أو أكثر، وذكر أنّه تكرار معجمي غير مقترن بالتكرار في المفهوم، إذ إنّه يتم بتكرار الكلمة بمعنيين مختلفين مثل(ولّى- ولى) بمعنى ذهب – حكم [٢٠١]،أو تكرار الكلمات مختلفة المعنى، إلاّ أنّها متحدة في صورة المعنى، أو هو اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين[٢٠٢]، سنوضحه في أمثلة من المقامات :

١-((**و إذا بها أزرارُ الأزهارِ مجتمعةٍ، وأنوارُ الأنوارِ مُلْتَمِعةٍ...**))[٢٠٣]،فقد كرر كلمة(أنوار) لفظ مشترك، ولكن المعنى يختلف فأنّه أراد بـ(أنوار) الأوّلى: جمع نُور، أمّا الثانية، فهي جمع نَوْر: بمعنى (زهر)[٢٠٤].

٢-((**ولجأنا إلى حِماكَ الّذي هو للعُفاةِ مَلاذٌ، ووردنَا مَنهلَك العَذّبَ الذّي هو كَافل بأنواع الملاذِ،متشرفِينَ إلى عَظِيمِ إنصافِكَ، متشوقينَ إلى كَرِيمِ اتصافِك، لتنشرَ من أوصافِنا ما خَفَا، وتظهرَ مَن خفِي أسرارِنا ما صَفَا، وتلبَسنَا من خلعِ المَلاحةِ ما ضَفا، وتعفو عمّا صدرَ منّا من جفا، وتأخذّ من أخلاقِنا ما عفا، وتُنعِمَ لنا من دُرِّ ألفاظِكَ التي هي شفَا لمن كان على شَفَا**))[٢٠٥]،نجد في هذا النص اشتراك لفظي بين الكلمات، واختلاف في المعنى وهذا بَيّنٌ في((**مَلاذ**) التي بمعنى الملجأ و(**الملاذ**)الذي بمعنى موضع اللذة من الماء) فالكلمتان مشتركتان في اللفظ، مختلفتان في المعنى، ومن الألفاظ أيضاً (**شَفَا**) التي بمعنى الشفاء والبُرء من المرض ، ودواء النقي، و(**شَفَا**) الذي بمعنى الطرف والجرف) وهما مشتركتان في اللفظ ومختلفتان في المعنى.

٣-((**وألقى في قلوبِهم الرعبَ والرغبَ، وأشربُوا في قلوبِهم من الحُبِّ والحَبِ، وخلا البَرَّ من البُرِّ، وصارَ أعزَّ في الوجودِ من الدّرِ**))[٢٠٦] ،في هذا المثال نجد اشتراكاً لفظياً بين الكلمات وكذلك اختلافاً في المعنى، وهذا واضح في كلمة(الحُبّ) التي تعني الود، وهو أيضًا يطلق على وعاء الماء كالزبر والجرة[٢٠٧]، وأيضًا في كلمة (البَرُّ)، فإن فيها مشترك الفظي، أيَّ إنها تعني (البحر) أي الأرض الواسعة وأيضًا تطلق على الفؤاد[٢٠٨].

رابعاً : الترادف:

([٢٠١])ينظر: مدخل إلى علم لغة النص:٨٥.

([٢٠٢]) ينظر: الكلمة دراسة لغوية معجمية: ١٢٤.

([٢٠٣]) المقامات:١٣.

([٢٠٤]) ينظر: لسان العرب: مج ٦/٥١/٤٥٧٣.

([٢٠٥]) المقامات:٥٤.

([٢٠٦]) نفسه : ١٦٦.

([٢٠٧]) ينظر: لسان العرب:مج٢/١٠/٧٤٢.

([٢٠٨]) ينظر: نفسه: مج ١/٤/٢٥٤.

ويعدُّ وسيلة من وسائل الاتساق المعجميّ، ويُسهم في امتداد المعنى داخل النصّ؛ لأنّه يُعدّ شكلاً من أشكال التكرار[٢٠٩]، ويستعمله الكاتب لإبعاد الملل والضجر عن نفس المتلقي ، وهو يُضفي تنوعاً على النصّ[٢١٠].

واختلفَ العلماءُ قدامى ومحدثون في حقيقة وقوع الترادف في العربية، ومنهم من أثبته، ومن هؤلاء سيبويه في قوله :((اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين..، واختلاف اللفظيين، والمعنى واحد، نحو: ذهب وانطلق واتفاق اللفظين والمعنى مختلف، قلت: وجدت عليه من الموجدة، ووجدت إذا أردت وجدان الضالة))[٢١١]، وكذلك عُرّفَ((دلالة الألفاظ المختلفة على معنى واحد))[٢١٢]،ومنهم من أنكره[٢١٣]، وهؤلاء قد التمسوا فروقاً دقيقةً بين معاني الألفاظ التي قيل بترادفها، فيقولون مثلاً:(قعد و جلس) يختلفان بعض الاختلاف؛ لأنّ كل واحد فيه معنى غير الآخر، إذ يقال: قام ثم قعد، فيكون القعود عن قيام، ويقال: كان مضطجعاً فجلس، فيكون الجلوس عن حالة هي دون الجلوس[٢١٤].

ويستعمل الترادف في لسانيات النص بدلا من تكرار الكلمة نفسها؛ لأنّه وسيلة للاتساق النصي، ويطلق عليه (إعادة المحتوى) ويعنيان به تكرار المحتوى بتعبيرات مختلفة مثل (يبتكر – يخترع)[٢١٥]، وهو استبدال تعبيرات سبقت صياغتها في النظام قابلة للتوسع أحياناً[٢١٦]، إذ إنّه يهتم بالمعنى من دون اللفظ، ومن ثمَّ، فإنّ المكرر هو المعنى وليس اللفظ، لذلك يكون المعنى نفسه لصيغتين أو أكثر[٢١٧]، ورد الترادف في مقامات السيوطي، وأراد منه استمرار النصّ واتساق أجزائه، فهو أراد تأكيد أمر ما، ولكنه أكده بالمرادف ومنه ما وقع داخل الجملة الواحدة فكان الربط قصيراً نسبياً[٢١٨]، كما في قوله:

---

(٢٠٩) ينظر :علم لغة النص النظرية والتطبيق:١٠٧.

(٢١٠) نفسه:١٤٩.

(٢١١)ينظر: الكتاب : ١/ ٢٤ ، والأضداد، (قطرب): ٦٩ ، وما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد: ٤٧ ، وفي اللهجات العربية ، د. إبراهيم أنيس : ١٥٦ ، ودراسات في فقه اللغة : ٣٠٠ .

(٢١٢)الألفاظ المترادفة والمتقاربة في المعنى :مقدمة المحقق:٦-٧.

(٢١٣)ينظر : الأضداد ، محمد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٨هـ) : ٧ ، والصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسُنن العرب في كلامها، أبو الحسين أحمد بن فارس(ت ٣٩٥هـ):٩٩،والفروق اللغوية، أبو هلال العسكري:٢٣– ٢٥،والمزهر في علوم اللغة وأنواعها:١/ ٤٠٢– ٤٠٥، وفقه اللغة وخصائص العربية –دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد، د. محمد المبارك : ٣١٨، وعلم الدلالة، أحمد مختار عمر: ٢٢٧ – ٢٢٩.

(٢١٤)ينظر : الصاحبي في فقه اللغة : ٩٩.

(٢١٥)ينظر: علم لغة النصّ النظرية والتطبيق:١٠٨، ونظرية علم النصّ رؤية منهجية في بناء النصّ النثري :١٠٩.

(٢١٦) ينظر: مدخل إلى علم النصّ:١٣١.

(٢١٧) ينظر: علم الدلالة بين النظرية والتطبيق :١٠٧.

(٢١٨) ينظر: علم لغة النصّ النظرية والتطبيق:١٤٩.

١-((**باردٌ في الصيف، حارٌ في الشتاء فهو صالح في كلِّ الأزمان؛ وذلك لأنّهُ: يُسكّن القلق، وينوم أصحاب الأرق...**))[٢١٩]،والعبارات كلها من التوكيد المعنوي الذي تترادف فيه الجمل على المعنى، ومن الكلمات المترادفة في النصّ (بارد ،حار) وأيضًا في ـ(الصيف، الشتاء)، كما نقول أسود أبيض، **والجدول الآتي يبين بعض الترادف الذي ورد في المقامات:**

الجمل	الكلمات المترادفة	المقامة	رقم الصفحة
((وأصحاب المراعي، والمراتع ، والمرابع))	المراتع ــ المرابع	البحرية	١٦٣
(تبرجت بأنواع الإزاهر البهجة لا بالشيح و القيصوم	الشيح ــ القيصوم	الروضة	١٨٨
(ومسحوقة إذا ذرّ في فراش المجدور والمحصوب نفع من العفون)	المجدورــ المحصوب	الوردية	١٩
(باب الإدغام الكبير في اللحود، لكل بدر منير مغرب في الأخدود)	اللحود ــ الأخدود	الدَريّة	٢٠١

فيما تقدم من النصوص ترادف بين (المراتع والمرابع)، لأن المراتع هي المكان أو الموضع الذي ترعى فيه الماشية،، والمرابع هو الموضع الذي يقام فيه زمن الربيع وترعى فيه الماشية، ، والكلمتان (الشيح ، والقيصوم) كلتاهما من النباتات ولكن الشيح نبات من الفصيلة المركبة ذات رائحة طيبة قوية، أما القيصوم نبات ذات رائحة كريهة يكثر في البادية، وفي الكلمتين (اللحود والأخدود) ترادف فإن اللحود وهو جمع لحد يدل على القبر، أما الأخدود هو الشق في الأرض لحد والقبر وهو أوسع وأشمل بالمعنى.

الوسيلة الثانية :التضام أو المصاحبة المعجميّة :

هي الوسيلة الثانية من وسائل الاتساق النصي المعجميّ، يقابلها في الإنكليزية مصطلح (Collocation)، وترجم إلى مصطلحات متعددة في العربية منها: (المصاحبات اللفظية، والمصاحبات اللغوية، التضام ،والمتلازمات، والنظم، والرصف ،والتتابع، والاقتران اللفظيّ) [٢٢٠]، ويرى أحد الباحثين أنَّ عملية اختيار مصطلح ما من بين هذه المصطلحات تخضعُ إلى قياسات تداولية ودلالية وتركيبية ، ثم خلُصَ بعد دراسته لهذه المُقابَلات – اعتماداً على معاييرَ مصطلحيَّةٍ خاصةٍ – إلى ترجيح مصطلح (المصاحبات المعجمية)[٢٢١].

([٢١٩]) المقامات: ٣٣.

([٢٢٠]) ينظر: علم الدلالة :٧٥، لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب:٢٥.

([٢٢١]) يُنظر : المصاحبات المعجمية ، المفهوم والأنماط والوظائف ، لواء عبد الحسن عطية ، رسالة ماجستير ، جامعة كربلاء ، كلية الآداب ، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م : ٢٦ – ٣٨ .

وقد واءمَ أحد الدارسين بين المصاحبة ومعناها اللغويّ الذي جاء بمعنى (المرافقة)[٢٢٢]، وأضاف ما مفاده: أنَّ طبيعة المترافقين في المرافقة تماثل طبيعتهما في المصطلح الوافد، إذ قد يتلازم المترافقان وقد يفترقان، وهما في المصاحبة كما في المرافقة ، فقد يكون اللفظان متناظرين أو متضادين ، ولكنَّ هذا التلازم أو عدمه يحقِّق نمطاً من أنماط العلاقات الرابطة بين الألفاظ في الحالين[٢٢٣].

والمصاحبات المعجمية تعني ورود كلمات متلائمة ، ترتبط بعلاقة معينة في سياق لغوي معين، مثل : النور والظلام ، والشمس والقمر، فما أن يتلقى المستقبل الكلمة الأولى حتى يتوقَّعَ ورودَ الأخرى في موضع ما من النص ؛ لذا عُرِّفت في الدراساتِ اللغويةِ الحديثةِ بأنَّها ((الارتباط الاعتيادي لكلمة ما في لغة ما بكلمات أخرى معينة))[٢٢٤] ، وقريبٌ من هذا تعريفُ محمد خطابي الذي يعني بها ((توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة؛ نظراً لارتباطها بحكم هذه العلاقة أو تلك))[٢٢٥] .

ولتوضيح العلاقة التي تبنيها هذه الوسيلة بين الكلمات يقدِّم الباحثان هاليداي ورقية حسن المثال الآتي:

((ما لهذا الولد يتلوى في كل وقت وحين؟ البنات لا تتلوى))[٢٢٦] .

فكلمتا (الولد والبنات) ليستا مترادفتين ، ولا يمكن أن يكونَ مرجعُهما واحداً ، ومن ثم فليس بينهما علاقة تكرار معجمي ، إلا أنَّ الجملتين تبدوان متَّسقتين بفعل علاقة معجمية بين هاتين الكلمتين هي علاقة التضاد التي جعلت ورودهما يسهم في النصية[٢٢٧] .

ويرتبطُ مفهومُ المصاحبةِ بالنظريةِ السياقيةِ وأصحابِها (العالم الإنكليزي فيرث وأتباعه) ، فمنهجُهم لا يعنى بما تشيرُ إليه الكلمةُ في الخارج ، ولا بما تحيلُ عليه ، وعندَهم أنَّ السياقَ فقط هو ما يكشفُ معنى الكلمة ، فعلاقة اللفظة بلفظة أو ألفاظ أخر في النص هو المَنْهَلُ الوحيدُ الذي تستقي منه معناها[٢٢٨]، والوحدات الدلالية التي تقع متجاورة لا يمكن وصف معانيها أو تحديدها دون ملاحظة الوحدات الأخر المجاورة لها[٢٢٩] ، إذ إنَّ((الكلمة

([٢٢٢]) يُنظر : السبك النصي في القرآن الكريم ، دراسة تطبيقية في سورة الأنعام ، أحمد حسين حيال ، رسالة ماجستير ، الجامعة المستنصرية ، كلية الآداب ، ١٤٣٣هـ – ٢٠١١م : ١٥٣ .

([٢٢٣]) يُنظر : المصاحبات المعجمية (رسالة ماجستير) : ٣٨ .

([٢٢٤]) علم الدلالة، أحمد مختار عمر: ٧٤، وينظر: المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية، د. محمد محمد يونس علي : ١٢٢ .

([٢٢٥]) لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب : ٢٥ .

([٢٢٦]) نفسه : ٢٥ ، نقلاً عن : ٢٨٥ : Cohesion in English.

([٢٢٧]) يُنظر : لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب : ٢٥ ، والبديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية : ١٠٧ .

([٢٢٨]) يُنظر : المعنى وظلال المعنى : ١٢٢ .

([٢٢٩]) يُنظر : علم الدلالة ، د. أحمد مختار عمر : ٦٨ – ٦٩ .

(*) هكذا وردت في النص ، والأفصح : (على الرغم من) .

توجد في كل مرة تستعمل فيها في جوٍّ يحدِّدُ معناها تحديداً مؤقتاً . والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم(*) من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدلَّ عليها ؛ والسياق أيضاً هو الذي يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها، وهو الذي يخلق لها قيمة حضورية . ولكنَّ الكلمة بكل المعاني الكامنة توجد في الذهن مستقلة عن جميع الاستعمالات التي تستعمل فيها، مستعدة للخروج والتشكل بحسب الظروف التي تدعوها))[٢٣٠] . لذا قيل : إنَّ الدور الرابطيّ في الوحدات المعجمية أمر لاحق لنشأة النص، وناتج عنه ؛ لأنَّ بها حاجة إلى النص ليتحدد معناها السياقي النصي فيه[٢٣١] .

إنَّ فوائد الربط التي تحدثها علاقاتُ المصاحبات المعجمية على مستوى النص دفعت اللغوي فيرث إلى البتِّ برأيٍ ملخصُه : إنَّ المصاحبة هي المنهاج الأكثر إفادة ، وإنَّ من الممكن والمفيد جعلَ الدراسات البنائية تدور حول المفردات المعجمية وعلاقاتها[٢٣٢] ، وهذا ما لم يغب عن ذهن صاحب نظرية النظم ، إذ يرى أنَّ علاقاتِ الألفاظ في سياق نص ما علم شريف ، يظهر معانيها ، ويبيِّنُ دلالات نظمها، وذلك قوله : إنَّ ((الألفاظَ المفردةَ التي هي أوضاعُ اللغة، لم توضَع لتعرفَ معانيها في أنفسها، ولكن لأن يُضَمَّ بعضُها إلى بعض، فيعرف فيما بينها فوائد . وهذا علمٌ شريف، وأصلٌ عظيم))[٢٣٣] محللاً في ضوء هذا الغرض قوله تعالى : ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وغيض الماء وقضى الأَمرُ واستوت على الجودِي وقيل بُعداً لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (هود:٤٤)؛ليثبت أن إعجاز القرآن لا يتمثَّلُ في ألفاظه ، أو معانيه ، أو تراكيبه فقط ، ولكنَّه يتمثَّلُ في ضمِّ ألفاظه ومعانيه بعضها إلى بعض في نسق لغوي محكم[٢٣٤] ، وهذا أساس من الأسس التي بنى عليها الجرجاني نظريتَه .

وتشكل ظاهرة التضام عند بعض الباحثين نظرية مستقلة يسمونها(نظرية التضام) والبعض الآخر لا يرى ذلك بل يعدَّها امتداد للنظرية السياقية[٢٣٥]، ولها أثر في تقريب المعنى المراد عندما يكون للمفردات أكثر من معنى، وبهذا تقوم بما يحتاج إليه فهم النصّ من قرائن أدائية–مقالية– وعقلية وحالية[٢٣٦]،وأشار سيبويه إلى هذا المفهوم في باب (المسند والمسند إليه)،إذ يرى إنّ طرفي الإسناد متضامتان أي لا يستغني أحدهما عن الآخر[٢٣٧]،

---

(٢٣٠) اللغة ، ج . فندريس : ٢٣١ – ٢٣٢ .
(٢٣١) يُنظر : أصول تحليل الخطاب : ١/ ١٤٣ .
(٢٣٢) يُنظر : المعنى وظلال المعنى : ١٢٢ .
(٢٣٣) دلائل الإعجاز : ٥٣٩ .
(٢٣٤) يُنظر : دلائل الإعجاز : ٤٤ – ٤٦ ، والمعايير النصية في القرآن الكريم : ٢١ – ٢٢ .
(٢٣٥) علم الدلالة :٧٤.
(٢٣٦)اللغة العربية معناها ومبناها:١٩١-١٩٣.
(٢٣٧) ينظر: الكتاب :٢٣/١.

ومعنى التضام يقترب من فكرة النظم التي أشار إليها عبد القاهر الجرجاني،ويصنف علماء النصّ العلاقات المعجمية الخاصة بالمصاحبة المعجمية على النحو الآتي[٢٣٨]:

١- التضاد، مثل: ضوء، ظلام /جلوس، وقوف/جنوب، شمال.

٢- علاقة الكل بالجزء، مثل: السيارة، الإطار/ الصندوق ،الغطاء.

٣- علاقة الجزء بالجزء، مثل: العين ،الأنف.

٤- علاقة التلازم الذكري ،مثل :الدخان ،النار/النكتة ،الضحك.

٥- الدخول في سلسلة مرتبة، مثل: كانون الثاني ،شباط، آذار....

ويبدو أنّ هذه العلاقات ليست كلها من المصاحبات المعجميّة، ولكن تحديدها أمرٌ ليس باليسير؛ لأنّ أنواع تواردها متنوعة ومعقدة، وهي تستلزم وصف اللغة وصفاً دلالياً شاملاً، وتحليل هذه العلاقات يعتمدُ على المعرفة المسبقة للقارئ بالكلمات في سياقات متشابهة، وفهم تلك الكلمات في سياق النص المترابط؛ لذلك فهي تعدّ أكثر أنواع الاتساق المعجمي صعوبة في التحليل[٢٣٩]، ويمكن تجاوز هذه الصعوبات بخلق سياق تترابط فيه العناصر المعجمية اعتماداً على حدسه اللغوي، ومخزونه الثقافي، ومعرفته بمعاني الكلمات وعلاقاتها، ما يسمح له بالقول: إنّ هذه الكلمة أشدّ ارتباطاً بهذه المجموعة من أي مجموعة أخرى[٢٤٠]، ومن النماذج التي تدل على المصاحبة المعجمية(التضام) في المقامات كما يأتي :

١-((**ذاتُ ألوانٍ وأفنانٍ، وأكمامٍ و أكنانٍ**)) [٢٤١]، وقع التضام بين كلمتي(**أفنان، أكمام**)، إذ أنَّ(**أفنان**) جمع فنن، وهو الغصن المستقيم من الشجرة ، أما (**الأكمام**)؛فهي جمع كِمّ بكسر الكاف، وهو بُرعوم الثمرة، ووعاء الطلع ،وغطاء النّوْر.

٢-((**فلمَّا استهلَ جمادُ الآخرةِ، هجمَ الهجمةَ الكبرى ، وعاثَ في الناسِ بحراً وبراً، وكَم أخلى قصراً، و ملأَ قبراً، فأخذَ البنينَ والبناتَ، والفتيانَ والفتياتَ... وكَم أخذَ من بنينَ نفائسَ ومن بناتِ عرائسٍ**))[٢٤٢]، يلحظ على النص السابق الذكر بكثرة الكلمات المتضادة ، ومن بينها(بحر وبر) ،و(قصر وقبر) ،و(البنين والبنات) ،و(الفتيان والفتيات)، وثمة نوع من التضاد في النص هو بين عبارتين بأكملهما في قوله(**وكم أخذ من بنين نفائس ومن بنات عرائس**)).

([٢٣٨])ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب:٢٥،والبديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية:١٠٨،ونظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري:١١١-١١٦.

([٢٣٩]) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق:١٠٩.

([٢٤٠]) ينظر: لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب:٢٣٨.

([٢٤١]) المقامات:١٣.

([٢٤٢]) نفسه:١٩٦.

٣-((**قد رفعَ بابَ الندبةِ وفتحَ بابَ النسبةِ، وخفضَ بابَ الكربةِ، فالحمدُ للهِ على حُسنِ التصريفِ، والإراحةِ من أدلةِ التعريفِ**))[٢٤٣]،وقع التضاد بين أسمين(**الندبة**) ويعني البكاء والحزن على الميت، و(**الكُربة**) الغم والحزن الذي يأخذ بالنفس.

٤- قال السيوطي:((**فلما سمعتِ الرياحينُ هذه الأحاديث، أطرقوا رؤوسَهم خاشِعينَ، وظلت أعناقُهم لها خاضعين، ودخلُوا تحت أمره سامِعينَ طائعينَ، ومدّوا أيديهم له مبايعين بالإمرةِ ومتابعين**)[٢٤٤]

في هذا النص كلمات مترادفة كما في(**رؤوسهم ،وأعناقهم**)؛لأن الرؤوس غير الأعناق وذلك واضح في النص؛ لأنه أعطى لكل جزء صفته الخاصة التي يجب أن يتصف بها، فجاءت الرؤوس خاشعة لا تكون خاضعة، وجاء بالأعناق خاضعة؛ لأنها لا يمكن أن تكون خاشعة، وهذا مادل علية القرآن الكريم **في قوله تعالى﴿فَظَلَّتَ أَعنَاقُهُم لهَاَ خَاضِعِينَ﴾ الشعراء:٤.**

٥- ((**فوقف مد النيل عن الامتداد،وبدأ فيه النقصان بعد الازدياد**))[٢٤٥] بين الكلمات في النص مصاحبة بين النقصان والازدياد، فزيادة الشيء تأتي بعد نقصانه فيكون مصاحب للنقصان.

٦- ((**وقد كسر بَاب الأنافة ،ورفع باب الإضافة**)[٢٤٦] أما المصاحبة المعجمية بين كلمتي(**الأنافة والإضافة**) الأولى بمعنى الزيادة للشيء من دون أن يجد نقصاً فيه، أما الإضافة هو أن أحداً يضيف أحداً، أو يزيده شيئاً.

ونخلص ممّا تقدم إلى أن وسائل الاتساق المعجمي في مقامات السيوطي قد تنوعت فمنها التكرار والمصاحبة المعجمية، وأسهم التكرار بالاستمرارية الدلالية بتكرار الكلمات والتراكيب أو معانيها، مما أدى إلى تتابع أجزاء النصوص وترابطها، وتكرار الكلمات المكرر لم تكن تحمل الدلالة نفسها بصورتها النهائية، أي إنَّ الوحدة المكررة ليست الوحدة السابقة، بل اكتسبت معنى آخر، وهذا هو المسوغ لوجودها مرة أخرى في بنية النصّ، وبالمعنى الجديد ارتبطت الوحدات النصية الكبرى بالوحدات الصغرى ، وعملت المصاحبة المعجمية على تسهيل فهم النص بإظهار ترابط الكلمات والجمل، فيسهل على السامع أو القارئ فهم النصّ، إذ يتم توصيل المعلومات إليه بصورة تدريجية .

---

(٢٤٣) نفسه :٢١٣.

(٢٤٤) نفسه:٥٠.

(٢٤٥) المقامات:١٦٢.

(٢٤٦) نفسه:١٦٩.

المبحث الثاني
الاتساق النحوي

توطئة

يُمثلُ هذا النوع من الاتساق أدوات لغوية ظاهرة، وهي الأجزاء السطحية التي تكوّن الوحدة الكبرى للنص، تقع على مستوى أفقي يتكون من وحدات نصية صغرى تربط بينها علاقات نحوية[٢٤٧]،من شأنها أن تخلق النص، وتسهم في وحدته الشاملة وتجعله يتصف بالنصية[٢٤٨].

وللباحثين أقوال متعددة في هذه الوسائل، تختلف من باحث إلى آخر[٢٤٩]،((ومردُ هذا الاختلاف إلى كيفية تحليل النص، وإلى تعدّد المصطلحات التي يمكن إطلاقها على كل وسيلة من وسائل التماسك، ولكن المتأمل في تعدُّد هذه الوسائل عند الباحثين يجد منها قدراً مشتركاً بينهم لابد من توافرهُ في تحقيق التماسك))[٢٥٠]،وهذه الوسائل عند أغلب الدارسين هي[٢٥١]:(الإحالة- والاستبدال -والحذف -والربط النحوي).

أولاً-الإحـــــالة:

يطلق على مفهوم الإحالة تسميات مختلفة فهناك من يسميها (المرجعية)[٢٥٢]، ومنهم من يسميها (الإعادة) ويريد بها الإحالة والتكرار معاً[٢٥٣]. وتعد مادة أولية يتكئ عليها محلل النص كي يتبين مدى اتساق نصه، وهي من أهم الأدوات التي تحقق الاتساق؛ إذ ((تتوفر كل لغة طبيعية على عناصر تملك خاصية الإحالة))[٢٥٤]، وتعرّف بأنها ((العلاقة القائمة بين الأسماء ومسمياتها))[٢٥٥]؛ إذ إنّ الأسماء تحيل إلى المسميات.

ويعرّفها د. عباس الأوسي بأنها ((علاقات بين عناصر السياق اللغوي بمستوييه الشكلي والدلالي على مستوى الجملة والنص بأسره وارتباط تلك العناصر بالعالم الخارجي فيرتبطان ارتباطاً سببياً، قصد المنشئ بها تماسك

([٢٤٧]) ينظر: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات :١١٩ .

([٢٤٨]) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب:١٣ .

([٢٤٩])ينظر: نحو النص بين الأصالة والحداثة:١٢٤-١٣٣، والاتساق في نهج البلاغة(رسالة ماجستير):٨٧.

([٢٥٠]) نحو النص بين الأصالة والحداثة:١٢٤-١٢٥.

([٢٥١]) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب:١٦-٢٤،وعلم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق:٢٥٧/١.

([٢٥٢]) ينظر: علم اللغة النصي، د. صبحي إبراهيم الفقي: ١٢١/١.

([٢٥٣]) ينظر: التحليل اللغوي للنص، كلاوس برينكر: ٣٨-٦٢.

([٢٥٤]) لسانيات النص، محمد خطابي: ١٧.

([٢٥٥]) تحليل الخطاب: ٣٦.

النص واتساقه، وفسح المجال للمتلقي للقراءة والتأويل))[٢٥٦]. وتطلق تسمية العناصر الإحالية – حسب الأزهر الزناد– ((على قسم من الألفاظ التي لا تملك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب، فشرط وجودها هو النص))[٢٥٧]، ويتصل ((النص الممتلك للعناصر الإحالية بعنصرين ضروريين محال ومحال إليه، وكلاهما يمتلك نفوذاً داخل النص...، وتحديدهما موكول إلى ثقافة المتلقي وسياق النص))[٢٥٨]؛ ولذلك عُدّت الإحالة علاقة ((بين العبارات والأشياء (Objects) والأحداث (Event) والمواقف (Situations) في العالم الذي يُدَل عليه بالعبارات ذات الطابع البدائلي (Alternative) في نص ما؛ إذ تشير إلى شيء ينتمي إلى نفس عالم النص))[٢٥٩]، وقد اختلف المؤلفون من باحثين ومترجمين في تقسيمهم للإحالة وتسميتهم لهذه الأقسام، فنجد بعضهم قسمها ثلاثة أقسام، وأغلبهم قسمها قسمين؛ ولكنهم اختلفوا أيضاً في تسميتها وترجمتها.

فعدّهما محمد خطابي (مقاميّة ونصيّة)[٢٦٠]، وعدّهما محمد الشّاوش (مقاميّة ومقاليّة)[٢٦١]، وعدّهما الأزهر الزناد (معجميّة ونصيّة مقطعيّة)[٢٦٢]، وعدّهما الفقيّ (خارجيّة وداخليّة ونصيّة)[٢٦٣]. ومن خلال النظر الدقيق لكل هذه التقسيمات نجدها تقع على نوعين:

١- إحالة مقاميّة أو خارجيّة: وتشمل المستوى الخارجي الذي يقوم على وجود ذات المخاطب خارج النص. ولا يستقيم النص بإغفاله.

٢- إحالة مقاليّة أو داخليّة: وهي مستوى داخلي يختص بالنص المدروس، ويمثلها تركيب لغوي يشير إلى جزء من عناصر النص التي ذكرت فيه صراحة أو ضمناً، وهي قسمان:

(أ) إحالة سابقة: وفيها تستعمل كلمة ما بديلاً لكلمة أو مجموعة من الكلمات السابقة لها في النص.

(ب) إحالة بعديّة أو لاحقة: وتكون فيها كلمة ما بدلاً لكلمة أو مجموعة من الكلمات اللاحقة لها في النص[٢٦٤]، ((وأبرز أبواب النحو العربي توضيحاً لها (ضمير الشأن)[٢٦٥].

أما الإحالة المقاميّة أو الخارجيّة فهي: الإتيان بالضمير للدلالة على أمر ما غير مذكور في النص مطلقاً غير أنه يمكن التعرف عليه من سياق الموقف، ويطلق عليه (الإضمار لمرجع متصيّد أو (الإحالة لغير مذكور)[٢٦٦].

([٢٥٦]) الإحالة في القرآن الكريم: ١٧.

([٢٥٧]) نسيج النص: ١١٨.

([٢٥٨]) تحليل الخطاب الشعري، ثنائية الاتساق والانسجام، فتحي رزق الخوالدة، (رسالة ماجستير): ٤٥.

([٢٥٩]) النص والخطاب والإجراء: ٣٢٠.

([٢٦٠]) ينظر: لسانيات النص: ١٧.

([٢٦١]) ينظر: أصول تحليل الخطاب: ١٢٥/١.

([٢٦٢]) ينظر: نسيج النص: ١١٩.

([٢٦٣]) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ١/ ٧٠.

([٢٦٤]) ينظر: نحو النص، عثمان أبو زنيد: ١٠٦.

([٢٦٥]) علم اللغة النصي: ١/ ٤٠.

([٢٦٦]) ينظر: نحو النص، د. أحمد عفيفي: ١١٧-١٢١.

وقد وضّح (دي بوجراند) الإحالة لغير مذكور، فذكر أن الكنائيات تعود ((إلى أمور تستنبط من الموقف لا من عبارات تشترك معها في الإحالة في نفس النص أو الخطاب... وتعتمد الإحالة لغير مذكور في الأساس على سياق الموقف (Context) شأنها في ذلك شأن الإحالة لمذكور (Anaphora) سابق والإحالة لمتأخر (Cataphora)))[٢٦٧]. وباجتماع هذه العناصر المقاميّة والنصيّة ((تقوم شبكة من العلاقات الإحالية بين العناصر المتباعدة في فضاء النص، فتجتمع في كل واحد عناصره متناغمة... إذ تختصر الوحدات الإحالية العناصر الإشارية وتجنب مستعملها إعادتها وتكرارها))[٢٦٨]. وفي ضوء هذا الفهم، سيتم الكشف عن خيوط هذه الشبكة في مقامات السيوطي من خلال وسائل الاتساق الإحالية الآتية.

❖ عناصر الإحالة:

عناصر الإحالة التي تُعْتَمَد لتحديد المحال إليه داخل النصّ أو خارجة[٢٦٩]،هي عند بعض الدارسين: الضمائر، وأسماء الإشارة، وصيغ المقارنة[٢٧٠]، فيما أضاف بعضهم وسائل أُخر منها: الأسماء الموصولة، وأل التعريف، وبعض العناصر المعجمية[٢٧١]، وسَيَعْمَدُ البحثُ فيما يأتي من سطور إلى الكشف عن العلاقات الإحالية وأثرها في اتساق نصوص مقامات السيوطي، مُبْتَدئاً بالضمائر، فأسماء الإشارة ،فصيغ المقارنة، ثم الأسماء الموصولة.

أوّلاً –الإحالة بالضَّمائر:

معطيات الدراسات اللسانية النَّصِّيَّةِ تجعلُنا نتجاوز النمط القديم الذي تناول بهِ أسلافنا قضية الإحالة عند حديثهم عن الضمير ومفسره إلى ما تقوم به الضمائر من وظيفة اتساقية، بربط الجمل فيما بينها، وضمَّ بعضها إلى بعض، وقد عنى علماء النصّ بالضمائر وأسهبوا في الحديث عنها؛ لأهميتها في تحقيق اتساق النصّ الكليّ والدلاليّ، ولذلك نجدها الأصلَ في الربط، والإحالات بها هي الأكثر شيوعاً[٢٧٢]،وقد قَسّموا الضمائر على [٢٧٣] :

([٢٦٧]) النص والخطاب والأجراء: ٣٣٢.

([٢٦٨]) نسيج النص: ١٢١.

([٢٦٩])ينظر: الإحالة في نحو النصّ(بحث):١٧، والنصّ والخطاب والإجراء : ٣٢٠ ، ونسيج النصّ بحث في ما يكون به الملفوظ نصًّا:١١٥.

([٢٧٠])يُنظر : لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب : ١٧ ، وأصول تحليل الخطاب : ١٢٦.

([٢٧١])ينظر : نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي : ١١٨، ونظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري : ٨٣، وعلم لغة النص النظرية والتطبيق: ١٧٦، وقضايا في اللغة واللسانيات وتحليل الخطاب : ٥٨.

(٢٧٢)ينظر : قضايا في اللغة واللسانيات وتحليل الخطاب : ٥٦ ، ٦٢.

(٢٧٣)يُنظر : لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب : ١٨.

١-الضمائر الوجودية : وهي(أنا، أنت، نحن ، هو ،هم ،هن ...ألخ) وهي ضمائر منفصلة وتُشير إلى المتكلم والمخاطب والغائب.

٢-ضمائر ملكية : وهي الضمائر المتصلة مثل (كتابي، كتابك، كتابهم ،كتابه، كتابنا...ألخ)وأيضاً تُشير إلى المتكلم والمخاطب والغائب.

وميَّز الباحثان هاليداي ورقية حسن من زاوية الاتساق بين نوعين من الضمائر: الأوّل سَمَّيّاه بـ(أدوار الكلام)،وتندرجُ تحته كل الضمائر الدالة على المتكلم والمخاطب ، وتكون الإحالة فيه مقامية خارج النص، والثاني ما أطلقا عليه(أدواراً أخرى)، ويخلفُ هذا النوع من الضمائر أثراً مُهمًّاً في اتساق النص، فهو يربطُ أجزاءَهُ، ويصل بين أقسامه، تتدرجُ ضمنّه ضمائر الغيبة إفراداً وتثنية وجمعاً[٢٧٤] .

وتركت الإحالة الضميرية أثراً واضحاً في تشكيل نسيج المقامة، إذ أسهمت بجميع أنواعها في الربط بين الكلمات في المقامة الواحدة بحسب طبيعة الموضوع الذي تتحدث عنه؛ لأنّ الضمائر أبرز الأدوات التي يستعملها الكُتّاب أو المتكلمون.

في مقامات السيوطي بلغ عدد الضمائر المحيلة(٤٧٢) أربعمائة واثنتين وسبعين إحالة ضميرية موزعة بين جميع نصوص المقامات، وكان لضمائر الغيبة الحظ الأوفر في نصوص المقامات،إذ بلغ عددها (٢٢٣ مئتين وثلاثة وعشرين) ضميراً تُحيل إلى مرجع مشار إليه داخل النص، وهي إحالة نصيّة (داخلية) بنوعيها أحالة على (سابق أو لاحق)،ولنتأمل الأمثلة الآتية:

١-((...**قال: مررتُ يوماً على حديقةٍ خضرةٍ نَضِرةٍ أنيقةٍ، طُلُولها وَدِيقةٍ، وأغصانِها وريقةٍ، وكوكبِها أبْدى بريقه، ذاتَ ألوانٍ وأفنانٍ، وأكمامٍ وأكنانٍ، وإذا بها أزرارُ الأزهارِ مجتمعة**))[٢٧٥]، فتماسك الجمل في [المثال الأول]وارتبط الكلام بعضه ببعض بعودة الضمائر المتصلة إلى الحديقة وضمير المستتر في الفعل(قال) والمخاطب في[مررتُ]التي تعود على الراوي، فأحالت جميع أنواع الضمائر إحالية قبلية.

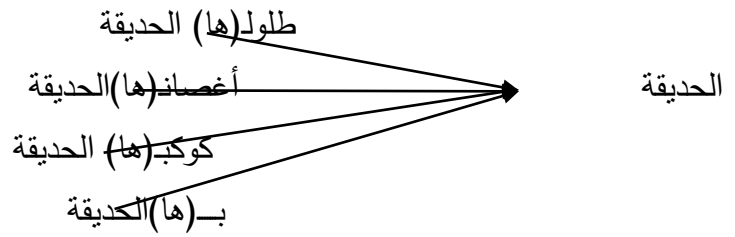

(٢٧٤)يُنظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٨.

(٢٧٥)المقامات :١٣.

٢-((**فهجمَ الوردُ بشوكتِهِ، ونجّمَ من بين الرياحينِ مُعْجَباً بإشراقِ صورتِهِ، وإفراقِ صولتِهِ، وقال: أنا الوردُ مَلِكُ الرياحينِ،والوردُ منعشاً للأرواحِ ومتاعاً لها إلى حينٍ،ونديمُ الخلفاءِ والسلاطينِ**))[٢٧٦]،والضمائر في هذا المثال تنوعت بحسب الأدوار، فشملت ضمائر متصلة ومستترة، وقد أحالت كلها إحالة داخلية قبلية أما الضمير المنفصل(أنا)؛فهو إحالة داخلية بعدية وسنوضح ذلك بالجدول الآتي:

نوع الضمائر	عددها	العناصر المحيلة	المحال عليها	نوع الإحالة
الضمائر المتصلة	٤أربعة	شوكته	الورد	نصية-قبلية
		صورته	الورد	نصية-قبلية
		صولته	الورد	نصية-قبلية
		لها	الأرواح	نصية-قبلية
الضمائر المستتر	٢أثنان	نجم(هو)	الورد	نصية-قبلية
		قال(هو)	الورد	نصية-قبلية
الضمائر منفصلة	١ واحد	أنا	الورد	نصية- بعدية

وقفةً عند هذا الجدول آنف الذكر يتبين منها الآتي:

أ-كل الإحالات الواردة في هذا الجدول إحالاتٌ نصيّةٌ قبليةٌ، وفي هذا تأكيد لما قاله بعض الباحثين من أنَّ هذا النوع هو الأكثر دوراناً في الكلام[٢٧٧]، الاّ إحالة واحدة بعدية في (أنا).

ب-جميع الضمائر الواردة في الجدول تُحيل إلى نواةٍ واحدةٍ هي لفظة(الورد)،وفي وحدةِ النواةِ وكثرة الضمائر التي تحيل إليها تحقق الاتساق في النص ووحدته الدلالية ، وزيادة في قوة الربط على الاتساق، و دعمٌ لسمة النصّية[٢٧٨].

٣-((**حضرَ أمراءُ الطَّيبِ بين يديِّ إمامٍ في البلاغةِ خطيبٍ؛ فقالوا: أيدَ اللهُ مولانا وتولاهُ، وأمدهُ بالمكارمِ وولاهُ، وأولاهُ من نعمهِ، وما أجرهُ بذلك وأولاهُ، وحرسَهُ من المكارهِ و وقاهُ، وأصعدهُ إلى ذروةِ المجدِ ورقاهُ ،أنّا معشرُ إخوانٍ ،وعلى الخيرِ أعوانٌ، نرصدُ للخيرِ، ونقصدُ لدفعِ الأذى والضيرِ، لا يُرى منّا مكروهُ وإذا قصدنا عافٍ*لم يرعَه منّا ما يسوءهُ، ولم يسوؤه منّا ما يعرُوهُ**))[٢٧٩]،ومن الواضح أنّ الضمائر قد وسقت النصّ بعقدها شبكة إحالية كما مبين بالشكل الآتي:

([٢٧٦])المقامات:١٤.

([٢٧٧])ينظر : نسيج النص : ١١٩ ، والمعايير النصية في القرآن الكريم : ١٠٣.

([٢٧٨])ينظر : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ١/ ٢٠٣، وقضايا في اللغة واللسانيات وتحليل الخطاب : ٦٠ ، ٦٢.

([٢٧٩]) المقامات :٥٢.

(*)عافٍ: العافي: الضيف وكل طالب معروف فهو عافٍ :ينظر مقامات السيوطي:٥٣.

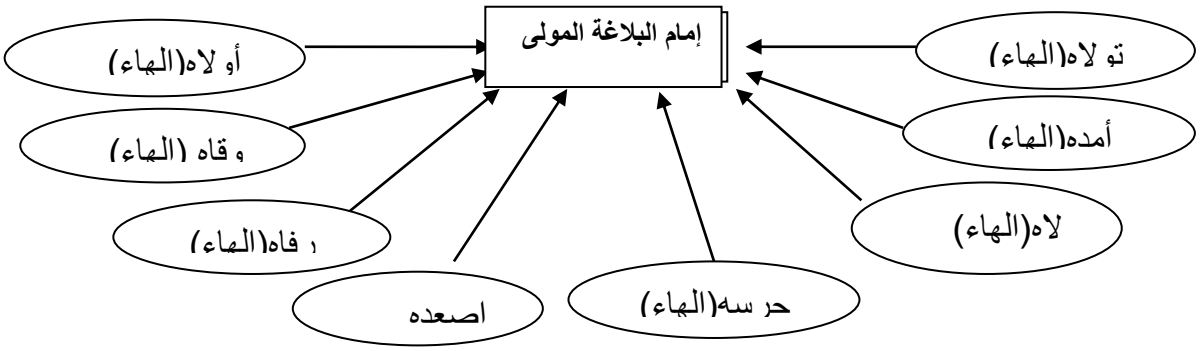

يلحظ من المخطط أنّ الضمائر تعود كلّها إلى مرجع واحد وهو (المولى) في المقامة ،مكونةً شبكة تدور حول هذا المرجع وهذه أحدى مقومات خلق النصّية؛ إذ إنّ المحال إليه لو برز مكان كلّ ضمير في النصّ لعملَ على هلهلته، وملئه بالحشو، ويتضمن الاتساق، بصورة مستمرة، مبدأ الاختزال الذي بوساطته يمكننا تكثيف رسائلنا، متقين بذلك التعبير المكرر عن الأفكار المعادة[٢٨٠] ،وفي النصّ أيضاً ضمائر تحيل إلى مرجع واحد وهو(أمراء الطيب) ويمكن أنّ نلحظ بأنّ هذه الضمائر أحالت إحالة ذات المدى البعيد؛ لأنّهُ أُحيل إليها بعد عدد من الجمل، وهذه الضمائر جميعها أحالت إحالة داخلية قبلية، وتوجد إحالة قبلية في الكلمات (يرعَه،و يسوءهُ، ويسوؤه، ويعرُوه)فيها ضمائر تعود إلى (عافٍ).

أما ضمائر المخاطب؛ فكان لها الأثر الواضح في اتساق النصّ والربط بين الكلمات في المقامة الواحدة بعد ضمائر الغيبة التي تم ذكرها بحسب طبيعة الموضوع الذي تتحدث عنه؛ إذ بلغ عددها(١٤٢مائة وأثنين وأربعين) موزعة بين جميع نصوص المقامات، ولنتأمل الأمثلة الآتية:

١ –(**فقامَ النرجسُ على ساقٍ، ورمى الوردَ منهُ بالأحداقِ، وقالَ: لقد تجاوزَتْ الحدَّ يا وردُ، وزعمَتْ أنَّكَ جمعٌ في فردٍ، أنْ اعتقدتَ أنَّ لكَ بحمرتِكَ فخرةً، فإنَّها منكَ فجرةٌ،وأنْ قُلتَ: أنَّكَ النافعُ في العلاجِ، فكم لكَ في منهاجِ الطبِ من هاجٍ ،ألستَ الضارُّ للمزكومِ،...،أتغترُ ببُرْدِكَ القشيبِ وأنت الجالبُ للمشيبِ؟ فاحفظْ – بالصمتِ– حرمتَكَ، وإلاَّ أكسرُ بقائمِ سيفي شوكتَكَ**))[٢٨١]،تحيل أغلب الضمائر في المثال السابق سواء أكانت هذه الضمائر ظاهرة أم مستترة إلى (الورد)، كما هو موضح بالمخطط الآتي:

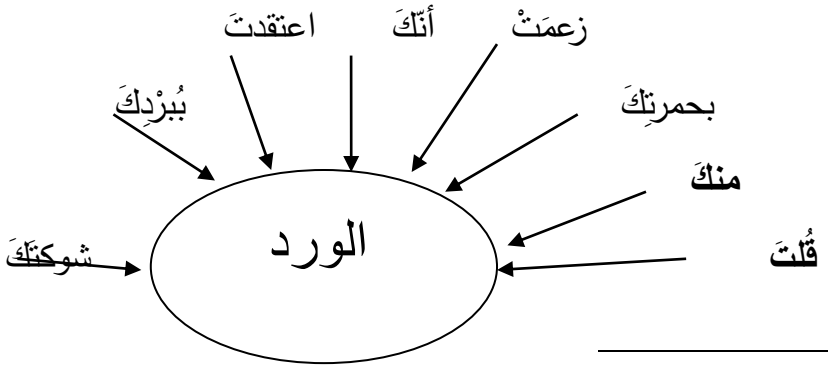

(٢٨٠) ينظر: لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب:٢٢٨.

(٢٨١) المقامات :٢١، ٢٢.

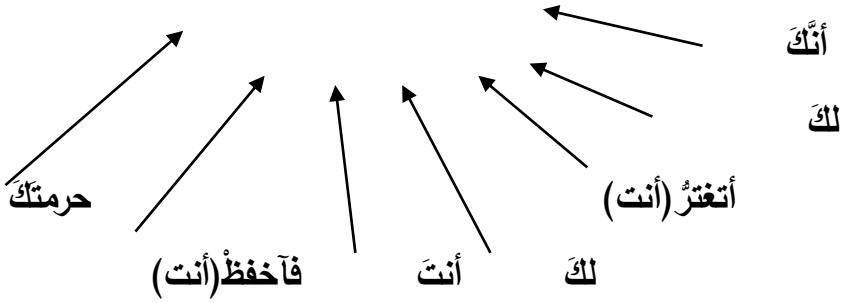

تركت الضمائر المتصلة والمستترة أثراً واضحاً في تماسك أجزاء الكلام، لكونها تعود إلى مرجع واحد وهو" الورد"، وهي إذن مرتبطة به شكلاً ودلالة، وفضلاً عن ذلك فإنها أحالت كلها إحالة داخلية قبلية، وأمَّا الضمير المستتر(أنت) في الفعل(تجاوزت)فقد أحال إحالة داخلية بعدية ومن هنا يتضح أثر هذا العنصر الاتساقي في خلق تلاحم أجزاء النص والحفاظ على استمراره[٢٨٢].

٢- **((فقامَ البانُ، وأبدى غايةَ الغضبِ وأبانَ وقالَ: لقد تعديتَ يا "ياسمينُ" طورَك، وأبعدتَ في المدى غورَك، وكونكَ أضعفُ الكونِ، وكثرةُ شمِّكَ تصفرُ اللونُ، وإذا سُحقَ منكَ اليابسُ ورضَّ، وذُرَّ على الشعرِ الأسودِ إبيضَّ، وإذا قسمَ اسمُكَ قسمينَ صارَ ما بين: ياس ومين، وإنْ ذكرَت نفعكَ فأنت كما قيلَ لا تساوي جمعَكَ))**[٢٨٣].

تنوعت الضمائر في هذا المثال حسب أدوار المتكلمين، فشملت ضمائر متصلة وأخرى منفصلة،وقد أحالت إحالة داخلية قبلية ذات مدى قريب، وهي تعود إلى مرجع واحد وهو(الياسمين)يتضح ذلك من المخطط الآتي:

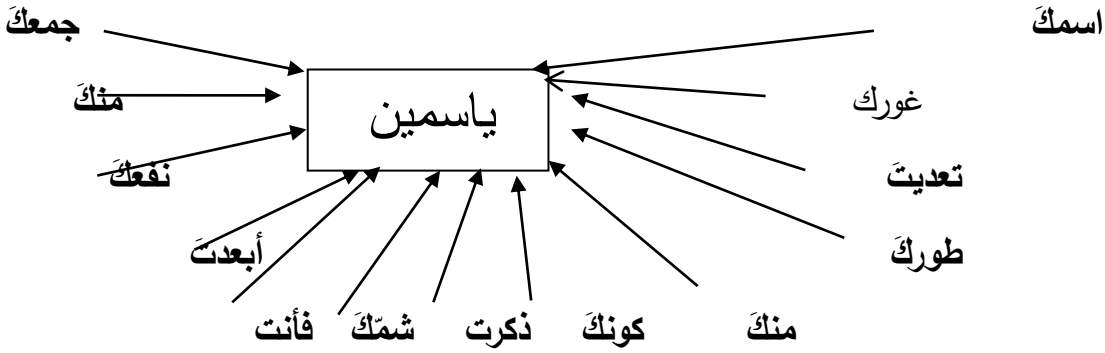

ونلحظ وجود إحالة داخلية بعدية في النص تعود على (الياسمين) في الضمير المتصل (ت) في الفعل (تعديت) كما سبق وأن أشرنا في الأمثلة السابقة، فأفادت الإحالات الضمائرية بذلك سمت الاختزال.

([٢٨٢]) ينظر قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، من الجملة إلى النص:١٤٦.

([٢٨٣]) المقامات :٥٢.

١-((**مرحباً بالكرامِ الزورِ، أعيذَكُم باللهِ من الجورِ، ومن الحورِ بعد الكورِ، وأقامَكُم في أحسنِ طورٍ، وقطعَ عنكُم التسلسلِ والدورِ، مثلَكُم من إذا سألَ يُجابَ، وإذا دعا فلَهُ يُستجابُ، ثناؤكُم المستطابُ، ونشرَكُم يملأُ الوطابُ، وبكُم تَتَجملُ الخطابُ، وسآتيكم بالحكمةِ وفصلِ الخطابِ**))[٢٨٤].

تُشير ضمائر المخاطب في المثال السابق إلى أكثر من مرجع ففي بداية النصّ كانت الإحالة إلى (أمراء الطيب) وجميع هذه الإحالات كانت إحالة نصية داخلية على سابق، وهناك إحالة ذات المدى البعيد تواجدت في فضاء النصّ في كلمة (سآتيكم)حيث إحالة ضمير المخاطب(الكاف)إلى شخصية الخطيب الذي ذُكر في بداية النص:

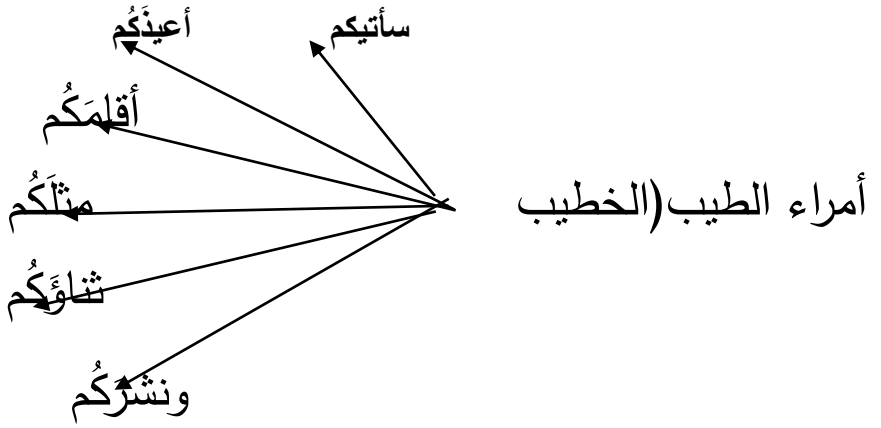

وفي(أُعيذكم، ومثلكم) كلها مكرر مرتين أحدهما محذوفة للعطف والدلالة على المحذوف بالمتقدم وهما (أُعيذكم من االحور بعد االكورِ)، و(مثلكم إذا دَعَا إليه يستجاب).

وضمائر المتكلم لم تقل أهمية عن ضمائر الغيبة والمخاطب، فقد كان لها الحضور الواضح في فضاء المقامات جميعها؛ إذ أنّها جاءت على أشكال تارةً متصلة وأخرى منفصلة حسب ادوار المتكلمين وبلغ عددها في جميع المقامات(مئة ضمير وضمير واحد١٠١)،وسنوضح ذلك بذكر بعض الأمثلة :

١-((**الحمدُ للهِ الذي خلقني حَسِنَ التقويمِ، وجعلني أبهى في العينِ من الدّرِّ النظيمِ، وشرفني على كثيرٍ من الأقرانِ ؛حيث ذكرني بصريحِ أسمي في القرآنِ الكريمِ في قولهِ تعالى في سورةِ الرحمنِ :{كأنهن الياقوت والمرجان} [٥٨/الرحمن] وقدمني في الذكرِ، وذلك يدلُ على أني من المرجانِ أنبهُ، وأشرفُ منهُ مقاماً وقواماً ورُتبةً**))[٢٨٥].

ونلحظ حركة ضمير المتكلم الذي يحيل إلى(جوهر الياقوت) في هذا النصّ، وهناك ضمير آخر هو الغائب يُحيل إلى الله سبحانه وتعالى كما في الجدول الآتي:

([٢٨٤]) المقامات :٥٦.

([٢٨٥]) نفسه :١٣٢.

المحال إليه	الإحالة	العنصر المُحيل	نوع الإحالة
الله سبحانه وتعالى	خَلقَني	الضمير المتصل(الياء)والغائب(هو)	نصيَّة- قبليَّة
	جَعلَني	=	=
	شَرّفني	=	=
	ذكرَني	=	=
	قدَّمَني	=	=

ويتضح من الجدول آنف الذكر أن الإحالات الواردة هي إحالاتٌ نصيّةٌ قبليةٌ، وجميعها تعود إلى الله سبحانه وتعالى، وبعد إنعام النظر في النصّ يتبين لنا فضائل الله سبحانه وتعالى وأنَّهُ هو خالق كل شيء، وكرمهُ شمل كل مخلوقاته، وهذا واضح من ضمير المتكلم المحال إليه يبين فضائله على كل مخلوقاته، وفي النصّ ضمير ساعد على اتساق النص وهو الضمير الغائب المستتر الذي يعود على (الله سبحانهُ وتعالى) .

٢-((**وضَرَبنا إليك أكبادَ الإبلِ من أقصى البلادِ، وقطعنا إليك كُلَّ بحرٍ ووادٍ، وقصدنَاك ونحنُ أكرمُ روادٍ و ورّادٍ، ولجأنَا إلى حماكَ الذي هو للعُفاةِ ملاذٌ، ووردنا منهلَك العذبَ الذي هو كافلٌ لأنواعِ الملاذِ، متشوفين إلى عظيمِ إنصافِك، متشوقين إلى كريمِ اتصافُك، لتنشرَ من أوصافِنا ما خفى، وتظهرَ من خفيِّ أسرارِنا ما صفا، وتلبسنا من خلعِ الملاحةِ ما صفا، وتعفُو عمَّا صدرَ منَّا ما جفا، وتأخذُ من أخلاقِنَا ما عفى، وتنعمُ لنا من دُرِّ ألفاظِكَ التي هي شِفَا لمن كان على شَفَا**))[٢٨٦].

يحتوى هذا المثال على ضمائر متنوعة منها المتكلم والمخاطب والغائب، ولم تُحل إلى نواة واحدة كما تقدم بالأمثلة السابقة ، بل تُحيل إلى أكثر من محال إليه وكانت جميع هذه الضمائر ذات إحالة نصية داخلية على سابق وسنوضح نوع المحال إليه في الجدول الآتي:

المحال إليه	الإحالة	العنصر المُحيل	نوع الإحالة
أمراء الطيب	ضَرَبَنا	ضمير المتكلم(نا)	نصيَّة- قبليَّة

([٢٨٦]) المقامات :٥٤.

	قَطَعَنا	=	=
	و نحنُ	=(نحن)	=
	لجأَنا	ضمير المتكلم(نا)	=
	وَرَدَنا	=	=
	أوصافِنا	=	=
	أسرارِنا	=	
	اخلاقنا	ضمير المتكلم(نا)	=
	تلبسَنا	=	=
الله سبحانه وتعالى	=	ضمير المخاطب(ك)	=
	=	==	=
	حماكَ	==	=
	منهلكَ	==	=
	إنصافكَ	==	=
	اتصافك		
	الفاظَكَ		
	تعفوُ	==(أنت)	=
	لتنشرَ	==(أنت)	==
	وتظهرُ	===	=
حماكَ	الذي هو	ضمير المنفصل(هو)	=
ألفاظَ	التي هي	==(هي)	=

وبعد

حديثنا في هذا القسم من الدراسة عن الإحالة الضميرية، تبين أنّ الإحالة الضميرية التي تجلت في ظاهر النص، قد أسهمت إسهاماً واضحاً في تحقيق اتساق أجزاء هذا النصّ التراثي، على الرغم من ظهورها المفرّق على مستوى المقامة الواحدة، أو مجموعة من المقامات، وكشفت عن الدلالة العامة الكلية لموضوعه؛ فإنها لم تستأثر بكلِّ ذلك لوحدها؛ إذ أسهمت الإحالة الإشارية والموصولية في اتساق أجزاء الكلام اللاحق منه بالسابق وبنحو منظم.

ثانياً-الإحالة بأسماء الإشارة:

تُعدّ أسماء الإشارة الوسيلة الثانية من وسائل الاتساق النحوي ومن أبرز أدوات الإحالة ،ووظيفتها توضح مدى قرب المشار إليه من موقع المتكلم مكاناً وزماناً؛ لذلك جرى تقسيمها في اللغة العربية باعتماد المسافة[٢٨٧]، لها ثلاث مراتب: قربى ،ووسطى ،وبعدى[٢٨٨].

بينما يذهب علماء النصّ إلى تصنيفها بعدّة امكانيات:إمّا بحسب الظرفية: الزمان(الآن، غداً، أمس...)، والمكان(هنا، هناك، هنالك)[٢٨٩]،وإمّا الإشارة المحايدة، وتكون بأداة التعريف ،أو الانتقاء(هذا، هؤلاء....)،أو البعد(ذاك، تلك ...) والقرب(هذا، هذه ...)[٢٩٠]؛ولأنّها تقع على كل شيء عُدت من المبهمات [٢٩١]،فمثلها كمثل الضمائر لا تفهم إلا إذا رُبطت بما تُشير إليه[٢٩٢]، إذ إنّها من المعاني اللغوية غير القائمة بذاتها ،وهي عناصر ذات أهمية كبيرة في اتساق النصّ و أجزائه[٢٩٣]،ويمكن أن تُحيل إحالة قبلية أو بعدية، أي إنّها تربط جزءاً لاحقاً بجزءٍ سابق أو بخلاف ذلك ،واسم الإشارة المفرد يتميز ((بما يسميه المؤلفان هاليداي ورقية حسن((الإحالة الموسعة))، أي إمكانية الإحالة إلى جملة بأكملها أو متتالية من الجمل))[٢٩٤]،وللإحالة الإشارية أركان يجب توافرها في النصّ، وهي المشير، والمشار إليه، والمشار له بالمشار به وعبارة الإشارة: اللفظ الذي تحقق به، وعمل الإشارة :الحاصل معنى وخارجاً من الإشارة[٢٩٥].

وتُعين" مستعملي النصّ على الاحتفاظ بالمحتوى ... دون حاجة منه لإعادة ذكر كُلّ شيء بتفصيلاته"[٢٩٦].

ولقد كثرَ أنْ تضافرَ هذا النوعُ من الإحالة مع أدوات أُخرى في تماسك نصوص المقامات عيّنة الدراسة، واختزال بعض من نصوص المقامة في اسم إشارة واحد، وبعضها يغني عن تكرار المفردات أو الجمل داخل النصّ؛ إذ أنّ مستعملي اللغة يميلون غالبا إلى الإيجاز والابتعاد عن التكرار، وسنعرض بعض الأمثلة عن اسم الإشارة، وأثره في تحقيق الإحالة الاتساقية في المقامات:

([٢٨٧]) ينظر نسيج النصّ:١١٨.

([٢٨٨]) ينظر: شرح ابن عقيل:١/١٣٥-١٣٦،وهمع الهوامع:١/٢٤٧،وشرح الرضي على الكافية:٢/٤٧١-٤٨٤.

([٢٨٩]) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب:١٩.

([٢٩٠]) ينظر :أصول تحليل الخطاب:١/١٢٨.

([٢٩١]) ينظر :الكتاب:١/١٢٥.

([٢٩٢]) ينظر: شرح الرضي على الكافية:٢/٤٧٩، ونسيج النص:١١٨.

([٢٩٣])ينظر : لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب : ١٩.

([٢٩٤]) نفسه:١٩.

([٢٩٥]) ينظر: نحو النص إطار نظري ودراسات تطبيقية:١٠٨.

([٢٩٦]) مدخل إلى علم لغة النصّ:٩٢.

١- نموذج من سكان مصر((**هذا يَعُدُّها عَوناً على تقواه، وهذا يَعُدُّها للعبهِ ومَلهاه، وهذا يَرعى فيها النجومَ، ويناجي الحيَّ القيومَ، وهذا يغفلُ ليله إلى الصباحِ، أو يقطعُهُ بما هو عليهِ مَلُومٍ، هذا ينظرُ إليها بعينِ الفكرةِ ،والتبصرِ في عجائبِ القدرةِ، وهذا ليس لهُ منها إلاَّ الابتهاجِ بنضارةِ الزَّهرةِ، وهذا فيها مشاهد شهودِهِ، وهذا يسهدُ ونومِ غيرهِ أفضلَ سهودِهِ**))[٢٩٧]،فقد جاءت الإحالة في هذا النص من مقامة الروضة باسم الإشارة (هذا)،إحالة قبلية تُشير إلى عددٍ من سكان مصر، وكيف كانوا يعدوها.

والذي يؤكد بأنّ اسم الإشارة(هذا) يدل على مرجع سابق من دلالة الضمائر الموجودة في النصّ، وفضلاً عن ذلك؛ فإنّ اسم الإشارة (هذا)تكرر ثماني مرات في فضاء النصّ، وجاء في كلِّ مرة منها تذييلاً لنموذج من سكان مصر ليبين نظرتهم لروضة مصر، وهذا إن دل على شيء فإنّه يدل على اتساق النصّ وترابط بين أجزائه، وقد أحال إحالة ذات المدى القريب، جرت بين جمل النصّ المتجاورة، ولا توجد فواصل بين الحدود التركيبية، ولما كان للإشارة أركان[٢٩٨]،فإنّ أركانها في هذا النصّ على النحو الآتي:

١-المُشير ======= جلال الدين السيوطي

٢-المُشار له===== متلقي النص والقارئ

٣-المُشار إليه===== وهو المحال إليه(سكان مصر)

٤-المُشار به====== اسم الإشارة(هذا)يدل على القريب.

٥-عمل الإشارة=====الإحالة إلى المشار إليه، وربطه بـ((روضة مصر))

٢-((...**وذلك أنّ خاتمَ المصطفى كانَ بي فصهُ، ووردَ فيَّ بذلك الحديثِ ونصّهُ، ولم يظفرْ بذلك الشيءِ من أنواعِ الجواهرِ غيري، ولا سارَ أحدٌ في هذه الطريقةِ سيري، فمن ذا يساميني، وقد لمستُ يد المصطفى، ونقشَ فيَّ اسمهُ ونعتهُ(محمد رسول الله) وحسبيَ بذلك شرفاً وكفى**))[٢٩٩]،وقد جمع في هذا النصّ إحالتين إشاريتين: الأولى بالمشار به(ذلك)،إذ أحال إلى ما تفضل وأختص به (الزبرجد) فهي إحالة داخلية على سابق، وقد تكرر اسم الإشارة أربعة مرات في النص، والثانية بالمشار به(هذه) إحالة داخلية على لاحق،إذ أحال العنصر الإحالي(هذه)إلى ما بعده إحالة ذات مدى بعيد،وهذا يوحي بأهمية المشارإليه وقد بدا واضحاً ما لاسم الإشارة من أثر في بناء النص في المقامات واتساق أجزائه وانسجام معانيه.

ثالثاً-الإحالةُ بالمقارنةِ:

تعد المقارنة الوسيلة الثالثة من وسائل الاتساق النصي في الإحالة، وكل عملية مقارنة تتضمن شيئين-في الأقل-يشتركان في سمة مشتركة بينهما، وأدوات المقارنة لها أثرٌ واضحٌ في ربط النصّ واتساقه بين السابق

([٢٩٧]) المقامات :١٩١ .

([٢٩٨])ينظر: نحو النص إطار نظري ودراسات تطبيقية:١٠٨، ١٠٩.

([٢٩٩])المقامات :١٤٥.

واللاحق، وهي تنقسم قسمين :عامة وخاصة ، وهذا التقسيم استناداً إلى التصنيف الذي وضعاهُ "هاليداي ورقية حسن"، إذ ذكرا أنّ الإحالة بالمقارنة صنفان[٣٠٠]، وسنوضح ذلك بالمخطط الآتي:

الإحالة بالمقارنة

عامة			خاصة	
التطابق	التشابه	الاختلاف	كمية	كيفية
نفس	مثل	آخر مختلف	أكثر	أحسن
مساوي لـ	مماثل لـ	ماعدا ذلك	أقل	أدنى
متطابق لـ	مماثل جداً	على نحو مختلف	أبعد	أكبر
تطابقاً مع	على النمط نفسه	مختلف		أصغر

لا تختلف المقارنة عن الضمائر وأسماء الإشارة في كونها نصية، وهي تقوم بوظيفة اتساقية مثل النوعين المتقدمين، وإحالتها داخل النصّ(نصّية) [٣٠١]،وسنذكر بعض من الإحالات المقارنة التي وردت في نصوص المقامات:

١-((**رأسكَ لا يزالُ منكوسُ، وأنت المهيجُ للقيءِ المصدع من المحرورينَ للرءوسِ[الرؤوس]، تسقطُ الجنينَ، ولا ترثى للحنينِ، أصغرُ من غيرِ عله، مكسو أحقر حله**))[٣٠٢]، جاءت الإحالة المقارنة في هذا المثال باسم التفضيل(أصغر، وأحقر)قد أحال إحالةً داخليةً على سابق وهو (النرجس) أراد الياسمين تقليل من شأن النرجس فجاء باسم التفضيل لبيانُ قَدرته ومنزلته وهذا ما دلّ عليه لفظا(أصغر، وأحقر)وبذلك ربط اسم التفضيل اللاحق بالسابق، وهو ما جعل النص أكثر اتساقاً.

١-**قال العقيق**((**الحمدُ للهِ الذي جعلني من الحِلّةِ، وكساني أبهى حُلّه، وخصني بأحسنِ خَلّه، وباركَ فيَّ للرفيقِ، وقالَ فيَّ الصادقُ المصدوقُ: أكبرُ خرزِ أهلِ الجنةِ العقيقُ**"))[٣٠٣].

والإحالة بأسماء التفضيل (أبهى حُلّه، وأحسن خُلّ، وأكبر)هو بيان الصفات التي يحملها خرز العقيق، وقد أحالت هذه الأسماء إحالة نصية داخلية قبلية ،أما اسم التفضيل(أكبر)فقد إحالة داخلية نصيّة بعدية مرجعها (العقيق) وقد ظهر في هذا النصّ إحالتان الأولى على قبلية والأخرى على بعدية، و إن دل هذا على شيء فإنّه يدل على أثر الإحالة بجميع أنواعها على اتساق أجزاء النصّ، ولو عدنا إلى نصّ المقامة، نجد أنّ النص قد

---

(٣٠٠) ينظر: قضايا في اللغة واللسانيات وتحليل الخطاب:٨١- ٨٦،والإحالة النصية وأثرها في تحقيق تماسك النصّ القرآني(بحث):٩٥.

(٣٠١)لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب : ١٩ .

(٣٠٢) المقامات:٢٤.

(٣٠٣) المقامات:١٤٧.

احتوى على جميع عناصر الإحالة ،وبذلك يتحقق في النص الاتساق(الشكلي) عن طريق الأدوات الإحالية ودورها في ربط أجزاء النص، كما موضح ذلك في الجدول الآتي:

الضمائر	٤
الإشارات	ـــــــ
الموصولات	١
المقارنة	٣
المجموع	(٨)إحالات داخلية

٣-((**واكثر ناس من أشياءٍ لا تُغنِيهُم، وأمورٍ لا تعنِيهُم: من ذلك استعمالاتِ قوابضٍ، ومجففاتٍ وحوامضٍ، وتعليقُ فصوصٌ لها في كتبِ الطبِ نصوصٍ، وهذا بابُ قد أعيا الأطباءِ، واعترفِ بالعجزِ عن مداواتِه الألباءَ**))[٣٠٤]، فلفظة(أكثر) في النصّ ربطت الجملة الثانية بالجملة الأولى؛ إذ قارنت بين الأشياء التي لا تنفع الإنسان ولا تغنيه وبين الأمور التي لا تهمه ولا تعنيه، فأكثر منها واعتز بها، معتقداً بأنّه ستقيه وتنفعهُ من الإصابة بالوباء والطاعون ،وهي قد أحالت أيضاً إحالة نصّية داخلية على لاحق، ونجد أنّها تعود إلى(الأشياء، والأمور)ولهذا يتبين لنا بأنّ الإحالة بالمقارنة لها أثر مهم في اتساق النصّ.

٤-((**وما أدراكَ ما الكمثرى؟ باردٌ في الثانيةِ، رطبٌ في الأولى، يُشاكلُ التفاحَ ،ولكن التفاحَ خيرُ منه وأولى، وخصهُ ابن البيطار**[*] **بمن أكلَ على سبيلِ اللذةِ والغذاءِ، لا على سبيلِ الحاجةِ والدواءِ، فأما للدواءِ فهو على الريقِ أفضلُ وأجدرُ؛ لأنّهُ بعد الطعامِ مطلقٌ وزائدٌ في ضعفِ المعدةِ وأوقرَ، وقد شبههُ الشعراءُ بالنّهْدِ والسرةِ، وناهيكَ بحسنِ هذا التشبيهِ في المسرةِ**))[٣٠٥]، فقد طابقت كلمة(يشاكل) بين التفاح في طبيعته والكُمَّثْرَى، بأنّ لهُ الصفات الطبيعية نفسها التي توجد في التفاح؛ ولكن التفاح أولى منه وأفضل ،والإحالة هنا إحالة داخلية على سابق، وجرت بلفظ من ألفاظ المقارنة العامة ،إذ ربط هذا العنصر الإحالي الكلام بعضه ببعض ،فتحقّق الاتساق بين أجزاء الكلام.

وهناك ألفاظ في النصّ تدل على المقارنة هما لفظتا(أفضل وأجدر)،فقد طابق بين تناوله على الريق أو بعد الطعام ؛حيث إنَّه يبين بأنّ تناوله على الريق أفضل، والإحالة هنا إحالة على سابق، وجرت بلفظتين من ألفاظ المقارنة الخاصة.

رابعاً - الإحالة بالاسم الموصول:

---

(٣٠٤) المقامات :١٩٨.

(*) ابن البيطار: هو أبو بكر بن بدر الدين المنذر المعروف بالبيطار: طبيب بيطري(ت٧٤١هـ)،ينظر:الأعلام:٢/٧٠.

(٣٠٥)المقامات:٩٧.

تعدُّ الأسماء الموصولة وسيلة من وسائل الاتساق النصّي، وهي لا تفيد معنى بمفردها بل تحتاج لغيرها من الاسم، أو الفعل، أو الجملة، فهي ذات افتقار إلى الضمائر: ومن ثَمَّ لا يكتمل معناها إلا بها [٣٠٦]، وسمي الاسمُ الموصولُ بذلك؛ لأنّه يوصلُ بكلام بعده هو من تمام معناه ، فهو اسم ناقص لا يتّضِحُ معناهُ إلا إذا وصل بصلتِهِ[٣٠٧]، وأن الموصول لا يتمَّ بنفسه، ويفتقر إلى كلام بعدّه ، تصله به ليتمّ اسماً، فإذا تمّ ما بعدّه ، كان حكمُه حكم سائر الأسماء التامة ، فيمكن أنْ يكون فاعلاً، أو مفعولاً[٣٠٨]،وعدّها بعضهم كالشيء الواحد((خمسة أشياء بمنزلة الشيء الواحد :الجار والمجرور كالشيء الواحد، والمضاف و المضاف إليه كالشيء الواحد، والفعل والفاعل كالشيء الواحد، والصفة والموصوف كالشيء الواحد، والصلة والموصول كالشيء الواحد))[٣٠٩].

وهي إلى جانب الضمائر وأسماء الإشارة تُعدّ من أهم ما يغني عن إعادة التكرار[٣١٠] ، وقد أكد الدكتور تمام حسان وظيفة الربط بها ،إذ قال: ((لم يشر أحد إلى هذا النوع من الربط.... ، أمَّا ما ألفت النظر إليه هنا ما في الموصول من طاقة الرَّبط بين أوصال الجملة، أو السياق القائم على أكثر من جملة... والدليل على أنَّ الموصول رابطٌ؛ أنَّه كما قال البلاغيون حلَّ محلَّ الضمير، فلو عدلت عن الموصول، واستعملت الضمير المطابق له؛ لحدث الربط المطلوب))[٣١١]،والموصولات من العناصر الإحالية[٣١٢] ،التي تقوم على مبدأ التّماثل والتَّطابق بينها وبين ما تعوضه [٣١٣] ،ويظهرُ هذا المبدأ في الاسم الموصول المختص مثل:(الذي، والتي،واللذان،واللتان، والذين،واللاتي...إلخ) ،أمَّا الموصولات العامة(مَنْ، وما،...)؛ فإنَّ فكرة التطابق والتماثل لا تنطبق عليها [٣١٤]،وهي من الأدوات التي تشد من أزر التلاحم النحوي بين ما تقدَّم ذكرهُ في الكلام، وبين ما يُرادُ من المتكلم أن يعلم به[٣١٥] ،فهي تعوض ما قبلها، ثم تربطه ربطاً تركيبياً بما بعدها من الصلة التي تفسر ما بها

([٣٠٦]) ينظر: شرح المفصل:٣٧٢/٢، ودراسات في الأدوات النحوية:٢٧.

([٣٠٧]) ينظر: معاني النحو:١١٩/١.

([٣٠٨]) ينظر: شرح المفصل: ٣٧٢/٢.

([٣٠٩]) الظواهر اللغوية في التراث النحوي:٣٢٨.

([٣١٠]) ينظر : البيان في روائع القرآن:١٣٧/١ .

([٣١١]) مقالات في اللغة والأدب:٢٠٠/١.

([٣١٢]) يُنظر : النص والخطاب والإجراء : ٣٢ .

([٣١٣])ينظر : نسيج النص : ١١٨.

([٣١٤]) ينظر: الإحالة في نحو النصّ:٢٧.

([٣١٥]) ينظر: في اللسانيات ونحو النص :٢٣٠.

من إبهام [٣١٦]؛إذ إنَّها((تشارك بقية الأدوات الاتساقية الإحالية في عملية التعويض، فهي ألفاظ كنائية لا تحمل دلالة خاصة، وكأنَّها جاءَتْ تعويضاً عما تُحيل إليه))[٣١٧]،فالموصولات تربط أجزاء الجملة بعضها ببعض، وكذلك تربط النصَّ بسياقه المقامي الذي قيل فيه،ومن أمثلة هذا النوع من الإحالة في المقامات كما يأتي:

١-((**وما القرَعُ؟! ذو الفضلِ الذي انتشرَ، والذي كانَ يُحبُّهُ سيدُ البشرِ! كم فيهِ من حديثٍ وَرَدَ، وخبر مقبولٍ لم يردْ**))[٣١٨]،في هذا النص إحالتان بالموصول ، كلاهما بالاسم (الذي)، وهما إحالتان نصّيّتان على سابق، فالمُحيل هو الموصول، والمُحال إليه السابق هو (المُعوَّض)كما مبين في المخطط الآتي :

القرع ←	الذي	← انتشر
القرع ←	الذي	← يحبه سيد البشر

ويتضح من المخطط اعلاه، أنّ الموصولين قد أحالا إلى الاسم الظاهر (القرع) فعوَّضَ كلّ منهما عمَّا يسبقه، واكتسب دلالتّهُ منه ، ويظهرُ أنّ كلاً منهما قد ارتبط ارتباطاً اتساقياً من جهة ، وارتباطاً مفهوميّاً بين هذه الصلة والمُحال إليه الذي يسبقه من جهة أخرى[٣١٩]،فيصل الأول كلمة القرع بصفة الفضل الذي انتشر، ويصل الثاني القرع بحُب سيدنا (محمد صل الله عليه وآله وسلم).

٢-((**فقالَ: أيُّها الأزهارُ، إني لستُ كالذي تحاكمَ إليهِ العنبُ والرّطَبُ، ولا الذي تقاضى إليه المشمشُ والتوتُ، ولا التينُ والعنبُ**))[٣٢٠].

ما نلحظه في النصّ هو أنّ الاسم الموصول "الذي" المتكرر مرتين قد ترك أثراً فعالاً في اتساق النصّ؛ إذ إنّ المحال إليه لا يمكن تحديده إلا بالنظر لما بعد الاسم الموصول، فهو يربط ما قبله بما بعدهُ، فيكون وسيلة ربط شكليّ؛ بغية الوصول إلى الدلالة، فلا رابط دلاليّ من غير أن يرافقه رابط شكليّ.

ويمكن أنَّ نخلُصَ إلى أنّ الإحالة من أكثر وسائل الاتساق انتشاراً في نصوص مقامات السيوطي وتعد الإحالة بالضمائر أكثر أدواتها قوة في صنع الاتساق الدلالي للنصّ ، وتجسيد وحدته العامة في المقامات، ليس على مستوى أجزاء النصّ فحسب ، بل على امتداد النصّ بأكمله، وفضلاً عن ذلك لم تخلُ نصوص المقامات من عنصر إشاري ،أو أداة المقارنة، أو الاسم الموصول؛ إذ إنّها لا تقل أهمية عن الإحالة بالضمائر؛ لأنّها

([٣١٦]) ينظر: نسيج النص:١١٨.

([٣١٧]) الإحالة في نحو النصّ:٢٧-٢٨.

([٣١٨]) المقامات:١٠٧.

([٣١٩]) ينظر: الإحالة في نحو النصّ:٢٧.

([٣٢٠]) المقامات:٤٦.

ساعدت على اتساق النصّ وترابط أجزائه، لذلك تعد الإحالة بجميع أدواتها من أهم عوامل اتساق النصوص التي تقفُ وراءَ خلق نصيتها.

ثانياً: الاستبدال:

يعدُّ الاستبدال المظهر الثاني من مظاهر الاتساق، وهو صورة من صور الاتساق النصي التي تتم في المستوى النحويّ والمعجميّ بين كلمات أو عبارات، ويتم داخل النص بتعويض عنصر في النصّ بعنصر آخر[٣٢١]، وفضلاً عن ذلك فإنّ معظم حالات الاستبدال النصّي قبلية[٣٢٢]، فالاستبدال هو تبادل مواقع الكلمات الواحدة محل الآخر ولهذا الاستبدال له تأثير واضح في النص والخطاب((وهي الأشكال التي تحل فيها وحدة دلالية محل أخرى أو تقابلها مما يؤدي إلى تعديل مجموعات الدلالات))[٣٢٣]،ويسهم الاستبدال في اتساق النص من خلال العلاقة بين العنصرين المستبدِل والمستبدَل وهي علاقة قبلية بين عنصر سابق في النص وعنصر لاحق فيه، أي :إنّه إحلال تعبير لُغويّ محل تعبير لغويّ آخر، يسمى التعبير الأوّل المنقول أو المستبدل منه، ويسمى التعبير الثاني المستبدل به[٣٢٤] ،ويعد وسيلة من وسائل الاقتصاد في استعمال اللغة، إذ أنَّهُ يؤدي الوظيفة نفسها التي يؤديها الحذف، كما يجنب المؤلف تكرار الكلمات والعبارات نفسها[٣٢٥]، ويُشير "هاليداي ورقية حسن" إلى الفرق بين الإحالة والاستبدال، فالإحالة تكون علاقة بين المعاني، أي علاقة على المستوى الدلاليّ، في حين الاستبدال يكون بين الكلمات والعبارات، أي بين العناصر اللغوية والشكل اللغويّ، يعني علاقة على المستوى المعجميّ- النحويّ[٣٢٦]، وعند الحديث عنه، فإنّه لابد من الحديث عن الاستمرارية الدلالية ،أي وجود العنصر المستبدل في جملة لاحقة[٣٢٧]، فهو يعد مصدراً أساسياً من مصادر اتساق النصوص، وينقسم الاستبدال على ثلاثة أنواع [٣٢٨]:

<u>النوع الأوّل: الاستبدال اسميّ:</u> ويتمّ باستعمال عنصر لغويّ اسميّ ليحل محل اسم آخر، فيؤدي وظيفته التركيبيّة، نحو (آخر، آخرون ،نفس، واحد، واحدة ... الخ) ومن أمثلته في المقامات ما يأتي:

([٣٢١]) ينظر: لسانيّات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب :١٩،ونحو النص :١٢٢.

([٣٢٢]) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب :١٩

([٣٢٣]) بلاغة الخطاب وعلم النص:١٩٥.

([٣٢٤]) ينظر: مدخل إلى علم النصّ مشكلات بناء النصّ:٧٠ .

([٣٢٥]) ينظر :علم لغة النص النظرية والتطبيق :١١٣-١١٤.

([٣٢٦]) ينظر : نفسه:١١٣-١١٤ .

([٣٢٧]) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب :٢٠.

([٣٢٨]) ينظر: نفسه:٢٠-٢١،ونحو النص:١٢٤، و أصول تحليل الخطاب في النظريّة النحويّة العربيّة:١/١٣٣.

١-((وناسٌ رتّبوا أدعيةً لم يردْ بها حديثٌ ولا أثرٌ، وابتدعوا أذكاراً من عند أنفسِهِم، ونسوا:((أين المفر))وآخرون تحولوا إلى الروضةِ قَطَائِعَ قَطَائِعَ، وأقبلوا إلى سكانِها من القاهرةِ والقطائعِ...))[٣٢٩] إذا تأملنا المثال اعلاه نجد أنّه استبدل كلمة(وناس) بكلمة(وآخرون)وتم الاستبدال على ذلك من النص نفسه .

٢-((أنْ اصنعي طعاماً للنساءِ، ولا يأكل منهنَّ من أثكلت ولدا، فلما فعلتْ، ودعتهنَّ لم تأكلْ منهنَّ واحدةٍ ! وقلنَّ : ما منا امرأةٌ إلَّا وقد أثكلتْ....))[٣٣٠]، فقد جاء كلمة (واحدة)استبدالاً لكلمة (امرأة)التي ذُكرت في البداية، ودليل استبدالها من كلمة (امرأة) ،ما ذُكر في النص في قوله(وقلن : ما منا امرأة إلا وقد أثكلت)) ،وجاء الاستبدال من النصّ نفسه .

<u>النوع الثاني :الاستبدال الفعليّ</u>: ويتم هذا النوع باستبدال فعل في النص بفعل آخر مؤدي وظيفته التركيبيّة :مثل:(فَعلَ، عَملَ .... إلى آخره)،ومن أمثلة الاستبدال الفعلي الوارد في المقامات:

١-((وما من نفعٍ ذكرتهُ عنك إلا وأنا أفعلَ مثلهُ وأكثر! وأنا أحرى بسلامةِ العاقبة منك وأجدر))[٣٣١]، فكلمة(أجدر)استبدلت بكلام كان من المفروض أن يحل محله(أنا أحرى بسلامة...).

<u>النوع الثالث:الاستبدال القوليّ:</u> هذا النوع من الاستبدال ليس استبدالاً لكلمة داخل النص؛ وإنما استبدال لجملة بأكملها، فتأتي جملة الاستبدال ،ثم تقع الكلمة المستبدلة خارج حدود الجملة،وهذه الكلمة المستبدلة تحل محل القول، وتؤدي وظيفته،مثل(ذلك، هذا،...إلى آخره)،ومن الأمثلة على هذا النوع ما يأتي :

١-((لا جرمَ أنَّ اللهَ تعالى حثَّ فيهِ على الصبرِ الجميلِ ووعد على ذلك بالأجرِ الجزيل))[٣٣٢] جاء(ذلك) استبدالاً من قوله (أنّ الله حث فيه الصبر الجميل)[٣٣٣]

٢-((ولا تبيعوا الآجلَ بالعاجلِ ، فإن ذلك من أعظمِ الوهنِّ))[٣٣٤]،هذا المثال استبدل(لا تبيعوا الآجل بالعاجل) بـ(ذلك)وقد أحال هذا العنصر اللغوي إحالة داخلية نصية قبلية ، فكان عاملاً من العوامل المساعدة على اتساق النص .

الثالثاً: الحذف:

يعدّ الحذف وسيلة من وسائل الاتساق النحوي التي تحقق للنص تماسكه ، وقد لقي عناية من العلماء قديماً وحديثاً، فقد جاء في كتاب سيبويه في عدة مواضع منها (باب ما ينتصب فيه المصدر)، وقد قال أنّ حذف

([٣٢٩]) المقامات:١٩٩.

([٣٣٠]) نفسه: ٢٢٣.

([٣٣١]) نفسه:٣٦.

([٣٣٢]) نفسه: ٢٢٠.

([٣٣٣]) نفسه: ٢٢٠.

([٣٣٤]) المقامات: ٢٠٤

الفعل كثير في كلام العرب[٣٣٥]،وتحدث ابن جني(ت٣٩٢هـ) عن الحذف ؛إذ إنّه أفرد له باباً في كتابه الخصائص أسماه(باب في شجاعة العربية)،فقسم الحذف إلى حذف الجملة، والمفرد ،والحركة ،ولا يحذف من هذه الأمور شيءٌ إلاّ بوجود دليل يدل عليه [٣٣٦]، ومن الذين تحدثوا عن ظاهرة الحذف وأهتموا بها "عبد القاهر الجرجاني"(ت ٤٧١هـ) في كتابه "دلائل الإعجاز"، إذ قال:((هو بابٌ دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيبُ الأمر شبيه بالسحر، فإنَّك ترى به تركَ الذكر، أفصح من الذكر والصمتَ عن الإفادة، أزيدَ للإفادة، وتجدك أنطقَ ما تكون إذا لم تنطق ،وأتمَّ ما تكون بياناً إذا لم تُبِنْ))[٣٣٧] ، ومن المُؤكد أنّ الجرجاني يقصدُ بالحذف غير القاصر عن أداء المعنى، وهو الحذف يمكن بيانُه وتحديدُ موطنه في النّصّ بقرينةٍ ما، وإلاَّ فهو يؤثّرُ سلباً؛ لأنَّ انعدام قرينة الحذف يؤدي إلى اللبس.

وكان للسيوطي صاحب المقامات نظرة ثاقبة حول الحذف بأكمله، في ترابط أجزاء التراكيب واتساقها؛ إذ نجدهُ يطلق على الحذف مصطلح الاحتباك مسوغًا هذه التسمية قائلاً :ومأخذ هذه التسمية من الحبك، الذي معناه الشدّ، والإحكام، وتحسين أثر الصنعة في الثوب، فحبك الثوب سدّ ما بين خيوطه الفُرّج وشدّه وإحكامه، بحيث يمنع عنه الخلل من الحسن الرونق، وبيان أخذه منه من أن مواضع الحذف من الكلام شبهت بالفُرّج بين الخيوط، فلما أدركها الناقد البصير بصوغه في نظمه وضع المحذوف مواضعه[٣٣٨].

ومن غير المعقول أن يحوّلَ الناسُ كل شيءٍ يقولونه أو يفهمونه إلى جمل كاملة، فالاكتمال النحويّ ينتجُ تراكيب لا فائدة فيها ولا وضوح[٣٣٩].

ومن أسباب الحذف التي ذكرها العلماء منها الاختصار والاحتراز عن العبث، التفخيم، والإعظام لما فيه الإبهام، والتخفيف، لكثرة دورانه؛ ولشهرته فإنّ ذكره من عدمه سواء[٣٤٠].

وهناك شروطٌ وضعها ابنُ هشام للحذف، اتبعها المحدثون، وفصلوا القول فيها، وزادوا عليها[٣٤١]، منها أن لا يؤدي الحذف إلى اللبس، وضرورة وجود دليل يدلُّ على المحذوف.. إلى آخره[٣٤٢].

([٣٣٥]) ينظر: الكتاب: ٣٣٩/١.

([٣٣٦]) ينظر:الخصائص:٣٦٠/٢.

([٣٣٧]) دلائل الإعجاز:١٤٦.

([٣٣٨]) ينظر: الإتقان في علوم القرآن:١٨٩/٣ .

([٣٣٩]) ينظر :النصّ والخطاب والإجراء:٣٤١.

([٣٤٠]) ينظر: الإتقان في علوم القرآن :١٩٠/٣.

([٣٤١])ينظر :ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي:١٠٩.

([٣٤٢]) ينظر: مغني اللبيب:٣١٧/٦ وما بعدها.

والحذف بحسب نظرة علماء النصّ أنَّه((استبعاد العبارات السطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوّم في الذهن، أو أن يوسّعَ، أو أن يعدّلّ بواسطة العبارات الناقصة))[٣٤٣]، أو أنّه ما يعني((الاستغناء عن عنصر لغوي في التركيب بالمذكور، لوجود قرائن لفظية ،أو معنوية، أو سياقية تدلُّ على هذا المحذوف))[٣٤٤]،وهي علاقة من علاقات الاتساق ،ويشير الباحثان "هاليداي ورقية حسن" إلى أنّ الحذف علاقة قبليّة؛لأنّ العنصر المحذوف يوجد في النصّ السابق[٣٤٥]، أما إذا كان الحذف يُشير إلى محذوف الخارجيّ ؛ فإنَّ ذلك يخرج الاتّساق من داخل النص إلى اتساق النص مع السياق[٣٤٦].

ولا يختلف الحذف عن الاستبدال إلاّ في أنّ العنصر المحذوف لا يحلّ محلّه شيء، أمّا الاستبدال فيُترك فيه أثر يكون مؤشراً يُسترشد به للبحث عن العنصر المفترض ويتمكن من ملء الفراغ، أمّا الحذف فلا يحل محله أي شيء، فيجد القارئ فراغاً ويملؤه معتمداً الجملة السابقة[٣٤٧].

أنواع الحذف[٣٤٨]:

النوع الأوّل :الحذف الاسميّ: ويكون داخل مجموعة اسميّة، ويقع بعد العنصر الإشاريّ، أو العدديّ، أو النعت فالعنصر الاشاريّ يعبّر عنه بـ(كُلّ، وبعض، وأيّ، وكلا، وكلتا) والعنصر العدديّ يعبّر عنه بـ(أوّل، تالٍ، ثانٍ ...)

النوع الثاني: الحذف الفعليّ: ويكون داخل مجموعة فعليّة مثل حذف العامل ،نحو قولنا: من جاء؟ فيقال: زيدٌ، حذفنا العامل (جاء).

النوع الثالث: الحذف القوليّ: ويكثر هذا النوع في أجوبة الأسئلة، نحو قولنا :هل ستأتي؟ فيقال : نعم، حذف جواب السؤال(سآتي).

([٣٤٣]) النصّ والخطاب والإجراء: ٣٠١.

([٣٤٤]) نحو النصّ بين الأصالة والحداثة: ١٣٠.

([٣٤٥])ينظر: لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب:٢١.

([٣٤٦]) ينظر: علم لغة النصّ النظريّة والتطبيق:١١٦.

([٣٤٧]) ينظر: لسانيّات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب:٢١.

([٣٤٨]) ينظر :علم لغة النصّ النظرية والتطبيق:١١٨.

الحذف في مقامات السيوطي: يتنوع الحذف في المقامات بين حذف اسم، وحذف جملة، وورد أيضاً حذف حرف الجر مع مجروره ،وكل ذلك أسهم في اتساق النصّ، وسنوضح ذلك بذكر بعض الأمثلة.

أ- حذف الاسم:

ورد حذف الاسم في نصّ المقامة الواحدة، وفي مقامات مختلفة،وكان لأسباب كثيرة مختلفة، وهذا الحذف:

١-((**ثُمَّ إنّكُم أيُّها الأمراءُ : ثلاثتكُم في السيادةِ والرئاسةِ أقرانُ، ولهذا أقامَ فيكُم دليلُ الاقترانِ في السُّنَّةِ التي هي تاليةٌ لقرآنِ**))[٣٤٩] ، حذف أسماء أمراء الطيب وعوض عن المحذوف بالعنصر العددي وهو(ثلاثتكم) ؛ لدلالة ما قبله عليه، وأيضاً استُعمِلَ عنصرٌ عددي آخر في النصّ هو(تالية) دليل على أنّه لا توجد سنَّة تالية للقرآن غير سنَّة رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ،والمتلقي يفهم مباشرة من هي السّنّة التالية للقرآن الكريم.

٢-((**فقدَّ رزقكَ اللهُ أنواعاً من المنفعةِ، وجعلَ فيك أسراراً مودّعةِ...**))[٣٥٠]، حذف لفظ الجلالة(الله) فاعل الجملة؛لدلالة ما قبله عليه؛لأنّه لا يوجد غير الله سبحانه وتعالى رزاق، وهو الذي يجعل الأسرار ويودعها.

٣-((**والناسُ من شأنهِ في أمانٍ، و من رخاءِ السعِر في اطمئنانٍ**))[٣٥١]،فقد حذفت كلمة(الناس) من الجملة الثانية لدلالة ما قبله عليه .

٤-((**قالَ: فجميعُ الأنبياءِ وأممهُم، كُلٌّ من أمتهِ، ومشمولون برسالتهِ ونبوتهِ؛ ولذلك يأتي عيسى في آخرِ الزمانِ على شريعتِهِ**))[٣٥٢]،حذف(جميع الأنبياء) وعوض عن المحذوف بالعنصر الإشاري (كُلّ) ، أيّ كُلّ الأنبياء، وهناك حذف آخر في النصّ هو في قوله(ومشمولون برسالته ونبوتهِ) فحُذفَ(جميع الأنبياء) من الجملة لدلالة ما قبله عليه.

وقد أسهم هذا الحذف في تحقيق الاتساق بين النصوص في المقامة الواحدة ؛ مما يفضي إلى تحقيق استمرارية النص ،وإحاطته بإطار المعنى الكلّي الواحد، فضلاً عن ذلك فإنَّ وظيفة الحذف في تحقيق الإيجاز والاقتصار، وعدم تكرار اللفظ، تظهر واضحة، وهذا ممّا يجعلُ النص خالياً من الثقل والتَّرهُّل[٣٥٣].

ب- حذف الجملة:

يطال الحذفُ الجملة كما الاسم، في المقامات ومن الأمثلة غلى ذلك ما ورد في نصوص المقامات :

([٣٤٩]) المقامات٥٩.

([٣٥٠]) نفسه:٧٤.

([٣٥١]) نفسه:١٦٢.

([٣٥٢]) المقامات:٢٤٤.

([٣٥٣]) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق:١٦٩،ولسانيات النص النظرية والتطبيق:١٢٠.

١-((**هذه أيامُ بُحْرانٍ، يخشى منها الهلاكَ إنْ لم يلتقِ البحرانُ، وإن لم تنضجْ مادةُ الزيادةِ لم يحصلْ الشِفَا، وما لم يبلغِ الماءُ القانونَ المعتاد فالناسُ على شَفَا**))[٣٥٤]، فقوله(وإن لم تنضج)، أيّ(ويخشى منها الهلاك إن لم تنضج)لدلالة الكلام السابق عليه.

٢-((**وليحذر من الإكثارِ منهُ ، والإدمانِ عليهِ؛ فإنّه رديءُ الأعراضِ**))[٣٥٥]،حذف جملة (ليحذر من) وذلك للاختصار، والذي دل على حذفها ما تقدم من الكلام في النص.

٣-((**يقويّ المعدةَ القابلة للفضولِ، والشهوة الساقطة جداً للمأكولِ، ويسكنُ العطشُ والقيءُ ويَدرُ**))[٣٥٦]،حذف أكثر من جملة للاختصار والإيجاز وعدم الإطالة، فحذف(يقوي الشهوة ويسكن القيء).

ج- حذف الجار مع مجروره:

وكان لحذف حرف الجر ومجروره دلالة على اتساق النصّ وتماسكه، هو واضح في الأمثلة الآتية:

١-((**ويضمدُ بأصلِها من لسعِ الحيةِ والعقربانِ**))[٣٥٧]حذف حرف الجر مع مجرورة قبل العقربان(من لسع)؛ لدلالة ما قبله عليه، وتقديره: من لسع الحيةِ ومن لسع العقربان.

٢-((**وضمادُها ينفعُ من الصّداعِ، وأورامِ العينِ وغيرِها، ومن الحمرةِ والتهابِ المقعدةِ والمثانةِ وحرقةِ النارِ وضيرها**))[٣٥٨]، لو تأملنا المثال السابق لوجدنا أنّه تم حذف حرف الجر من النص مرتين لدلالة ما قبله عليه، ويمكن الاستدلال عليه من السياق .

٣-((**روضة ذاتَ محاسنٍ، فيها أنهارٌ من ماءٍ غيرِ آسنٍ، وأشجارٌ تُنْبِتُ أفانينَ الأحاسنِ، وأزهارٌ مابين مفتوحِ العينِ ووَسنٍ، وأطيارٌ ترنمتْ بلغاتٍ يعجبُ منها كُلُّ فصيحٍ ولسِنٍ**))[٣٥٩] حذف حرف الجر مع مجروره(فيها) ثلاث مرات في النصّ قبل كلّ من (أشجار، وأزهار، وأطيار)؛ لدلالة ما قبله عليه، وأيضاً للحفاظ على الجانب الصوتي المتمثل بالسجع ،وأكثر الحذف الذي ورد في المقامات من هذا القبيل كان للسبب نفسه.

رابعاً: الربط بالأداة:

([٣٥٤])المقامات :١٧٣.

([٣٥٥]) نفسه:٧٢.

([٣٥٦]) نفسه:٩١.

([٣٥٧]) نفسه:١١٣.

([٣٥٨]) المقامات:١١٧.

([٣٥٩]) نفسه:١٨٣.

من وسائل الاتساق النحويّ، وقد حظي باهتمام اللغويّين، والبلاغين؛لأثرِهِ في تماسك النصّ وصحته؛ إذ لانجد كتاباً لغوياً، أو بلاغياً يخلو من مبحث الفصل والوصل[٣٦٠]،وما يناسبُه في الدرس اللغويّ العربيّ القديم، وهو: العطف في الدرس النحويّ،أو الوصل في الدرس البلاغيّ، إلاّ أنّ باحثي اللسانيات أدخلوها تحت مسمّى الربط، أدوات نحويّة فضلاً عن العطف، منها :المبتدأ والخبر، والفعل وفاعله، التوابع الثلاثة الأُخرَ ومتبوعاتها،والقول ومقوله، والشرط وأجزاؤه،والقسم وأجزاؤه والمستثنى والمستثنى منه ...إلخ[٣٦١].

والربط بالأداة يختلف عن الوسائل الاتساقية الأخرى؛ولأنّه لا يتضمن علاقة إحالية،إذ إنّها تُعبّر عن معانٍ معينة، تفترض وجود مكونات أُخرى في النصّ، فتستعمل بعض الكلمات والعبارات؛ لتكوّن ربطاً خاصاً بين الأجزاء المختلفة للنصّ، ويطلق على هذهِ الكلمات روابط مثل:(لكن ،على الرغم من ... إلى آخره) وأطلق عليها أيضاً مصطلح آخر هو(الانتقال)[٣٦٢]، ولكي يكون النص وحدة متماسكة يكون به حاجة إلى عناصر رابطة متنوعة تصل بين أجزاء النصّ وبناء لُحمته[٣٦٣]، إلا أنّ أكثر أدوات الربط وروداً في النصوص هي حروف العطف،إذ نال العطف أهمية كبيرة في الدراسات القديمة،ونرى سيبويه أنَّ العطف وظيفتهِ إشراك الجمل بعضها ببعض، ووصل المعطوف بالمعطوف عليه[٣٦٤]،وذكر ابن جنيّ في الخصائص، إذا كان الكلام قد وضع للفائدة فإنّ((الفائدة لا تجنى من الكلمة الواحدة، وإنما تُجنى من الجُمل ومدارج القول؛ فلذلك كانت حال الوصل عندهم أشرف وأقوم وأعدل من حال الوقف))[٣٦٥]، ويقول الجرجاني في باب الوصل والفصل:((اعلم أنّ العلم بما ينبغي أن يُصْنع في الجمل من عطف بعضها على بعض،أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة، تُستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة، ومَمّا لايتأتَّى لتمام الصواب فيه الأعراب الخُلَّص،وإلا قومٌ طبعوا على البلاغة...)[٣٦٦]، وهناك نوعان من العطف :عطف مفرد على مفرد، وعطف جملة على جملة [٣٦٧]

.

أما ابن يعيش(ت٦٤٣هـ) فيرى أنّ((الغرض من عطف الجمل ربط بعضها ببعض، والإيذان بأنّ المتكلم لم يرد قطع الجملة الثانية من الإولى، والأخذ في جملة ليست من الأولى في شيء))[٣٦٨].

([٣٦٠]) ينظر: الاتساق في العربية (رسالة ماجستير):٨.

([٣٦١]) ينظر: علم اللغة النصي بين النظريةوالتطبيق:٢٥٧/١،والمعايير النصية في القرآن الكريم:٢٩-٣٥.

([٣٦٢]) ينظر: علم لغة النصّ النظريّة والتطبيق:١١٠.

([٣٦٣]) ينظر: لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب:٢٣.

([٣٦٤]) ينظر: الكتاب: ٤٣٧/١-٤٣٨.

([٣٦٥])الخصائص :٣٣١/٢.

([٣٦٦]) دلائل الإعجاز :٢٢٢.

([٣٦٧]) ينظر: نفسه:٢٢٢.

([٣٦٨]) شرح المفصل :٢٧٨/٢.

ويُعدّ الربط بالعطف قرينة على انعدام الإرتباط وانعدام الانفصال بين المتعاطفين،فدلالته على أن انعدام الارتباط من أدائه معنى المغايرة، ودلالته على انعدام الانفصال ناشئة من العلاقة السياقية التي يُنشِئُها كُلّ حرف، حسب معناه الوظيفي وقرائن السياق[٣٦٩]، وبنية العطف لا تنحصر على مستوى الجزء من الكلام،وإنّما تتسم بالاتساع فهي تتوزع في مختلف المستويات،فقد تكون على مستوى الألفاظ، وعلى مستوى الجمل، أوعلى مستوى مجموعة من الجمل، أو على مستوى الفقرات،وعلى مستوى النصوص[٣٧٠]، والربط يشير إلى العلاقات التي بين المساحات، أو بين الأشياء في هذه المساحات،ويشير أيضاً إلى مكان العناصر والصور وتعلق بعضها ببعض في عالم النص[٣٧١]، ومن أهم الأدوات التي يقاس بها امتثال النص لمقومات النصية إجتماع جمل النص وخلق العلاقات بينها، إذ أنّ((أكثر مايمثل الخصائص النوعية للنصِّ، والتي تمثل جوهر انشغالات علم النصّ، هي بعض الظواهر اللغوية الصرفة التي يحتوي عليها النصّ، والمتمثلة في وسائل الرّبط،بعدِّها المجس الحقيقي للعلاقات ما بين النصّ وأجزائه، ومن ثمَّ العامل الأساسي الضامن للنصّ تماسكه وانسجامه))[٣٧٢]،وقد ذكر النحويون شروطاً وحدوداً عدة للعطف لايمكن تجاوزها،منها :

١-لاتدخل حروف العطف على بعضها، وإن وجد ذلك في كلام فقد أخرج أحدهما من حروف النَّسَقِ، ففي قولهم: لم يقم عمرو ولا زيد، الواو نسق، و(لا) توكيد للنفي[٣٧٣].

٢-لايجوز حذف حرف العطف مع بقاء المعطوف به، إلا ما جاء شاذاً منه[٣٧٤].

٣-لا يمكن عطف الشيء على نفسه، كما أنه لايجوز العطف بين أمرين لايجمعها جامع[٣٧٥]، ومن شروط العطف أَنْ تكون بين المعطوف والمعطوف عليه علاقة دلالية مشتركة[٣٧٦]،ولا يمكن حذف حرف العطف؛لإنّه راجع إلى الرغبة في إيجاد الرابط بين الكلمات أو الجمل التي لا ترتبط بغير هذه الحروف، وفي هذا حرصٌ على التماسك النصي بين العناصر المكونه للنص[٣٧٧].

وقد أفاض النحويون في الحديث عن معاني حروف العطف،ومن هذه المعاني:الإشتراك،والتسوية، والترتيب،والتعقيب،والتراخي،والتخير أوالتقسيم أوالإباحة،والاستدراك، والإضراب[٣٧٨]، وهناك مستويان لأدوات العطف التي تربط بين الجمل في النص بحسب المعنى الذي يؤديّه كُلّ من تلك الأدوات[٣٧٩] :

([٣٦٩]) ينظر: نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية: ٢٠٠-٢٠١.

([٣٧٠]) ينظر: أصول تحليل الخطاب: ٤٣٣/١، ونحو النصّ إطار نظري و دراسات تطبيقية: ١٣٢.

([٣٧١]) ينظر: النص والخطاب والإجراء: ٣٤٦.

([٣٧٢]) مدخل إلى علم النصّ ومجالات تطبيقية :٨٥.

([٣٧٣]) ينظر: الأصول في النحو:٥٩/٢.

([٣٧٤])ينظر: الخصائص:٢٩٠/١.

([٣٧٥])ينظر: أصول تحليل الخطاب:٤٣٣/١،ونحو النصّ إطار نظري ودراسات تطبيقية:١٣٢.

([٣٧٦])ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ٢٥٢/١.

([٣٧٧])ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق :٢٤٩/١.

([٣٧٨]) ينظر: الأصول في النحو:٥٥/٢-٥٩، والمقتضب: ١٤٨/١-١٥٠.

١-ربط خطي يقوم على الجمع بين جملة سابقة وأخرى تلحقها، فيفيد مجرد الترتيب في الذكر، مثل الواو في العربية .

٢-ربط خطي يقوم على الجمع كذلك، ولكنّه يدخل معنى آخر يتعين به نوع العلاقة بين الجملة والآخرى، مثل (الفاء)،و(ثم)،و(أو) وغيرها في العربية، حيث تربط وتعبر عن علاقة منطقية بين العنصرين المرابطين.

وممّا تقدم عرضهُ يتضح أنَّ نظرة القدمى والمحدثين للعطف تتطابق من حيث الوظيفة الشكلية، والدلالية وأثرها في اتساق النصّ وانسجامه ، وقد قسم "هاليداي ورقية حسن" أنواع الربط بالأداة إلى اقسام،وجعل الدارسون في مجال علم النص هذا التقسيم مرجعاً لهم، وهذه الأقسام هي[٣٨٠]:**(الرّبط الإضافي، الرّبط الاستدراكي، الرّبط الزمنيّ، الربط السببيّ).**

١-الرّبط الإضافي:

يسهم الربط الإضافي في إضافة معنى اللاحق إلى السابق[٣٨١]،ويطلق عليه أيضاً(الرّبط الجمعي) وذلك لمنع لبس بينه وبين مصطلح الإضافة في العربية[٣٨٢]،ويتم هذا النوع بالأدوات منها:(الواو، والفاء،وأم، وأو، وثم)[٣٨٣]، وينضوي في ضمن هذا النوع علاقات أُخر، كالتماثل الدلاليّ المتحقق بالربط بين الجمل التي لها الحالة نفسها، ويشار إليه بالإضافة إلى ذلك،وكذلك، وعلى نحو مشابه،ومثل هذا،وفضلاًعن ذلك .... إلى آخره[٣٨٤]؛لأنَّ نصوص المقامات تعتمد في بنائها على إضافة حدث إلى آخر، ويختلف من مقامة إلى أخرى، لذا يعدُّ الربط بالإضافة ذا أهمية بالغة في اتساق نصوص المقامات وتلاحمهما، على ما سنلحظه في المقامات،إذ نلحظ أنّ لحرف(الواو)نسبة ورود كبيرة من بين أدوات الربط الإضافي(الفاء، وأو، وثُمّ)،إذ لاتكاد تخلو مقامة منها،لأنّها تُفيد ترتيب الجمل، وهي أُمُّ (حروف العطف) ،وإنّ زيادة أدوات الربط في النصّ تُؤدي إلى قوة الاتساق بين كلمات النصّ الواحد وعباراته وجمله[٣٨٥]،وتختلف نسبة حضور الحرف الواحد بحسب

([٣٧٩]) ينظر: نسيج النصّ:٣٧.

([٣٨٠])ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب:٢٣-٢٤،و ينظر: الاتساق في نهج البلاغة في ضوء لسانيات النص (رسالة ماجستير):١٢٥.

([٣٨١]) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق(الخطابة النبوية أنموذجاً):٢٣.

([٣٨٢]) ينظر: النصّ والخطاب والإجراء:٣٦٠.

([٣٨٣]) بنظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق:١٦٢

([٣٨٤]) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب:٢٣،ونظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص:٩٤.

([٣٨٥]) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق:٢٥٨/١.

وروده في نص المقامة،إذ ورد حرف الواو في جميع المقامات تقريباً(٩٢٠) تسعمائة وعشرين مرة، وإن تنوع أدوات العطف في داخل النصّ، يُشير إلى الخصائص الدلاليّة التي تُميز أداة من غيرها[٣٨٦].

ربطت هذه الادوات بين كلمتين،أو جملتين، أو عبارتين متضادتين،أو متفقتين في المعنى، فقد ربطت الواو بين كلمتين، في قوله:((**أنا الوردُ مَلِكُ الرياحين، والواردُ مُنْعِشاً للأرواحِ ومتاعاً إلى حين،ونديمُ الخلفاءِ والسلاطين**)[٣٨٧] ،فقد ربط الواو بين عدد من الكلمات في النص منها(**منعشاً،متاعاً**)،وبين(**الخلفاء، السلاطين**)وربطت بين جملتين في قوله:(**لقد تجاوزتَ الحدّ ياوردُ، وزعمتَ أنّك جمعٌ في فَرْدٍ**)[٣٨٨]،إذ إنّ الواو ربط بين جملة (**تجاوزت ،وزعمتَ**).

وربطت بين عبارات متضادات والى هذا الأزهر الزّنّاد أشار حين قال:((كُلّ جملتين متقابلتين في النصّ ثانيهما تخالف الأولى ترتبطان بأداة ربط))[٣٨٩]، وجاء ذلك في قوله((**سألَ سائلٌ من أهلِ الوسائلِ من يقصدُ في المسائلِ، ويرصدُ لديوانِ الرسائلِ عن الخضراواتِ السبعةِ المنفردةِ باللواءِ واللُّمْعَةِ،وما أجدى منها نفعَه،وأجدرَ وقعَه، وأسرعَ وضعَه،وأوضعَ سرعَه،وأنصعَ في فنِ الطبِ شرعَه**))[٣٩٠]،وجمعت الواو بين كلمات متفقة في الدلالة، كما في قوله((**ولي في التفريحِ، وتقويةِ القلبِ الجريحِ، ومقاومةِ السُّمومِ، ومدافعةِ الهُمومِ والغمومِ ماهو مشهورٌ معلومٌ**))[٣٩١].

وأيضاً ربطت الواو سلسلة من الكلمات في جملة واحدة كما ورد في قوله:

١-((**ولكونيّ أنا والزمردُ من جنسٍ واحد اتحدنا في المنافعِ والخواصِ والموارِدِ**))[٣٩٢].

٢-((**وكَم سكنَ بها من خلفاءٍ وملوكٍ وأمراءٍ، وكتَّابٍ ورؤساءٍ ووزراءٍ،وقراءٍ وأولياءٍ، وفقراءٍ وأغنياءٍ، وأذكياءٍ وأغبياءٍ، وذوي هناتٍ وأتقياءٍ**))[٣٩٣].

وفي النصّ الثاني من المقامة حقَّقَ حرف العطف (الواو) الذي بلغ(١٣) ثلاثة عشرة مرة حقق الربط بين هذه الكلمات، ،إذ إنَّ البنية الدلالية لهذه الكلمات بيان أحوال سكان مصر، ومكانتهم الاجتماعية في مصر، وهذه الدلالة الجامعة هي ما سوَّغَ لحرف العطف(الواو)عطف هذه الكلمات على بعضها، واشراكها في حكم واحد،

([٣٨٦]) ينظر: لسانيّات النصّ النظرية والتطبيق :١١٠.

([٣٨٧]) المقامات: ١٥.

([٣٨٨]) نفسه:٢١.

([٣٨٩])نسيج النصّ:٢٨.

([٣٩٠])المقامات:١٠٦.

([٣٩١]) نفسه :١٣٤.

([٣٩٢]) نفسه :١٤٦.

([٣٩٣]) نفسه:١٨٩.

وإنّ محاولة قراءة هذا النص من المقامة من دون أداة الربط (الواو)، يؤدي إلى تفكك واضح في أجزائه، ولهذا إنَّ حرف العطف (الواو) أسهم في اتساق النصّ وتلاحم أجزائه.

ووردالربط الإضافي بإداة(أو)في المقامات(سبعوعشرين)مرة،ومنهاقوله:

١-((**وترى الناسَ سُكارَى وما هم بسُكارَى! كأنّما قامَتْ علِيهم القيامةُ،أو سقطَتْ علِيهم الغمامةُ**))[٣٩٤]، في هذا المثال يبين حال الناس في زمن الغلاء الذي ضرب مصر في سنة(سبع وتسعين وثمانمائة)للهجرة، يصفُهم بإنهم سكارى، وهذا اقتباس جيد من القرآن الكريم، ومن ثَّمَ يشبه حالة الناس يوم القيامة ، وكذلك حالهم إذ نزلت بهم مصيبة.

٢-((**كأنَّها بدرٌ والنيلُ حولَها هالةٌ،أو شمسٌ في وسطِ سماءٍ ليس عليها سحابةٌ أو غلالةٌ، أو وجهُ دارٍ عليه طليسان، أو سريرُ مَلِك نصبَ في ميدان، أو قلبُ جيشٍ لهُ مصر والجزيرةُ جناحان**))[٣٩٥]، في هذا النص يشبه روضة مصر بـ(بدر،الشمس، وجه دار، سريرملك، قلب جيش)، إذ إنَّ أداة الربط (أو) جاءت هنا للتخيير بين مختلف التشبيهات التي شبه فيها روضة مصر، وأدت إلى اتساق النصّ وتماسكه،ولو أردنا قراءة النص من دون الأداة لأدى ذلك إلى تفكك النصّ وعدم اتساقِه.

وحضور أداة الربط (الفاء) في نصوص المقامات بلغ(٣٠) ثلاثين مرة، وقد أقترنت بالفعل، وبالحرف وبالأسماء، وكانت الفاء المرتبطة بالحرف بأنواعها أكثر حضوراً(فكم، فلا، فإن، فإذا...) وسنوضح أهمية هذه الأداة أو الوسيلة في تحقيق الاتساق النصي كما يأتي:

١-((**ويابسيّ يستعملُ للصفراءِ فيسَهلُ غايةَ الإسهالِ**))[٣٩٦]،يلحظ أنّ أداة الربط (الفاء) أفادت تعاقب الأحداث مع سرعة تنفيذها.

٢-((**أنّ فيها شفاءٍ من سبعين داءً أدناها الصداعُ، وأنّهُ(صلى الله عليه وسلم):دعا لها بالبركةِ، وحيث شاءتْ نبتت، وذلك حين داوى بها قُرحةً في رجلِه فبرئتْ ...**))[٣٩٧]،

ومن ربط(الفاء) بالحرف في قوله:

١-((**وإنْ قُلتَ: إنّك النافعُ في العلاجِ، فكم لك في منهاجِ الطب من هاجٍ**))[٣٩٨].

([٣٩٤]) نفسه: ١٦٥.

([٣٩٥]) نفسه: ١٨٧.

([٣٩٦])المقامات :٣٢.

([٣٩٧]) نفسه:١١٦.

([٣٩٨]) نفسه:٢٢.

٢-((**ويقويّ الدماغِ وينفعُ من عللهِ الباردةِ، ويبطلُ عملَ السمومِ ونهشَ الأفاعيّ، فيا لها من فائدةٍ**))[٣٩٩]،وكذلك في قوله((**فلا تتعَدّ طورَكَ، ولا تبعدغورَكَ**))[٤٠٠]،فجاء الربط في هذه النصوص بـ(الفاء) الرابطة بالحروف وهي(الكاف، والياء، واللام) على التوالي التي تفيد الترتيب والتعقيب دون إمهال أو تراخ في رسم صورة من يطاوعها، إذ أظهرت في كل نص دلالة، إذ أنها في النص الأول جاء الربط بها للدلالة على تأكيد الصفات السلبية للورد عندما تصدى له النرجس، وفي النص الثاني جاءت الفاء لبيان والتعجب ولتعظيم شأن المسك وفائدته على سائر أنواع الطيب، وهذا ما يظهر سيطرته المطلقة على أنواع الطيب ، وفي الثالث الربط بها جاء للدلالة على مكان(الزباد) من بين أنواع الطيب التي يجب أن لا يتعدها، إذ يقصد بـ(لا تبعد غورك) لا تدخل في غير مدخل، وغُرْتّ في غير مقام، لذلك جاء الربط بـ(الفاء) واستعمالها متسقاً مع دلالات النصوص الكلية.

٢-الربط الزمني:

ويتجسد هذا الربط في العلاقة بين جملتين أو جمل متتابعة زمنياً، ويمثلها في الإنكليزية لفظ(Then)[٤٠١]، وأكثر أدوات العطف في العربية التي تُعبر عن هذه العلاقة:(ثُمَّ، والفاء)وفضلاً عن هذا فهناك تعبيرات آخر مثل:(وبعد ذلك، وعلى نحوِ تالٍ، وقبل هذا، وسابقاً، ومبكراً، حالاً ، وكلما...)[٤٠٢].

وكان وروده قليلاً في المقامات وسنذكر بعضها في قوله:

١-((**أنزلَ الحمىَ في أولِ الزمانِ ليُذلَّ بها الأسدُ، ثم جعلَها سجناً في الأرضِ لتُصلحَ من بدنِ المؤمنِ ما فسدَ**))[٤٠٣]،ربط بـ(ثم) بين أنزل الحمى وجعلها (أي جعل الحمى)، وتفيدالترتيب المنفصل أو المتراخي؛ لذلك دلت(ثم) بإنّ هناك مدة زمنية بين (انزال الحمى) وجملة (جعلها سجنًا...) فقد افادت(ثم) الترتيبغير المتصل بين الانزال والجعل في النصّ.

٢-((**ولو كانَ تَقَدُّمُ ذلك يمنعُ ما تقررَ لم يوجَدْ في الدنيا أهلُ فترةٍ في الزمانِ محررٍ؛ فإنَّ الأنبياءَ قبلَ عيسى مبعوثونَ في أقطارِ العالمِ، وما من فترةٍ متقدمةٍ إلاّ وقبلَهَا نبيٌّ إلى آدمَ**))[٤٠٤]، ربط بـ(قبل) ليبين أنّ هناك أنبياء قبل عيسى (عليه السلام) وبفترات سابقة للبعثة النبوية إلّا وفيها نبي .

([٣٩٩]) نفسه: ٦٣.

([٤٠٠]) نفسه:٧٢.

([٤٠١])ينظر: لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب:٢٣-٢٤.

([٤٠٢])ينظر: نظرية علم النصّ رؤية منهجية في بناء النصّ النثري:٩٤-٩٦، ولاتساق في نهج البلاغة في ضوء لسانيات النصّ(رسالة ماجستير):١٢٥.

([٤٠٣]) المقامات: ١٥٣.

([٤٠٤]) نفسه: ٢٦٧.

٣-الرّبط الاستدراكي:

وهو الربط الذي يسمى العكسيّ أيضاً، ويتم بمجموعة من الأدوات التي تجعل من العبارات اللاحقة على العكس مما كان يتوقعه المتلقي، وأدواته العاطفة هي:(لكن، وبل)،ومن عباراته:((بيدّ أنَّ، غيرَ أنَّ، أمَّا، خلاف ذلك، على العكس، في المقابل)[٤٠٥]، ومن تطبيقات الربط على نصوص المقامات قوله:

١-((**ليس أحدٌ منكُم مستحقاً عندي للمُلك، ولا صالحاً للانخراطِ في السِّلكِ، ولكنَّ الملكَ الأكبرَ، والسيد الأبَرَّ وصاحبَ المنبرِ، ذو النشرِ الأعطرِ، والقدرُ الأخطرِ، والسيدُ الأيّدِ، الصالحُ الجيّدُ، من شاعَ فضلِهِ وانتشرَ، وكانَ أحبُّ الرياحينَ إلى سيدِ البشرِ، واشتملَ على ما في الرياحينِ...**))[٤٠٦]، ربطت (لكن) بين أجزاء النّصّ الواحد، و(ليس) تفيد في المقام النفي بدليل قوله(ولكن الملك الأكبر)، أي إنَّهم لا يستحقوا عنده الملك،ومن ثَمّ يستدرك الكلام بـ(لكن) ليبين لهم أن هناك صنفاً غيرهم يستحق الملك، لذلك أدّى اختيار(لكن) للنّصّ الذي أضاف عمقاً معنوياً، و تمام الصورة الذهنية عند المتلقي.

٢- وفي حديثه عن (المسك) في احدى مقاماته قوله:((**ولعظمِ شأنَّهِ، وعُلُوِّ مكانَّهِ حَبَتْهُ الشعراءُ بالتنْزِيهِ، ولم يشبهوه بشيءٍ؛ بل جعلُوهُ أصلاً للتشبيهِ، فشبهوا به لونَ المحبوبِ والخالَ، وكلَّ ما استُطيبَ ريحُه شُبِّه بهِ في الحالِ**))[٤٠٧].

فنرى أن (بل)قد عملت على الاستمرارية الذهنية عند المتلقي المعلومات، إذ إنّها زيدت على المعلومات المذكورة في النصّ بأنّ (المسك) هو أصل للتشبيه ،أي تشبه به الأشياء لا يشبه بها.

٤-الرّبط السببي:

يسهم هذا الرابط في إيضاح العلاقات المنطقية بين جملتين أو عدد من الجمل، ويطلق عليه (أدوات التفريع أو الإتباع)[٤٠٨]، وتربط بين عنصرين يعتمد بعضهم بعضاً، أي وجود الأول على الثاني، كالسبب والنتيجة من أدواته: (اللام، ولأنّ، والفاء، ولذلك، وحتى، ...)[٤٠٩].

وما ورد في المقامات عن هذا الربط قوله:

---

(٤٠٥)ينظر: نظرية علم النصّ رؤية منهجية في بناء النصّ النثري:٩٥،لسانيات النّصّ مدخل إلى انسجام الخطاب:٢٣، وعلم لغة النصّ النظرية والتطبيق: ١١٢.

(٤٠٦) المقامات: ٤٦.

(٤٠٧) المقامات: ٦٤.

(٤٠٨) ينظر: نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري :٩٥.

(٤٠٩) ينظر: نفسه: ٩٥.

١-((**فإن عادَ ضميرُ فصلٍ، وقضى الشأنُّ لهُ بالوصلِ؛ فوربِّ الليلِ وما وسقَ، والقمرِ إذا تسقَ لئن عطفَ عاماً بعد عامٍ على نسق؛ ليقطعنَّ عائدَ كُلِّ موصولٍ، وليذهبنَّ كُل ذي حاصلٍ ومحصولٍ، وليفتحنَّ بابيِّ الاستغاثةِ والندبةِ، وليرفعنَّ بابيِّ التمييزِ والنسبةِ، وليصيرنَّ الأخبارَ بلا مسندٍ إليهِ، والمسندَ إليهِ بلا أخبارٍ**))[٤١٠].

جاءت اللام في هذا النص في الأفعال(ليقطعنَّ، ليذهبنَّ، وليفتحنَّ، وليرفعنَّ، وليصيرنَّ) للدلالة على بيان السبب والنتيجة التي جاءت بها (المقامة الطاعونية) فنجد اللام أتت لكي تبين نتيجة السبب الذي جاءت بها الأفعال في الاستعمال، ففي قوله(ليذهبنَّ كل ذي حاصل ومحصول) أي حاصل الكلام :التفصيل بعد الإجمال، ومحصول الكلام: إجمال بعد التفصيل[٤١١]،(وليفتحنَّ بابي الاستغاثة والندبة)(الاستغاثة) هو طلب الانخراط في سلك البعض والنحاة عما ابتلى به البعض الآخر[٤١٢]، ودلالة اللام جاءت هنا لتأكيد السبب الذي بسببه فقد الشيء أو أصبح في حكم المفقود، فجاء استعمال (اللام) متسقاً مع دلالة النص الكلية.

٢-((**يكتحلُ به للزرقةِ المكتسبةِ من الأمراضِ، وليحذرَ من الإكثارِ منهُ، والإدمانِ عليهِ؛ فإنّهُ رديءِ الأعراضِ**))[٤١٣]، واللام هنا جاءت لبيان سبب التحذير من (الزعفران)؛ لأنه صفات وأعراض سلبية.

٣-((**العنبرُ سيدُ الطيبِ، وإنْ كانَ لا يُسَلّمُ له ذلك في المسكِ؛ لأنّهُ مقدمٌ بقولِ الصادقِ الحبيبِ**))[٤١٤].

٤-((**فإن عزمَ العامُ على الرجعةِ، وأضمرَ الأخذُ بالشفعةِ، ونوى القرآن، وألقى بالجرانِ، ليخلينَّ مصرَ من أناسِهَا، وليأخذنَّ الظباء من كناسِهَا، وليوحشُ المجالسَ من جلاسِهَا**))[٤١٥].

وجاءت في هذا النص اللام في الأفعال(ليخلينَّ، وليأخذنَّ، وليوحش) لبيان النتيجة التي يسببها (الطاعون) إذا نوى الرجعة إلى مصر، **فجاء استعمالها متسقاً مع دلالة النص الكلية.**

وفي الجدول بيان لإحصاء أدوات الربط في المقامات:

أدواة الربط	العدد الإجمالي

([٤١٠]) المقامات:٢٠٧.

([٤١١]) ينظر: الكليات: ٦١/٢.

([٤١٢]) ينظر: نفسه: ١٧٣/١.

([٤١٣]) المقامات: ٧٢.

([٤١٤]) نفسه :٦٦.

([٤١٥]) المقامات:٢٠٤.

الواو	٩٢٠
الفاء	٣٠
أو	٢٧
لكن	١٥
ثم	١٢
بل	٦

نلحظ من الجدول أن نسبة تواتر حروف الربط :(أو، ولكن، وثم، وبل)كان بنسبة قليلة مقارنة بالواو والفاء، ويتضح أن الربط بالأدوات هو إحدى الوسائل المهمة التي تسهم في اتساق النصّ، وهي دعامة رئيسة في تماسكه، وتربط الجمل والفقرات داخل النصّ، التي تضفي عليه معنىً جديداً، أو تسهم في تمام معناه، ومن ثُمَّ نجد أن الربط في النصّ، وفضلاً عن الربط الشكلي على المستوى السطحي للنصّ، صار فيه بعدٌ دلاليٌ قريبٌ لفهم النص.

نخلص من ذلك كله إلى أنّ الربط بالأداة كان تقنية من تقنيات توسيع الجملة الأولى سواء كان ذلك التوسيع باعتماد أحد أركان الجملة الأولى والعطف عليه، أو بالمباعدة بين طرفين مترابطين من فعل الشرط وجوابه، كذلك استعمل العطف لتبئير بعض عناصر النص وجعلها محوراً أساسياً مؤثراً في سياق النص، أو لتبئير الفكرة العامة أو الموضوع الأساس للنص، أو للجمع أو مطلق الجمع.

الفصل الثاني
الانسجام النصيّ
وتضمن:

-توطئة

المبحث الأول: مبادئ الانسجام ومظاهره

المبحث الثاني:العلاقات الدلاليّةوالأبنية العليا

الفصل الثاني

(الانسجام النصي)

توطئة

إذا كان الاتساق ذا ((طبيعة خطية أفقية تظهر على مستوى تتابع الكلمات والجمل))[٤١٦]، والبحث فيه يتطلب من الدارس صرف اتمامه نحو المستوى العمودي للنص؛ وذلك على اعتبار أن الوصف فيه لن يأخذ في الحسبان الروابط المتتالية للجمل، وإنّما يتأسس على النص بوصفه كلاً منسجماً[٤١٧].

يُعدّ مصطلح(Coherence) أحد المصطلحات التي تباينت فيها آراء الدارسين، لوجود مقابل عربي له، إذ إنّ لكلِّ دارس مصطلح معين مقابل المصطلح الأجنبي(Coherence)في الإنجليزية أو(Kohacreg) في الألمانية أو ما يماثلاهما في لغات أجنبية أخرى، فمثلاً "محمد خطابي" نجده اختار مصطلح "الانسجام، و" محمد مفتاح "التشكل، كما ترجم إلى الترابط المفهوميّ،أو التماسك المعنويّ،أو الاتساق،أو التقارن[٤١٨]، في حين استعمل الباحثان" سعد مصلوح" و"محمد العبد" مصطلح الحبك بدلاً من المصطلحات السابقة أو ما شابههما كالتناسب، والتقارن... الخ،إذ يقول محمد العبد:((فقد أثرت الحبك على غيره ممادار مداره))[٤١٩]، وقد استعملنا مصطلح الانسجام ؛ لأنّه الشائع في الوسط اللسانيّ، وقد استعمله كثير من علماء لغة النصّ.

وهو الخاصية الدلالية للخطاب التي تقوم على تأويل كل جملة مفردة متعلقة بتأويل جملة أخرى، لذلك لايمكن حسابه بالوسائل اللغوية وحدها[٤٢٠]؛ لأنّ الخطاب يحمل دلالات مختلفة يسودها الغموض، والمتلقي هو الذي يزيح عنها ذلك الغموض بربط معاني الجمل بعضها ببعضها الآخر،وهذا المفهوم نجده عند "هاليداي ورقية حسن" في تعريفهما للانسجام على أنّه:((مفهوم دلالي يُحيل إلى علاقات المدلول التي توجد داخل النص والتي تعرفه كنص،إن الانسجام يظهر عندما نؤول عنصراً في الخطاب بربطه بعنصر آخر،الواحد يفترض الآخر))[٤٢١].

ولأنه يختص بالاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بينها[٤٢٢]، لذلك يمثل أساساً مهماً من أسس الدرس النصي[٤٢٣]؛ ويتم به ربط الأفكار والمفاهيم داخل النص،أي العلاقات التي تربط معاني الجمل في النص،وهذه الروابط تعتمد على متحدثين(السياق المحيط بهم)[٤٢٤]،فهو إذن يتصل برصد وسائل الاستمرار الدلالي في علم النص،أو العمل على إيجاد الترابط المفهومي والمعنوي للنص ،فهو البنية

([٤١٦]) علم لغة النص(مدخل متداخل الاختصاصات):١٢٢.

([٤١٧]) ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص: ٣٣٠.

([٤١٨])ينظر: لسانيات النصّ بين النظرية والتطبيق:٣١، وعلم لغة النصّ النظرية والتطبيق:١٨٤،و الخطاب القرآني:٢٠، مدخل إلى علم النصّ ومجالات تطبيقه:٨٢.

([٤١٩]) النص والخطاب والاتصال:١٠٠، وينظر: لسانيات النصّ بين النظريّة والتطبيق:٣١،وعلم لغة النصّ بين النظرية والتطبيق:١٨٤، ومدخل إلى علم النصّ ومجالات تطبيقه:٨٢.

([٤٢٠]) ينظر: النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلاليّ والتداوليّ: ١٣٨، وسميائية النص الأدبي:٨٧.

([٦]) ينظر :سيميائية النص الأدبي :٨٨.

([٤٢٢]) ينظر: التعلق النصي :١٢/١، و نحو أجرومية للنص الشعري:١٥٤.

([٦]) ينظر: علم اللغة النصي :٤٢/١.

([٤٢٤]) ينظر: النص الغائب:٤٨، وعلم اللغة النصي:٩٤/١.

التحتيَّة لأدوات الربط الظاهر[٤٢٥]؛ لأنّ النص(يتألف من عدد من العناصر التي تقيم فيما بينها شبكة من العلاقات الداخلية التي تعمل على إيجاد نوع من الانسجام والتماسك بين تلك العناصر، وتسهم الروابط التركيبية والزمنية والإحالية في تحقيقها))[٤٢٦].

ويبدو الانسجام أعم من الاتساق وأعمق منه؛لأنّه يهتم بالروابط الدلالية المتحققة في عالم النص، ويوجه آهتمام المتلقي صوب العلاقات الخفية والمغيبة التي تنظم النص وتولده، وهو ذو طبيعة دلالية، تظهر من علاقات وتصورات تُظهرها الكلمات والجمل أيضاً، إلاّ أنّها تحتاج إلى قدرة معينة على استخراجها ووصفها[٤٢٧]؛لأنّ الاتساق ذو طبيعة أفقية تظهر على مستوى تتابع الكلمات والجمل، ويهتم بالروابط الشكلية المتجسدة في ظاهر النص[٤٢٨].

وبهذا يتضح أن البحث في الانسجام يتطلب صرف الاهتمام نحو المستوى العمودي للنص؛ لأن الوصف فيه لا يأخذ في الحسبان الروابط المتتالية للجمل، بل يتأسس على النصّ بعدِّه كلّا منسجماً[٤٢٩]، ولايتوقف على المكونات اللغوية، بل يُعرَف عن طريق العلاقات الداخلية الموجودة في النصّ،إنّ الصلة بين هذه العلاقات تؤدي إلى تكوين النصّ الذي يكوّن وحدة كُليّة مترابطة الأجزاء مُتآلفة المضمون[٤٣٠].

ومن الوسائل النصية التي اسهمت مجتمعة في جعل النص منسجمًا مايأتي:

([٤٢٥]) ينظر: نحو النص:٤٨، و نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري:١٢٨.

([٤٢٦]) دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة :٧٨.

([٤٢٧]) ينظر: لسانيات النصّ (مدخل إلى انسجام الخطاب):٥، و علم لغة النص:١٢٢-١٢٣.

([٤٢٨]) ينظر : علم اللغة النصي :٩٥/١،وعلم لغة النص:١٢٢.

([٤٢٩]) ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص:٣٣٠

([٤٣٠]) ينظر: نحو النصّ إطار نظريّ ودراسات تطبيقية:١٧٣.

المبحث الأول

مبادئ الانسجام ومظاهره

توطئة:

أنَّ الكشف عن مبادئ الانسجام يقودنا إلى أن نجعل المتكلم والمتلقي هما أساس الانسجام النصيّ؛ إذ((ليس هناك نص منسجم في ذاته ونص غير منسجم في ذاته باستقلال عن المتلقي))[٤٣١]، ولتحديد المبادئ والعمليات التي يشغلها المتلقي بهدف اكتشاف انسجام خطاب وعدم انسجامه؛ انطلق محمد خطابي من افتراضين:الأول: أن الخطاب لايملك مقومات انسجامه في ذاته، وإنما القارئ هو الذي يسند إليه هذه المقومات، والآخر:أن كلَّ نصٍّ قابل للفهم والتأويل هو نص منسجم، والعكس صحيح[٤٣٢]، ومن مبادئ الانسجام في مقامات السيوطي ما يأتي:

١- النص والعنوان (التغريض):

أولت الدراسات النصية الحديثة عناية كبيرة للعنوان،في إطار التنظير للنص الأدبي ومقاربته، وذلك؛ لأنه من المصطلحات التي نتمكن بوساطتها من تفكيك النص وحل طلاسمه،فالعنوان((يقدم لنا معونة كبرى لضبط انسجام النص،وفهم ما غمض منه؛إذ هو المحور الذي يتوالد ويتنامى ويعيد إنتاج نفسه؛فهو إن صحت المشابهة بمزلة الرأس للجسد))[٤٣٣]؛لأنه فيما يخصُّ متلقي النص، يمثل العتبة الأولى التي يلج من خلالها إلى عوالمه، فهو يسهم في رفع سقف توقعات القارئ للمضمون الذي يحويه النص، فإما أن يستجيب لأفق انتظاره، وإما أن يخيبه، ويحدث هذا في العنونات الإيحائية ذات الطبيعة الملغزة، المكثفة، والمشعبة بالدلالات التي قد تتلاعب بتوقعات القارئ من حين لآخر، فلا يتبين له قصد المؤلف الحقيقي إلاّ بالقراءات المتعددة للنص، وبالاستعانة بمعارفه الخلفية وخبراته السابقة[٤٣٤].

ويعرفه "براون ويول" بأنه((نقطة بداية قول ما))[٤٣٥]،ونقطة بداية أي نص تكمن في عنوانه أو الجملة الأولى، فالعنوان عنصر مهم في سيميولوجيا النص، ففيه تتجلى مجموعة الدلالات المركزية للنص

([٤٣١]) لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب:٥١.

([٤٣٢]) ينظر: نفسه:٥٢.

([٤٣٣]) دينامية النص، تنظير وإنجاز، محمد مفتاح:٧٢.

([٤٣٤]) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب:٥٩.

([٤٣٥]) تحليل الخطاب: براون ويول:٨١.

الأدبي[٤٣٦]،إذ يعدهُ "براون ويول" أقوى وسيلة من وسائل التغريض[٤٣٧]،لاحتوائه على وظائف رمزية مشفرة بنظام علامي دال على عالم من الإحالات[٤٣٨]،فهو إجراء في هدف النص وغرضه[٤٣٩]،ويحدده" جرايمس" "(Cramas) بمفهوم أعم، وهو كل قول، وكل جملة، وكل فقرة،وكل حلقة، وكل خطب منظم حول عنصر خاص يُتخذ كنقطة بداية[٤٤٠]،وهذه المفاهيم عدّت العنوان والجملة الأولى من الـنـص أهـــم الأدوات المستعملة للتغريض،لكونه المنطلق المهم جداً في تأسيس كل شيء[٤٤١].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن علماء التفسير أولوا اهتماماً كبيراً للجملة الأولى في التحليل النصي وعلاقة الجملة التالية كلها بهذه الجملة، وهذا ما ركّز فيه علماء النص المعاصرون في عملية كشف الانسجام، إذ نجد أن "الرازي"(ت ٦٠٦هـ)يركز في أهمية الفاتحة بالنسبة لما يليها من السور[٤٤٢]، ولاحظ السيوطي (ت٩١١هـ) هذا أيضا إذ إنه ركّز على أهمية الفاتحة وأهمية القرآن الكريم كله بها[٤٤٣].

وإضف إلى هذه العناصر هناك عناصر أخرى أو طرق أخرى يتم بها التغريض كتكرير اسم الشخص، أو استعمال ضمير محيل إليه،أو تكرار جزء من اسمه،أو استعمال ظرف يخدم خصيصة من خصائصه، أو يخدم دوراً من أدواره في حقبة زمنية[٤٤٤].

إن العنوان وظيفة إدراكية مهمة تهيئ المتلقي لبناء ما يخبر به النصّ، ويمكن أن يُعدّ العنوان جزءاً من البنية الكبرى، إذ يساعد على تنشيط الذاكرة وتحفيزها، ويعطي للقارئ فرصة تذكر مضمون النصّ أو استحضار المعرفة المتصلة به[٤٤٥].

وإذا نظرنا إلى مقامات السيوطي فإننا نجد في أول الكتاب تصدر العنوان مقامات السيوطي الأدبية الطبية، وكان لكُلّ مقامة من مقاماته الإثنتي عشرة عنوان خاص يُوحي بما تتضمنه كُلّ مقامة،فكان العنوان مفتاحاً لنصوصها،واختزالاً لأبنيتها الدلالية[٤٤٦]، وسنأخذ أمثلة من المقامات نجد عنوانها دليلاً على موضوع النصّ،

([٤٣٦]) ينظر: النص الغائب: ٢٦.

([٤٣٧])ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب:٦٠.

([٤٣٨]) ينظر: السيميوطيقا والعنونة، د. جميل حمداوي:٧٩.

([٤٣٩]) ينظر: الخطاب القرآني(دراسة في العلاقة بين النص والخطاب):٤١١.

([٤٤٠]) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام النص:٥٩.

([٤٤١]) ينظر: نسيج النصّ:٦٨.

([٤٤٢]) ينظر: تفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، الرازي: ١/ ٢٢٧.

([٤٤٣]) ينظر: علم اللغة النصي:١٢٨/١ .

([٤٤٤]) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام النص:٥٩.

([٤٤٥]) ينظر: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات:٨٨، ولسانيات النص النظرية والتطبيق مقامات الهمذانيّ أنموذجاً:١٥٧.

([٤٤٦]) ينظر: لسانيات النص النظرية والتطبيق مقامات الهمذانيّ أنموذجاً:١٥٨.

فنجد مثلاً أنّ(المقامة الذهبية في الحمى) عنوانها دليل على أنّ النص سيكون عن الحمى، وفعلاّ تحدث فيها عن منافعها البدنية، ومآثرها السنية، مؤيداً كلامه بما ورد في التفسير، وما ورد من الإخبار عن النبي المختار عليه الصلاة والسلام ذاكراً أنه ربما صحت الأجسام بالعلل[٤٤٧]،(والمقامة البحرية أو النيلية في الرخاء والغلاء) عنوانها دليل على أن الحديث سيكون عن نقصان النيل بعد المد ، ثم عودته إلى المد بعد النقصان مُوَرّيّاً في وصف الحالتين بألفاظ العلوم ومصطلحات الفنون،إذ تجد نفسك مع طائفة مختلفة من العلماء تصف المد والنقصان كُلّ بلسانه[٤٤٨]، وفضلاً عن ذلك فإنه تبين أكثر من كثرة الإحالات إليه والتصريح بلفظ واسم النيل، فمن يقرأها يستطيع بلا شك أن يضع لها العنوان نفسه الذي وضعه السيوطي، و(مقامة الروضة في روضة مصر) واضحةٌ من عنوانها أنه سيتحدث فيها عن جزيرة الروضة (مصر)التي سكنها في أواخر سني عمره ووصف جمالها ، وأشار إلى تاريخها، وذكر ما قاله الشعراء فيها وفي وفاء النيل[٤٤٩].

وإذا كان العنوان قد شكّل ركيزة أساسية في هذه المقامات التي ذكرناها وغيرها كثير،فيمكن أن يكون العنوان ركيزة أساسية في توجيه فهم القارئ لمضمون نصّ معين، ويمكن أن يكون تلخيصًا المحتوى، فهو بهذا يجسد الوحدة الكلية للنصّ وعنوان النص عامة، وهو أول شيء يواجه الدارسين في النصوص وتحليلها؛ لذلك يكون للعنوان المكانة الأولى في كشف تماسك النصّ؛ لأنَّ النصّ قد يكون تلخيصاً للمحتوى، وقد يكون مُكملاً لما جاء في العنوان وموضحاً له، وقد يكون النصّ شارحاً ومفصلاً للإجمال الذي في العنوان[٤٥٠].

٢-ترتيب محتوى النص (الخطاب):

من مظاهر الانسجام النصي (ترتيب محتوى النص)، فالأحداث المرتبة في النص على وفق حصولها في الواقع لها أثر على عملية الانسجام[٤٥١]، وعلماء الغرب تحدّثوا عن ترتيب النص أو الأحداث، إذ عدّهُ "فان

---

(٤٤٧) ينظر:المقامات :١٥١،وما بعدها.

(٤٤٨) ينظر: نفسه:١٦١ وما بعدها.

(٤٤٩)ينظر: نفسه: ١٨١ وما بعدها.

(٤٥٠) ينظر: الاتساق والانسجام في سورة الكهف (رسالة ماجستير):١٨٨.

(٤٥١) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب:١٨٣.

دايك"مظهراً من أهم مظاهر الانسجام،وأطلق عليه الترتيب العادي للوقائع[٤٥٢]،إذ إنّ الجمل ((إذا كانت تدل على الأحداث، فإنّ انتظام سلاسل من الجمل ينبغي أنْ تدل على مجموع منظم من الأحداث))[٤٥٣]، وهذا المجموع المنظم من الأحداث تحكمه جملة من المبادئ في مقدمتها معرفتنا للعالم[٤٥٤]،وهناك علاقات تحكم ترتيب هذه الوقائع في النص، وهي علاقات تخضع لمبادئ معرفية، كالإدراك والاهتمام، وتتمثل فيما يأتي(الجزء والكل،والخصوص والعموم والإجمال والتفصيل...)[٤٥٥]،واستعمل علماء التفسير هذه المبادئ لتفسير العلاقات بين العناصر والمفاهيم بدءاً بـ"السيوطي" من خلال مراعاته للعلاقات القائمة بين النص الواحد أو حتى بين عدة نصوص[٤٥٦]، وإذا ذهبنا إلى المقامات نجدها أنموذجاً فنيّاً ، إذ نجد السيوطي قد تدرج في عرض الموضوعات والأحداث في المقامة الواحدة جاءت متسلسلة، مما يجعل القارئ والمتلقي يحس بأن النص ذات مسارٍ معينٍ،وهذا نجده واضحاً في جميع المقامات، وعلى سبيل المثال لا الحصر في المقامة(البحرية أوالنيلية في الرخاء والغلاء)، إذ إنَّهُ يتسلسل بالأحداث عن النقصان الذي أصاب النيل بقوله:((...**فوقَفَ مدُّ النيلِ عن الامتدادِ،وبدأ فيه النقصُ بعد الازديادِ، فانتظرَ الناسُ أوبتَهُ، وترقبوا منه أن يوفي من الزيادةِ نوبتَهُ، فاستمرَّ على الوقوفِ، وانكشفَ لنقصـِه السّواحلُ والجروفُ، وانكسفَ بدرُهُ الطالع بما رقمَ أمواجُهُ على الأرضِ من الحروفِ،وتمثّلَ أربابُ الأراضي والمزارع، وأصحابُ المراعي، والمراتع و المرابع ، لا تفتح تُرعةً لـجرى الماءِ منها إلاّ وقفَ،ولا يُحسّرُ بجسرٍ لسقي الأكفّ،وما وَكَفَ يُكَفُّ، وسكتْ المنـادي بزيادتـه ألفاً ، ونطـقَ خُلفاً،وصارتِ الروضةُالنضرةُ بعدَ تلك الخُضرةِ مَوْرِدَةَ الحَلفا، وصَبّ اليأسُ على أهلِ المقياسِ، وصارتْ دارُ النـُحـــاسِ أنحسَ دارٍ، وجرت الأقدارُ على أهلِ مصرَ بالأكدارِ...**))[٤٥٧] .

وفي المقامة الدّريّة في الطاعون والوباء كذلك نجده يتدرج بالأحداث، حيث قال:((**لما كان في أول سنةِ سبعٍ وتسعينَ وثمانمائةٍ،ودرتِ الأخبارُ عن الأخيارِ بأنَّ الطاعونَ قد انتشرَ في بلاد الرّوم، وأنّه بصددِ أن يطرقَ البلادَ الشاميةَ والمصريةَ ويروم، وكانَ للطاعونِ نحو خمسَ عشرةَ سنةً لم يطرقْ هذين المصرينِ، ولا أناخَ ركابَهُ بهذينِ القُطرينِ، ثم جاءَ الخبرُ بُوصولِهِ،إلى البـــلادِ الحلبيةِ، بعد شهرينِ،فأرجفَ الناسُ بدخوله مصرَ، وتحملوا من خوفِ هُجومِهِ عليهم الإصـــرَ،فنتقلَ في بعضِ البلادِ الشّاميةِ دونَ بعضٍ،ولم يسرْ على سننِهِ**

([٤٥٢]) ينظر: نفسه:٣٨.

([٤٥٣]) النص والسياق:١٥٠.

([٤٥٤]) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب:٣٨.

([٤٥٥]) ينظر: نفسه:٣٩، والاتساق والانسجام في سورة الكهف (رسالة ماجستير):١٥٠-١٥١.

([٤٥٦])ينظر: علم اللغة النصي ٢: ٩٤-٩٥.

([٤٥٧])المقامات:١٦٧.

المُعتادِ بل أبذلهُ بنقص، ففات عن دُخولِهِ مصر إبَّانهُ، ومضى وقتُ طُروقِهِ وأوانِه،ثم وردَ الخبر بأنّه قفزَ إلى قطيا قفزةً، ولم يدخل القدسَ ولا الرَّمْلةَ ولا غزّةَ، فهزَّ أهلها هزَّةَ،وبرزَ لهم برزةً، وأدخلَهم تحت الرُزَّةِ،ثم مشى حتى دخلَ الخانكاه، فزلزل أهلها، واجتثَّ أصلها، وأخذها فئةً بعد فئةٍ ...))[٤٥٨].

وعلى هذا التدرج سارت جميع مقامات السيوطي،وإن دل هذا على شيء فإنّهُ يدل على أن السيوطي قد طبق المنهج الذي اتبعه في تفسير آيات الذكر الحكيم في إظهاره للمعنى الرابط ببيان مناسبة ترتيب السور في مقاماته التي أنشأها، وبهذا يتضح الأثر الذي يقوم به الترتيب في سبيل تحقيق انسجام النص واتساقه .

٣- الحالة العادية المفترضة للعوالم (المعرفة الخلفية):

يعد هذا المبدأ شرطاً معرفياً،فهو أداة لمعرفة انسجام نص ما، ويقصد به((أنّ توقعاتنا حول البنيات الدلالية للخطاب تحددها معرفتنا حول بنية العوالم عموماً والحالات الخاصة للأمور أو مجرى الأحداث))[٤٥٩].

وذلك يعني أنَّ المتلقي له معرفة مسبقة بالأفكار والأشياء، مخزونة في الذهن وهذا حسب تجاربه السابقة؛لأنه موهوب قادر على الاحتفاظ بالعناصر الرئيسة للنصوص حين معالجتها وتحليلها، كذلك لابد من توفر شرط أساس، يتمثل في الحس الفني،والذوق الرفيع، وآليات التحليل، إذن؛ فالقارئ عندما يواجه نصاً ما يحاول استحضار ما يملك من مخزونه المعلوماتي فيما يخص هذا النص، فيأتي بما يحتاج إليه في دراسته،وأن هذه

([٤٥٨]) نفسه:١٩٥-١٩٦.

([٤٥٩]) ينظر :لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب:٣٥.

المعرفة المسبقة ومجموعة المعلومات تـكون منظمة غـير عشوائية، إذ إنَّ هذه المعرفة تتسم بأنها وحدة تامة من المعرفة الجاهزة في الذاكرة[٤٦٠].

يقوم هذا المفهوم على أنّ المخاطب لا يتلقى ما يتلقاه من نصوص وهـو خالي الذهـن، إنّما يتلقاها وقد حصلت لديه جملة من المعارف سميت (المعرفة الخلفية) أو معرفة العالم[٤٦١].

وهي أداة من أدوات انسجام النص،وتعني((ثقافة المتلقي وأدواته المعرفية،وما يمتلكه من قدرا ت تساعده على التصور الذهني للأشياء))[٤٦٢]،ويذهب دي بوجراند إلى أنّ((مسألة كيفية معرفة الناس بما يجري داخل النص هي حالة خاصة من مسألة كيفية معرفة الناس بما يجري في العالم بأسره))[٤٦٣].

وعلى هذا فإن تحليل النص أو معرفة مدى انسجامه والحكم عليه بالنصية أو عدمها، يعتمد على ما تراكم لدى القائم على تأويل النص أو متلقيه من معارف سابقة تجمعت لديه أو قرأها، ليكون قادراً على الاحتفاظ بالخطوط العريضة للنصوص والتجارب السابقة التي قرأها أو عالجها[٤٦٤].

وما نعرفه عن السيوطي والعصر الذي عاش فيه وهو عصر المماليك– وإن كان قليلاً– قد يسعف في الوصول إلى تحليل بعض نصوص المقامات، فقد أدت الأوضاع السياسية والاجتماعية التي عاشتها البلاد في تلك المدة إلى التصارع على الحكم والأحداث التي حدثت في مصر بخاصة، وهذا كله يفسر لنا ما جاء في المقامات ولاسيما المقامات الأولى التي كانت بمنزلة سجل تاريخي لبعض الحوادث المهمة التي اعترت عصر المجتمع المملوكي الذي لم يستطيع الشعر أن يوصل لنا تفاصيله كافة، ومنها ما حدث من صراعات بين الأمراء والعلماء أنفسهم، وهذا واضح في (مقامة الرياحين والمقامة المسكية والمقامة الياقوتية)،ففي المقامة المسكية اختار أربعة من أمراء الطيب وهم: (المسك، والعنبر،والزعفران، والزباد)، وهو بهذه المقامة يرمز إلى أربعة من أمراء المماليك الذين تنازعوا على الحكم بعد قاتيباي، أي سنة (٩٠٢–٩٠٦هـ) ، ونجد السيوطي يقول لرابعهم الزباد((**وأمّا أنتَ أيُّها الزَّبادُ: وإن اشتهرتَ في كُلّ نادٍ، بَينَ كُلّ نادٍ، بينَ كُلّ حاضر وبَادٍ– فلستَ تُعدُّ مع هولاءِ من الأقرانِ؛لأنهُ لم يردْ ذكرُكَ في آيةٍ من القرآنِ، ولا في حَديثٍ عن سيّدِ وَلَدِ عَدنانِ، لا في الصّحاحِ، ولا في الحِسانِ، ولا في أثرٍ عن أحدٍ من الصحابةِ ولا التابعين لَهُم بإحسان ، فلا تتعد طورَكَ، ولا تبعد غورَكَ، ومتى ادّعيت أنك رابعُهُم قِيلَ لكَ: اخسا، ومتى جاريتهُم في ميدانِ السّبقِ فكبّاً لكَ وتْعساً، وأُخرى**

---

(٤٦٠)ينظر :نفسه:٦٥.

(٤٦١) ينظر: أصول تحليل الخطاب :١٧٥/١.

(٤٦٢)عناصر الاتساق والانسجام النصي قراءة نصية تحليلية في قصيدة(اغنية شهريار)لأحمد عبد المعطي حجازي:٥٤١.

(٤٦٣) تحليل الخطاب:٢٧٩.

(٤٦٤)ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب:٦١.

أنبئك بها : من الفُقهاءِ من قرّرَ نجاستكَ، وذلكَ ممّا يسقطُ في سوق الطيب نفاستكَ، وقُصارى أمرِكَ أنكَ عِرقُ هرّ بَري، أو لبنُ سَنّورٍ بحريّ، فلا نسبَ لكَ ولا حَسَبَ، ولا سَلَفَ ولا خَلَفَ،وأنتَ أقلُّ شَرَفاً، وأذلُّ سَلَفاً...))[٤٦٥]، ويرمز هنا إلى أمير المماليك وهو طومان باي الذي توفى سنة (٩٠٦هـ)، وذلك بسبب قسوته وبطشه، وهو الذي طالب بقتل السيوطي[٤٦٦].

ومن الحوادث التاريخية التي ذكرها في مقاماته قوله في(المقامةالدّريَّة)التي أنشأها في الطاعون الذي أصاب الديار المصرية والشامية(سنة ٨٩٧هـ) ثم أعاد عليها الكرة في السنة التالية،إذيستهلها بآيةٍ من الذكر الحكيم،يقول بعدها السيوطي:((**لما كان في أول سنةِ سبعٍ وتسعينَ وثمانمائةٍ، وردتِ الأخبارُ عن الأخيارِ بأنَّ الطاعونَ قد انتشرَ في بلادِ الرّومِ، وأنّهُ بصددِ أن يطرقَ البلادَ الشاميةَ والمصريةَ ويروم، وكانَ للطاعونِ نحو خمسَ عشرةَ سنةً لم يطرقْ هذينِ المِصرينِ، ولاأناخَ ركابَهُ بهذينِ القُطرينِ، ثم جاءَ الخبرُ بوصولِهِ، إلى البلادِ الحلبيةِ بعدَ شهرينِ،فأرجفَ الناسُ بدخُوله مصر، وتحملوا من خَوفِ هُجومِهِ عليهم الإصرَ،فتنقل في بعضِ البلادِ الشّاميةِ دونَ بعضٍ، ولم يسرْ على سَنَنِهِ المُعتادِ، بل أبدلّهُ بنقضٍ،ففاتَ عن دُخولِهِ مصرَ إبَّانهُ، ومضى وقتُ طُروقِ...))**[٤٦٧].

ففي هذه المقامة يسرد الأحداث التاريخية التي صورها في مصر عندما طرقها الطاعون والوباء، ويمكننا الاستدلال على هذا الحدث من خلال المعرفة الخلفية لدى القارئ عن تاريخ مصر في عهد المماليك.

ففهم بنية نصوص هذه المقامات هي فعالية ذاتية لتراكم المعلومات التي أعطتنا القدر الكافي الذي نحتاج إليه في فهم النص؛ وإلى هذا ذهب (براون وبول) إلى أن ((المعرفة التي نملكها كمستعملين للغة تتعلق بالتفاعل الاجتماعيّ بواسطة اللغة ليست إلاّ جزءاً من معرفتنا الاجتماعية– الثقافية: إن هذه المعرفة العامة للعالم لا تدعم فقط تأويلنا للخطاب،وإنما تدعم أيضاً تأويلنا لكل مظاهر تجربتنا))[٤٦٨].

فموضوع أيِّ نصٍّ يتوقف على معرفته بالعالم فما ذُكر آنفاً من أحداث تاريخية وسياسية ساعد على فهم موضوعات المقامات التي كتبها السيوطي على شكل رموز، أو بصورة مباشرة، ممّا يستعين بها القارئ لمعرفة ما يدور في النصوص، إذن المعارف مرتبة ومنظمة بطريقة خاصة على وفق عالم خاص، يلجأ إليها القارئ في أثناء مواجهة نص من النصوص مع عدم إفقاد الحق في التماسك والانسجام،هذا يعين على وجود ترابط بين مضمون المقامات وما هو في الواقع.

([٤٦٥]) المقامات:٧٢-٧٣.

([٤٦٦]) ينظر: موسوعة التاريخ الإسلامي العصر المملوكي : ١٢٩.

([٤٦٧]) المقامات:١٩٥.

([٤٦٨]) لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب:٣١١.

٤- وحدة الموضوع بين النصوص:

من مظاهر الانسجام بين النصوص المدروسة هو التوافق الحاصل بين عددٍ من المقامات، وينطلق هذا الفهم من((الفرض القائل بأن للنصوص نواة موضوعية، موضوع يُبسَط حسب مبادئ معينة (موجهة آخر الأمر توجيهاً اتصالياً) حول المضمون الكلي للنص))[٤٦٩]، ويعرف موضوع النص بأنه((الصياغة الملخصة إلى أبعد حدٍّ لمضمون النصّ))[٤٧٠]، وعليه، فإنَّ قراءة لنصوص المقامات تقودنا إلى استشعار وحدة الموضوع في بعض منها مع اختلاف الأسلوب، إذ تدور موضوعاتها حول قضايا معينة كقضية الطاعون والوباء ، ونقص النيل ، وفقد الذرية، وقد يكون الموضوع حول شخصيات معينة بإعطائها رموزاً معينة أو حول مكان معين، يكون هو البؤرة المركزية لمضمون النصوص.

إن تحديد الموضوع((تابع للفهم الكليّ الذي يستخلصه القارئ المعين من النص/ذلك الفهم الكلي يحدده بشكل حاسم المقصد المخمن لدى الباث، أي القصد التواصليّ الذي اتبعه المتكلم/ الكاتب بنصه حسب رأي المتلقي))[٤٧١]، فعادة يضم النص عدة موضوعات لكلٍّ منها أهمية ولاسيما في واقع النص: لكن بمقارنته مع النصوص الأخرى يمكن أن نضع أيدينا على الموضوع الأساسي فيها جميعاً((فالموضوع الذي ينسجم انسجاماً أمثل مع وظيفة النص المكتشفة على أساس تحليل(براجماتي) للنص هو الموضوع الأساسي))[٤٧٢].

وسنقف عند المقامات الآتية لإظهار مدى انسجامها وتلاؤمها مع بعضها ضمن تناول موضوعين بوصفهما أنموذجاً لوحدة الموضوع، الأول:على سبيل المثال لا الحصر في تفاعل المقامتين ((النيلية في الرخاء والغلاء) و(الدّريّة في الطاعون والوباء))وتنسجمان كما لو كانتا نصاً واحداً، ويظهر ذلك من ترتيب الوقائع فيهما، يقول السيوطي:((**ولما كانَ أول سنةِ سبعٍ وتسعينَ وثمانمائةٍ**))[٤٧٣]،((**لما كانت سنةُ سبعٍ وتسعينَ وثمانمائةٍ، أوفى النيلُ في منتصفِ مصرى وسارتْ في البلادِ رسائلُ البُشرى، وأرسلت منه نِعمُ الله على العباد...، ونسُوا ما تقدمَ في هذا العامِ من هولِ الطاعونِ**))[٤٧٤]إذ يحكي في المقامتين ما أصاب الديار المصرية والشامية سنة(٨٩٧هـ)من جرّاء مصائب الطاعون ونقصان النيل، وبهذا تتبين وحدة الموضوع بين المقامتين، كما تنسجم المقامتان انطلاقاً من مبدأ الموضوع الواحد كذلك من مبدأ التشابه، وهو من مبادئ

([٤٦٩]) التحليل اللغوي للنص:٧٢.

([٤٧٠]) نفسه:٧٣.

([٤٧١]) نفسه :٧٤.

([٤٧٢]) التحليل اللغوي للنص:٧٥.

([٤٧٣]) المقامات:١٩٥.

([٤٧٤]) نفسه :١٦٢.

الانسجام التي قررها كل من "براون"و" يول"[٤٧٥]،إذ إنّ السيوطي في المقامتين أكتفى بالسر التاريخيّ المستمد من منبع لايدخله الشك في يقينه وحقيقته، فذكر الأخبار في قوله:((ولما كانَت أول سنة سبع وتسعين وثمانمائة، وردت الأخبار عن الأخيار...))[٤٧٦]،يتجاوب تجاوباً كاملاً مع الجوّ العام المتميز باليقين الذي تخلفه البداية الاستهلالية، وإن تشابة خطاب الشخصيات في المقامتين، إذ إن استعمال ألفاظ العلوم ومصطلحات الفنون نفسها في المقامتين – يجعلنا نجزم أنها الشخصيات ذاتّها، مع الإقرار بإن القارئ يحتاج إلى موسوعة ثقافية،، تمكنه من فهم التوريات المستعملة والمصطلحات التي تنتمي إلى الفنون ، مثلاً في قوله: ((**هذا باب الإدغام الكبير في اللحودِ، والإخفاءِ لكُلِّ بدرٍ مُنير مُغربٍ في الأخدودِ، والإقلابِ لكُلِّ عبدٍ أنق إلى فلكٍ الردى، وبرودود**))[٤٧٧]،فلو غاب عن القارئ هذه المصطلحات: الإدغام، الإخفاء، الإقلاب؛ لاستحال عليه أن يتعرف على هوية المتكلم وهو مقرئ القرآن الكريم، وإنّ تشابه خطاب الشخصيات سمح لنا بالانتباه إلى استعمال السيوطي لهاتين المقامتين على أنهما نص واحدا في شكلها ومضمونها، والغرض الذي كتبت من أجله ذات موضوع واحد هو الابتلاء والضرر الذي اصاب الديار المصرية والشامية، هكذا كانت وحدة الموضوع مظهراً من مظاهر الانسجام ليس على مستوى النص الواحد، وإنما يتجاوز ذلك ليكون على مستوى مجموعة من نصوص المقامات مما حقق ترابطاً بين نصوص المقامات حتى وإن كان متلقو هذه النصوص مختلفين.

وختاماً نقول: إنّ مقامات السيوطي في ضوء ما تقدم من مظاهر الانسجام المتنوعة الجوانب والمبادئ، امتازت بكون نصوص المقامات غنية لغوياً ودلالياً، وقد استطاع السيوطي أن يؤثر بالمتلقي، بما انمازت به لغته وأسلوبه التي جاءت منسجمة مع طبيعة متلقي النصوص وظروفها وموضوعاتها فتجاوزت بذلك حد النص الواحد ليشمل عدداً من النصوص التي جاءت منسجمة مترابطة بعضها مع بعض الآخر لتقدم فكرة موحدة أو موضوعٍ واحدٍ يجمع شتات هذه النصوص(المقامات).

فهنا أخذ الانسجام النصي في المقامات بعداً دلالياً فرّقه عن شريكه في التماسك إلاّ وهو الاتساق النصي الذي كان ضمن حدود النص الواحد طال أو قصر إذ لا يتجاوز حدود التماسك إلى أبعد من ذلك(النص).

([٤٧٥]) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب :٥٨.

([٤٧٦]) المقامات:١٩٥.

([٤٧٧]) نفسه:٢٠١.

المبحث الثاني

العلاقات الدلاليّة[٤٧٨]

وهي العلاقات التي تربط بين أجزاء النصّ،وتعمل على ربط الأحداث فيه ربطاً دلالياً، وتعرف بأنها((حلقات الاتصال بين المفاهيم، وتحمل كل حلقة إتصال نوعٍ من التعيين للمفهوم الذي ترتبط به بأن تحمل عليه وصفاً أو حكماً، أو تحدد له هيئة أو شكلاً، وقد تتجلى في شكل روابط لغوية، واضحة في ظاهر النص، كما تكون أحياناً علاقات ضمنية يضفيها المتلقي على النص، وبها يستطيع أن يوجد له مغزى بطريق الاستنباط، وهنا يكون النص موضوعاً لاختلاف التأويل))[٤٧٩]،وهي مجموعة من العلاقات تسعى لجمع أطراف النصّ وأجزائه المتباعدة وربط متوالياته الجملية بعضها ببعضها الآخر من دون إعتماد على أدوات أو وسائل شكلية أو ظهورها في النصّ[٤٨٠].

وأشار(فان دايك)إلى أنّ عملية الربط بين القضايا لاتقتصر فقط على العلاقات الدلالية بين الجمل،ولكنها تعتمد على العلاقات الإحالية، فيقول:((ترتبط قضيتان ببعضهما، إذ ترتبط معانيهما الإحالية، الوقائع التي تحيل إليها القضايا في تفسير ما مرتبطة بعضها ببعض))[٤٨١]،واستعمل مفهوم الترابط ليشير به إلى علاقة دلاليّة خاصة بين الجمل، وأطلق عليها مصطلح الرابطيّة أو المربوطيّة[٤٨٢].

ونلحظ مما تقدم أنّ المرسل يعمد إلى إقامة شبكة من العلاقات الدلالية بين قضايا الوحدة النصية، فيضمن بذلك تكوين وحدةٍ متماسكةٍ دلالياً، وهذا الأمر هو الذي يسهّل عملية استقبال الرسالة من المتلقي، ومن هذهِ العلاقات الدلالية في الدراسات اللسانية الحديثة التي أكدتها،علاقة الإضافة، وعلاقة الشرط بالجواب، وعلاقة السبب بالنتيجة،وعلاقة الاستثناء وعلاقة البديل، وعلاقة التمثيل،وعلاقة التتابع الشاذ،وعلاقة العام والخاص[٤٨٣]، والنص السردي–كغيره من النصوص الأُخر–لايخلو من هذه العلاقات،وسأتتبع أبرز العلاقات الدلالية التي أسهمت في انسجام نصوص المقامات فقط:

([٤٧٨]) ينظر: علم لغة النصّ النظريّة والتطبيق : ٢٠١ ، ولسانيّات النصّ النّظريّة والتّطبيق مقامات الهمذاني أنموذجًا: ١٣٩ ، ولسانيّات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب : ٣١ .

([٤٧٩]) نحو أجرومية للنص الشعري :١٥٤.

([٤٨٠]) ينظر: لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب:٢٦٨، و لسانيات النص النظرية والتطبيق مقامات الهمذاني أنموذجاً:١٣٩.

([٤٨١])علم النص مدخل متداخل الاختصاصات:٥٣.

([٤٨٢]) ينظر: النصّ والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلاليّ والتداوليّ:٧٤.

([٤٨٣]) ينظر: البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النصية:١٤٢، وعلم لغة النصّ النظريّة والتّطبيق:٢٠١.

١-علاقة الإجمال والتفصيل:

تقوم هذه العلاقة على ذكر قضية مجملة في بداية أي نص، ثم يتم بعد ذلك طرح قضايا أخرى مفصلة لها تحمل دلالات ومعاني مكثفة تساعد القارئ على الفهم والاستيعاب، وهي علاقة وطيدة الصلة بتحقيق النصية، أي(إيراد معنى على سبيل الإجمال ثم تفصيله أو تفسيره أو تخصيصه)[٤٨٤]،ويمكن أنْ نتتبع هذه العلاقة الدلالية بدءاً من عنوان النص الذي كثيراً مايرد بصيغة الخصوص في حين يكون بقية النص تخصيصاً له، لاحتوائه على عناصر مركزية تكون بمنزلة نواة تنمو وتتناسل عبر النص وفيه حتى يكتمل بناؤه[٤٨٥]، وكذلك قد تنشأ هذه العلاقة بين المقاطع النصية، فترد بعض التعابير بصيغة العموم تتكفّل بتخصيصها مقاطع معينة من النص، لكي تمنحه هذه العلاقة طبيعة دينامية تجعله في تفاعل واستمرار دلالي مع بعضه البعض[٤٨٦]، ويخضع النص المقامي إلى هذه العلاقة، سواء على مستوى المقامة الواحدة أو على مستوى أكثر من مقامة، إذ تمثل المقامات فيما بينها نسيجاً نصياً عالياً، ينبئ عن عبقرية ناظمها وقدرته الأدبية الفريدة[٤٨٧]، وقد وردت هذهِ العلاقة في مقامات السيوطي، نذكر بعض النماذج منها:

١-قال الريان:((مررتُ يوماً على حديقةٍ، خضرةٍ نَضِرةٍ أنيقةٍ، طُلُولُها وَدِيقَةٌ، وأغصانُها وَرِيقةٌ، وكوكبُها أبْدى بريقَهُ، ذاتَ ألوانٍ وأفنانٍ، وأكمامٍ وأكنانٍ، وإذا بها أزرارُ الأزهارُ مجتمعةٌ، وأنوارُ الأنوارِ مُلْتَمِعةٌ))[٤٨٨] ،فأجمل لفظ (الحديقة) ثم فصل القول بشكلها ونوعها وصفاتها بعد ذلك، وقال بأنَّها خضرة وفيها بقل وعشب ، وكثيرة الأوراق، وأعشابها أنوارها مشعة كأنها كوكب ،وأغصانها مستقيمة من الشجرة،وكثيرة البراعم والنباتات المثمرة .

٢-الاتفاق على التحكيم((فلما أبدى كُلٌّ مالديهِ، وقالَ ورُدَّعليه، اتفقَ رأيُّ الناظرين، وأهلُ الحلِ والعقدِ من الحاضرين على أن يجعلوا بينهم حكماً عادلاً، ويكون لقطعِ النزاعِ بينهُم فاصلاً، فقصدوا رجلاً: عالماً بالأصولِ والفُروعِ الموقوفِ منها والمرفوعِ،عارفاً بالأنسابِ، مميّزاً بين الأسماءِ والألقابِ، والأتباعِ والأصحابِ، مديدَ الباعِ، بسيطُ اليدينِ في معرفةِ الخِلافِ والأجماعِ،خبيراً بمباحثِ الجدلِ، بصيراً بستخراجِ مسالكِ العللِ،مُتَبَحراً

([٤٨٤])البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية: ١٤٦.

([٤٨٥])ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب:٢٧٢-٢٧٣.

([٤٨٦]) ينظر: نفسه: ٢٧٢-٢٧٤.

([٤٨٧])ينظر: علم اللغة النصي:١٦٢/٢.

([٤٨٨]) المقامات: ١٣.

في علومِ اللغةِ والإعرابِ، متضلعاً بعلومِ البلاغةِ والخطابِ محيطاً بفنونِ البديعِ،حافظاً للشواهدِ الشعريةِ التي هي أبهى من زهرِ الربيعِ، شديدَ الإصابةِ، إذا فَوّقَ لفنّي الشعرِ والكتابةِ))[٤٨٩].

يذكر السيوطي هنا الحكم الذي يجب الاتفاق على الإحتكام إليه في أمورهم ومناظراتهم التي بدءوا بها فاتفقوا على (رجل) فجاءت اللفظة مجملة ثم فصل في صفات هذا الرجل أو الحكم الذي يجب أن يكون حكم بينهم، ليس أي رجل، بل يجب أن يكون عالماً بأصول الدين وفروعه،و الأنساب والألقاب والأسماء، مُتَبَحِّراً في علوم اللغة والأدب والإعراب، وعالم بعلوم البلاغة وبفنون البديع، وبالشعر، ففي قوله هذا يؤكد وجوب الأحتكام إلى رجل عادل، تقي ملم بجميع الفنون والعلوم ، ولايجوز الاحتكام إلى رجل لايتحلى بهذه الصفات التي تم تفصيلها .

وفي الأغلب تكون الجملة الأولى في كلِّ فقرة هي التي تشكل البؤرة الأصلية المجملة، بمعنى أنّ كل فقرة تحتوي جملة نحويّة واحدة هي بؤرة تشكّل نسبة تامة مستقلة بقابليتها للفهم على نحو الإجمال في حين تأتي الجمل الأخرى لتشكل نسباً ناقصة متعلقة بالجملة البؤرة بينهما علاقة معينة تابعة لها، تستقل بقابليتها للفهم [٤٩٠]، ومن الأمثلة على ماتقدم :

يتحدث عن المولى سبحانه وتعالى وعن كرمه الذي كرم بها أنواع الطيب فيقول: ((**الحمدُللهِ الذي كرَّمَ أنواعَ الطِّيبِ، ونَشَرَ العبيرَ من محاسنِها على لسانِ كُلِّ خطيبٍ، وأشاعَ مَنْ نشرَها ما هو أضوَعُ من المندلِ الرطيبِ، ورفعَها على الأسرةِ والأرائكِ، وحبَّبَها إلى الأنبياءِ والمرسلينَ والملائكةِ وقرَّنَها بالسننِ المطلوبةِ في الجمعةِ والعيدينِ وحَسنَ أولئك))**[٤٩١].

ذكر الله سبحانه وتعالى في بداية الكلام ثم عرج بعد ذلك للحديث عن الكرامات التي أكرم بها أنواع الطيب، ويمكن التمثيل لهذه العلاقة التفصيلية على هذا النحو:

كرَّم أنواع الطيب

ونشر العبير من محاسنها على لسان كل خطيب

([٤٨٩]) لمقامات : ٤٥.

([٤٩٠]) ينظر: نحو النصّ نقد نظريّة وبناء أخرى:١١٥.

([٤٩١]) المقامات: ٥٦-٥٧.

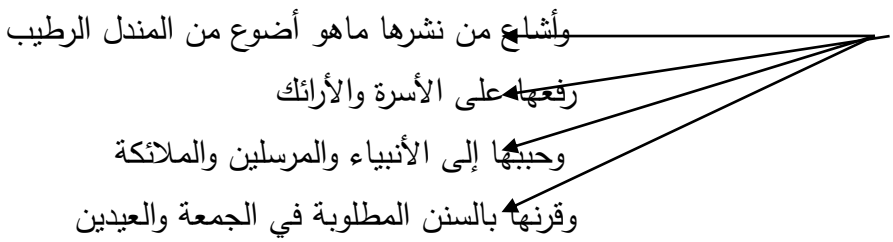

ويتبين بأن التركيب اللفظي(الحمد لله) بمنزلة الجذر الكلامي الذي انبثقت منه التفرعات الكلامية بما ينشئ تشجيراً نصياً يقود إلى تشجير دلالي واستدلالي في ذات الوقت، وتوالي الجمل في النص السابق كان لها الأثر الواضح وهي دليلٌ على الثراء النصي وانسجامهِ، ويذكر في النص السابق بأن الله سبحانه وتعالى هو خالق هذا الكون وهو الذي أكرم مخلوقاته دون سواه، ويمكن الاستدلال على ذلك بذكر مثال يعزز ما ذُكر في المقامة الياقوتية قوله: **((قالَ المرجانُ: الحمدُ للهِ الذي جعلنيِّ بالحُلّةِ الحمراءَ، ورفعَ لي في كتابهِ العزيزِ ذِكراً، وكرَرَ فيهِ التصريحَ باسميِّ كرتينِ، وذكرني في سورةِ الرحمنِ مرتينِ، وشبهَ بي الحورِ، وجعلَ معدني في البحورِ، ومسكنيِّ في قلائدِ النحورِ ...))**[٤٩٢]،يلحظ في هذا النص فضل الله سبحانه وتعالى على المرجان وما هي الصفات والخصال التي أودعها المولى القدير فيه لذلك استهل الكلام بلفظ (الحمد لله) ثم فصل سبب هذا الحمد كما يمكن تمثيل ذلك على النحو الآتي:

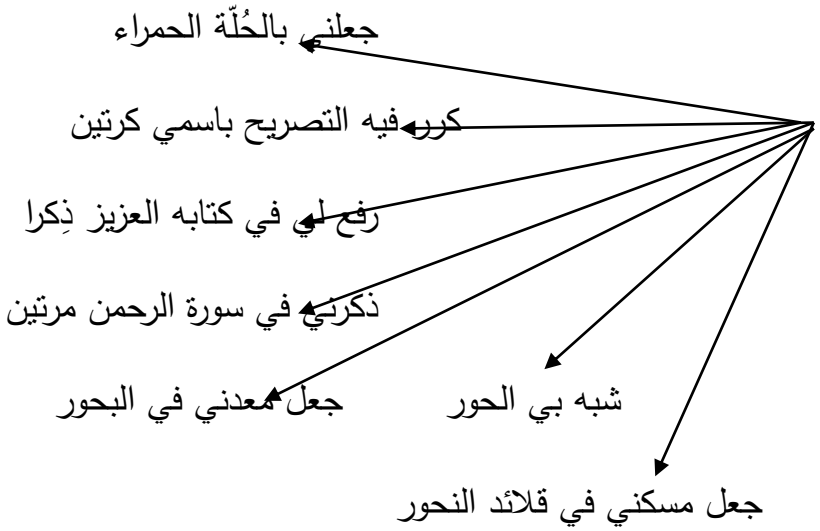

٢- علاقة الإضافة:

(٤٩٢) المقامات:١٤٢.

وهي علاقة يقصد بها تصعيد المعنى للوصول به إلى غايته، والأمر هو الذي يقترب من المبالغة، فعلى سبيل المثال عند مدح إنسان معين بصفة، فإنّها تُتبع بصفة أخرى، ومن أهم الروابط التي تعمل في هذه العلاقة هي (الواو)[٤٩٣]، ويُعبّر عن علاقة الإضافة بأدوات العطف، مثل:(الواو : عاطف إضافيّ، لكن: عاطف مقابل، أو : عاطف فاصل)، أو ما يشبه هذه الأدوات أو يعادلها[٤٩٤].

وهذه العلاقة تبيّنت في المقامات من حروف العطف، وعلى رأسها حرف الواو، فلا تكاد تخلو مقامة منه، وقد اقتصر على الربط الشكليّ بين جملة وأخرى بين عبارتين، واستعملت الواو في المقامات لتصعيد معنى مُعين تهدف إليه كُلّ مقامة، وأن حذف حرف الواو يصبح النصّ جملاً غير مترابطة على مستوى الظاهر، وعلى سبيل المثال :

١-((وكانَ الطاعونُ نحوَ خمسَ عشرة سنة لم يطرقْ هذينِ المصرينِ ، ولا أناخْ ركابُهَ بهذينِ القطرينِ، ثم جاءَ الخبرُ بوصولِهِ إلى بلادِ الحَلّبِيّةَ بعد شهرينِ، فأرجفَ الناسُ بدخولِهِ مصرَ، وتحملوا من الخوفِ هجومِهِ عليهِم الإصرِ، فنتقلَ في بعضِ البلادِ الشاميةَ دونَ بعضٍ، ولم يسرْ على سَنَنِه المعتادِ بل أبدلهُ بنقصٍ، ففاتَ عن دخولِهِ مصرَ إبّانَهُ، ومضى وقتَ طروقِهِ وأوانِهَ، ثُمَّ وردَ الخبرُ بأنَّهُ قفزَ إلى قَطيا قفزه، ولم يدخلْ القدسَ ولا الرملةَ ولا غزة، فهزَه[*] أهلها هزة، وبرزَ لهما برزَة، وأدخلَهُم تحتَّ الرزةِ ، ثُمَّ مشى حتى دخلَ الخانكاه ، فزلزلَ أهلَها ، واجتثَ أصلَها، وأخذَها فئةٌ بعد فئةٍ، وبلغَ عدّدُ الموتى ثلثمائةٍ، وهو في خلالِ ذلك يتخطفُ في القاهرةِ قليلاً، ويطرقُهم طرقاً جميلاً، بحيثُّ أنّه بين ظاهرٍ وخافٍ، والناسُ بين مثبتٍ له ونافٍ))[٤٩٥] .

وردت في النصّ السابق أكثر من أداة للإضافة (الواو ،و بَلْ،وثُمّ، والفاء) ، فقد جاءت الواو في النص فعطفت جملة على جملة أو اسم على إسم ، وربطت النص شكلياً، وكانت جملة غير مفككة لوجود الواو ، وأسهمت إسهاماً واضحاً في تصعيد المعنى الذي أراده السيوطي، فهو تكلّم عن الطاعون الذي ضرب الديار المصرية والشامية الذي لا يعرف صغيراً ولا كبيراً، فأفادت (الواو)ترتيب الجمل[٤٩٦].

وذُكِرَت (الفاء) خمس مرات منها ما جاء في قوله(**فأرجف الناس بدخوله مصر**) فالدمار و الرجف والخوف الذي يلحق الإنسان من الإصابة بالطاعون أوّلاً وبعدها سيحدث الموت بسبب الطاعون، فقد دلت (الفاء) على

---

(٤٩٣) ينظر: نظريّة علم النصّ رؤية منهجيّة في بناء النصّ النثريّ: ١٣٨.

(٤٩٤) ينظر: علم لغة النصّ النظريّة والتّطبيق: ١٨٨.

(٤٩٥) المقامات:١٩٥-١٩٦.

(*) فهزه: الصواب: فهزَّ

(٤٩٦)ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ٢٢٦/٣.

تأخر المعطوف عن المعطوف عليه متصلاً به [٤٩٧]، ووردت(بل) مرة واحدة في النصّ أفادت الإضراب[٤٩٨]، أثبت أن الطاعون لم يأتِ على عادته وطريقته، بل خالف طريقته فبدلها ونقضها.

٣-علاقة السبب والنتيجة:

تقوم هذه العلاقة على الربط بين قضيتين، تكون إحداهما سبباً في الأخرى، فهي ربط منطقي يترتب فيه السبب عن المسبب[٤٩٩]، وهي علاقة تتواجد في اللغة بكثرة ؛لأن اللغة تقوم على التواصل بين الأفراد " والفرد العاقل لا يفعل فعلاً إلا لغرض أو علة "[٥٠٠]، ويقضي السياق في بعض الأحيان أن يلجأ المرسل إلى هذه العلاقات لتكون معيناً له على بيان سبب الحدث ، وتسهم هذه العلاقة في التحام أجزاء الجملة الواحدة أو المجموعة من الجمل ، والأدوات التي تتم بها هي:(الفاء السببية، واللام، ولأنه ،وحتى) ومن الأمثلة على هذه العلاقة في المقامات كما يأتي :

١-((**أن عساكرَ الرياحينِ قد حضرتَ، و أزاهرَ البساتينِ قد نظرتْ لما به نضرتَ، واتفقَتْ على عقدِ مجلسٍ حافلٍ، لاختيارِ مَنْ هو بالمُلْكِ أحقّ وكافلُ**))[٥٠١]، فالربط بين جملة (اتفقت على عقد مجلس) و (لاختيار من هو...) يتمثل في النتيجة التي حدثت بسبب دعوة عساكر الرياحين إلى عقد المجلس، والذي نتج عن هذا الاتفاق هو اختيار من هو بالمُلك أحق من بين الرياحين .

٢-((**وأما أنت أيُّها (الزيادُ)وأن اشتهرَتَ في كُلِّ نادٍ، بين كُلِّ حاضرٍ وبادٍ، فلستُ تُعَدُّ مع هؤلاءِ من الأقرانِ؛لأنَّهُ لم يردْ ذكرُكَ في آيةٍ من القرآنِ، ولا في حديثٍ عن سيدِ ولدِ عدنانَ**))[٥٠٢] .

في النص أنف الذكر يتبين أن النتيجة تقدمت على السبب؛ لأن النتيجة التي أدت إلى عدم عَدّ(الزياد) من أنواع الطيب؛ لأنه لم يُذكر في القرآن الكريم، ولم يُذكر في الأحاديث التي نُقلت عن الرسول (صلى الله عليه وآله) ، الذي يتضح أن الدلالة السببية جاءت متأخرة عن النتيجة، وهذا يدل على أنّ المرسل اعتمد هذا النوع من العلاقات في حديثه ليحدث نوعاً من الربط لا يعتمد الأدوات الشكلية في النص.

٤-علاقة الاستثناء :

([٤٩٧]) ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ٢٢٧/٣.

([٤٩٨]) ينظر: نفسه:٣/ ٢٣١.

([٤٩٩]) بنظر:علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق(دراسة تطبيقية على السور المكية)، : ١٤٩/٢.

([٥٠٠]) شرح المفصل في علوم العربية: ٥٣/٢.

([٥٠١]) المقامات:١٣.

([٥٠٢]) نفسه : ٧٢.

وهي العلاقة التي تربط النص دلاليّاً، ويعبر عنها بالأدوات الآتية:(إلاّ ، وسوى ،و خلا) وكانت (إلاّ) أكثر الأدوات حضوراً، وتوجد هذه العلاقة في أكثر المقامات و الاستثناء جاء فيها خدمة لموضوعاتها، وعلى سبيل المثال:

١-((**شموا النرجسَ؛ فإنَّ في القلبِ حبةً من الجنونِ والجذامِ والبرصِ لا يقطعَها إلاّ شمُّ النرجسِ**))[٥٠٣] فهو بهذا الاستثناء أعطى لورد النرجس مزية واستثناءً من بين أنواع الرياحين؛ لأنَّ شمها من دون غيرها يقطع الجذام والبرص.

٢-**والبنفسج يتولى الرد على النسرين**((... **ولا تصلحُ إلاّ للمشايخِ المبلغمينَ**))[٥٠٤]،في هذا الاستثناء يبين صلاحية النسرين بأنه لا يصلح لجميع الناس باستثناء المشايخ ولكن أي مشايخ ليس جميعهم إنما أضافَ صفة لهم وهي المبلغمين لكي يكون هناك استثناء بين المشايخ.

٣-**وفي المقامة الياقوتية يقول الياقوت**((**فما ذُكرَت في معرضِ الترغيبِ والتنبيهِ إلاّ كانَ ليّ بذلكَ فخارِ ورفعةٍ وتنويهٍ**))[٥٠٥] .

٤-**وقوله في المقامة الدرية في الطاعون والوباء**((**ولأوامرِ اللهِ ورسولهِ متبعونَ، كُلُّ شيءٍ هالكٌ إلا وجههُ لهُ الحكمُ وإليه ترجعون**))[٥٠٦]، الاستثناء هنا جاء ليدل على ديمومة البقاء لله سبحانه وتعالى، وكل شيء هالك زائل.

٥-علاقة الشرط بالجواب:

تربط هذه العلاقة بين القضايا في نصوص المقامات بواسطة أدوات الربط النحوية(إذا،، أن ،لو، لولا، من)، وهي إحدى العلاقات المنطقية التي تحكم النص وتؤدي إلى انسجامه، إذ تفيد هذه العلاقة الدلالية في بناء موضوع المقامات من خلال ربط عناصر الجملة الواحدة أو سلسلة من الجمل مما يسهم في تماسك النص من ناحية وتحقيق مقاصد صاحبه من ناحية أخرى[٥٠٧]،فتعاضد هذه العلاقة ما في النص من علاقات لفظية أو منطقية تؤدي إلى ظهور نصٍ متماسكٍ ذي بناء رصين، قادر على التأثر والبقاء، وقابل للتأويل والمشاركة.

ومن أمثلة هذه العلاقة قول السيوطي في ذكر منافع الورد:(**وأنا أنبتُ للحمِ في القُروح العميقةِ، فأقطعُ الثآليلَ كلَّها إذا استعملت أزراري سحيقةً، فأنفعُ من القُلاع والقروح، و إذا شُربَ مائي بالسُّكر الطَّبرزَدِ ،فأقطع العطش من المادةِ، ونفع أصحابَ الحُمّى الحادةِ، و إذا ضُمدتِ العينُ بورقي الطري فنفعَ من انصبابِ الموادِ...، ومسحُوقُه إذا ذُرَ في فراشِ المحصُوب، فنفعَهُ من الغُفونِ، ومن تجرّعَ من مائي يسيراً نفعَهُ من**

([٥٠٣]) المقامات :٢٣.

([٥٠٤]) نفسه : ٣١.

([٥٠٥]) نفسه : ١٣٣.

([٥٠٦]) نفسه : ٢١٥.

([٥٠٧]) ينظر :لسانيات النص النظرية التطبيق مقامات الهمذاني أنموذجاً، ليندة قياس:١٥٢.

الغشي والخفقان...، وأنا مع ذلك جَلدٌ صبّارٌ، فأجري مع الأقدارِ، إذا صُلِيتُ بالنار، وهذا تقليدٌ من الخِلافةِ بالمُلكِ على سَائرِ الريحانِ، فلي من بينهم ابنٌ يخلفني في الحكم ،إذا غبتُ طُولَ الزمان))[٥٠٨]، يتكون هذا النص من ستة تراكيب شرطية اشتركت جميعها بأداة الشرط(إذا) وقد دلت على الصفات والمنافع العلاجية التي يتصف بها الورد وحكمت هذه الأداة على المعنى المطلوب من النص، فهو أحقية الورد بالملك، وعند غيابه تحولت الأمور والملك إلى من يخلفه وهو للإبن الذي صرح به في النص، ويمكن تمثيل كيفية تنظيم هذه العلاقة بالمخطط الآتي:

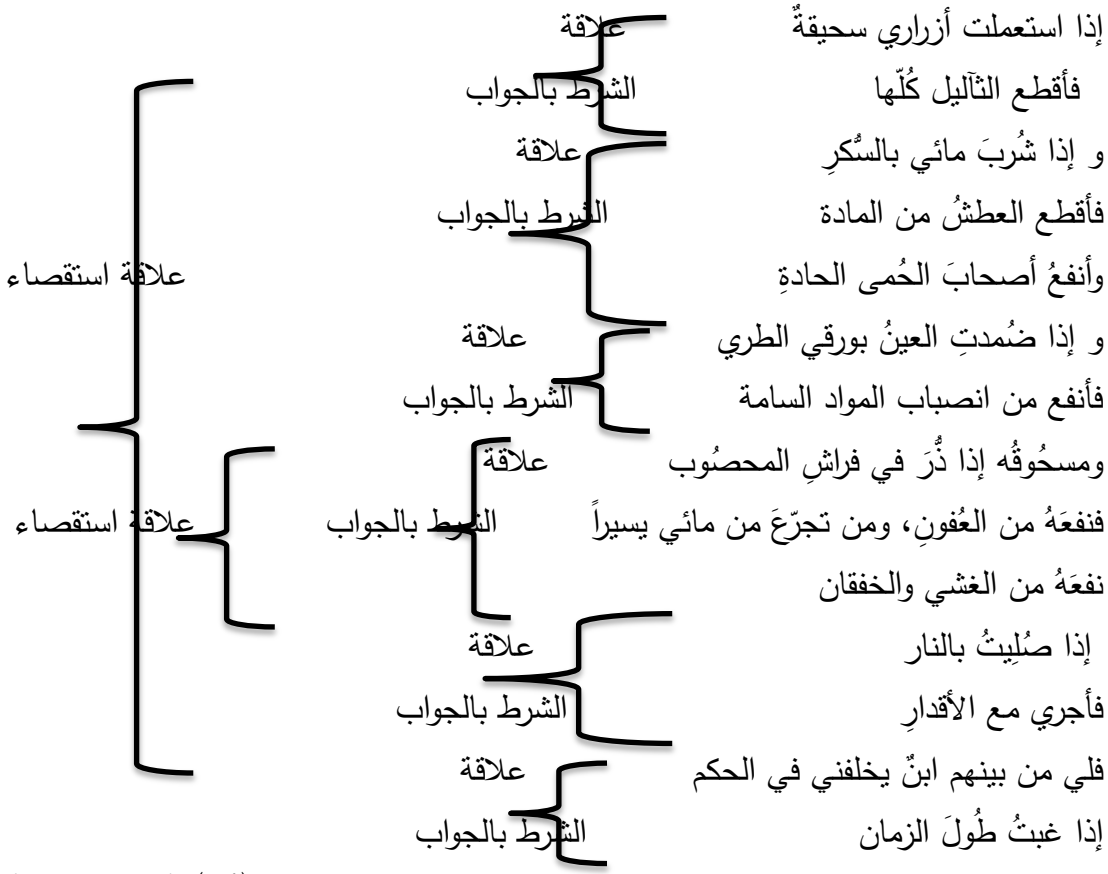

والاستقصاء(الإضافة): ((تصعيد المعنى والوصول به إلى غاية))[٥٠٩]، أما مبالغة وأما احتراسًا من التقصير[٥١٠].

إذ نلحظ في هذا المخطط تعاضد علاقة الشرط بالجواب مع علاقة الاستقصاء، ممّا يضفي على النص سمة الاتساق والانسحام النصيّ، ولقد كانت هذه العلاقة لها أثر في معنى النص، وإن أدوات الشرط جاءت متناسبة مع سياقاتها، فـ (إذا) استعملها السيوطي بكثرة في المقامات، وذلك؛ لبيان الصفات والمنافع التي يتصف بها كل واحد من المتناظرين.

([٥٠٨]) المقامات:١٧-١٨-١٩.

([٥٠٩]) نظرية علم النص، رؤية منهجية في بناء النص النثري:١٣٨.

([٥١٠]) ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده:٦٣/٢.

٦- علاقة إعادة الصياغة:

من العلاقات الدلالية الأساسية علاقة إعادة الصياغة ونعني بها((استعادة معطى باستعمال تعبير لغوي مختلف عن التعبير المستعمل))[٥١١]،وتقع غالباً في العبارات القصيرة والمتتابعة، لأن استعمال هذه الوسيلة في المقطوعات الطويلة، قد تكون ضارة؛ لأنها ((تحبط الإعلامية ما لم يكن هناك تحفيز قوي))[٥١٢]، ويقرّ علماء النص أن إعادة الصياغة وسيلة تمنح((منتج النص القدرة على خلق صور لغوية جديدة؛ لأن أحد العنصرين المكررين قد يسهل فهم الآخر))[٥١٣]،وتتخذ علاقة إعادة الصياغة أشكالاً متعددة لكن((العلاقة التي تجمع بين هذه الأشكال المتعددة هي علاقة التكافؤ التي تظهر على سطح النص، وتسهم في تشييد المعنى، وتقنع المتلقي))[٥١٤].

فمن أشكال علاقة إعادة الصياغة في المقامات (الترادف التركيبيّ): وهو نوع من أنواع الترادف، ولا نقصد به ((الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد))[٥١٥]، وإنما هو الترادف التركيبيّ الذي يقع في سياق الجمل ، ويقصد به ((تكرار المحتوى ، مع نقله بتعبيرات مختلفة))[٥١٦]، فتكرار العبارة يضفي على النص سمة خاصة تزيد من انسجامه واتساقه، ويعتمد ذلك سعة المعجم اللغويّ للمتكلم ولاسيما المترادفات، إذ يقوم المتكلم بتقليب العبارات بوساطة المترادفات[٥١٧].

ومن نماذج الترادف التركيبيّ في نصوص المقامات المدروسة كما جاء في المقامة المسكية، إذ يقول السيوطيّ: ((**مرحباً بالكرامِ الزُّوَّرِ، أعيذُكُم باللهِ من الجورِ، ومن الحورِ بعدَ الكَورِ وأقامكُم في حسنِ طورٍ، وقطعَ عَنكُم التسلسُلَ والدور ، مثلُكُم من إذا سألَ يُجابُ، و إذا دعا يُستجابُ ثناؤكم المُستطابُ، ونشركم يَملأَ الوطَابَ ويكم تتجملُ الخُطَابُ، وسآتيكُم بالحكمة وفصل الخِطابِ**))[٥١٨]، تمثلت إعادة الصياغة عن طريق الترادف التركيبي في قوله:((**مثلكم من إذا سألَ يجاب، و إذا دعا يُستجابُ**))وهذه صورة من صور الترادف تمهد الطريق أمام القضية الأساس في النص بأن تتواجد في النص مسافة أكبر في النص((مما يخلق تواجداً دلالياً أكثر فاعلية لها، كما أنه يعطيها الفرصة للدخول في أكثر من علاقة دلالية مع عدة قضايا في أجزاء النص المختلفة، فتزداد ظهوراً ووضوحاً في عقل القارئ، ويتضح دورها عنده في وضع حدود القضية

([٥١١]) معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو–دومنيك مانغونو:٧٢،وينظر:المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومنيك مانغونو:١٠٧.

([٥١٢]) النص والخطاب والإجراء:٣٠٦.

([٥١٣]) نفسه:٣٠٦.

([٥١٤])أثر التكرار في التماسك النصي، مقاربة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات الدكتور خالد المنيف: ٦٤.

([٥١٥]) علم الدلالة:٢١٥.

([٥١٦]) مدخل إلى علم النص، الهام أبو غزالة وعلي خليل الحمد:٧٢،وينظر: نظرية علم النص:١٤١.

([٥١٧]) ينظر: أثر التكرار في التماسك النصي مقاربة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات الدكتور خالد المنيف:٦٤.

([٥١٨])المقامات:٥٦.

الكبرى))[٥١٩]؛إذ إنَّ السيوطي ركز في مدح الذوات المتناظرة قبل بدء المناظرة، فوصف السيوطي أمراء الطيب بصفات يستحقوها: وهي بأنهم كرام ويعوذ بالله من النقصان بعد الزيادة.

وهناك نوع آخر من إعادة الصياغة، وهي علاقة تجمع ما بين الشعر والنثر، ولها أثر مهم في ربط هذين المستويين، ويستعملها الكاتب؛ لأنّها تُعدّ وسيلة يستعان بها لإذابة الحدود الفاصلة بين الشعر والنثر، ومحاولة إثراء النص بالعلاقات اللغوية التي تؤدي إلى انسجام النص[٥٢٠].

وهذا نجدهُ في جميع المقامات، وعلى سبيل المثال في مقامة روضة مصر يصف الحياة فيها ، إذ يقول السيوطي مصوراً هذه الحياة: ((**وكَمْ سَكنَ بها من خلفاءٍ وملوكٍ وأمراءَ، وكُتّابٍ ورؤساءٍ ووزراءٍ، وقرّاءٍ وأولياءٍ، وفقراءٍ وأغنياءٍ، وأذكياءٍ وأغبياءٍ، وذوي هَناتٍ وأتقياءَ، تلاوةُ قُرآنٍ وتدريسُ أفنانٍ، وشعائرُ وآذانٌ، ونغماتٌ والحانٌ، وقضاءُ أوطارٍ، وضرباتُ أوتارٍ**))[٥٢١] ،وكأنَّ لسانَ الحالِ يقضي شعراً عنها إذ قال:

بها ما شئتَ منْ دينٍ ودُنْيا — وإخوانٍ تأسَّوْا في المعاني
فمشغوفٌ بآيات المثـــاني — وَمَفْتُونٌ بِرَنّاتِ المــثانِي
ومضــطلعٌ بتخليص المعاني — ومُطَلَّعٌ إلى تخليصِ عَاني
وكمْ من قارئ فيها وَقارٍ — أضرَّا بالجُفُونِ وبالجِفَان
وكم من مَعْلَمٍ للعلمِ فيها — ونادٍ للنّدى حُلوِ المَجاني
فصِلْ إن شئتَ فيها من يُصلّي — وإما شئتَ فادْنَ من الدَّنانِ
ودُنَكَ صُحبةَ الأكياسِ فيها — أو الكاساتِ مُنطلقَ العِنانِ[٥٢٢]

٧- علاقة التمثيل:

تقوم علاقة التمثيل بالربط بين القضايا في النص، وتتضافر هذه العلاقة ((مع العلاقات الدلالية الأخرى في بناء الوصف داخل النص))[٥٢٣]، وتعبر عنها الروابط اللفظية (الكاف، ومثل، وكأن، وشبه...)، ونرى أثر هذه العلاقات التي استعملها السيوطي؛ ليجعل صورة الوصف في المقامات قريبة من ذهن المتلقي، وليستوعبها ويستقبلها بسهولة، واستعمل هذه العلاقة لإعطاء النص جمالاً وانسجاماً وتماسكاً كما في المقامة الوردية عندما نفى الحكم عن نفسه التمثيل والتشبيه بغيره من الحكام، إذ يقول السيوطي((**فقال : أيّها الأزهار إني لستُ كالذي**

([٥١٩]) نظرية علم النص:١٤١.
([٥٢٠]) ينظر: علم لغة النصّ النظرية والتطبيق :٢١١.
([٥٢١]) المقامات:١٨٩.
([٥٢٢]) نفسه :١٨٩-١٩٠.
([٥٢٣]) علم لغة النص النظرية والتطبيق:٢١٤.

تَحاكم إلية العنبُ والرطبُ، ولا كالذي تقاضى إلية المشمشُ والتوتُ ولا التينُ والعنبُ، إني لا أقبلُ الرُّشا، ولا أطوى على الغِلّ الحشا، ولا أميلُ مع صَاحبِ رشوة، ولا أستحلُّ من مالِ المسلمينَ حسوةً))[٥٢٤].

وفي المقامة الياقوتية يقول السيوطي ((**اللّؤلؤ: الحمدُ للهِ الذي ألبسني خِلعةَ البياض، وجعلني بين اليواقيتِ كالنّورِ في الرّياضِ، ومنَّ عليَّ بالتبجيلِ، وحَباني بالتنويه والتنزيلِ...، وشبه بي الحورَ والولدان))**[٥٢٥].

وفي مقامة روضة مصر تشبيهات كثيرة منها قول السيوطي: ((**كأنها بدرٌ والنيلُ حولَها هآلةٌ، أو شمسٌ في وسطِ سماءٍ ليس عليها سَحابٌ أو غلالّةٌ، أو وجهُ دارٍ عليه طَيلَسانٌ(*)، أو سَريرٌ نُصِبَ في مَيدانٍ، أو قلبُ جيشٍ له مِصرُ والجيزةُ جنَاحانِ، تبرّجتْ بأنواعِ الأزهارِ البهجةِ لا بالشّيحِ والقيصومِ، وناداها لِسانُ الرّبيع، يا روضة سّنسّمكِ بالخُضرةِ على الخُرطومِ، ونغِّيرُ الأسلوبَ ونقولُ: نثرتِ السماءُ على أغصانِها النجومَ وارتُشِفَ من خُرطُومِها زُلالُ الرِّيقِ والرّحيق فلم تحتجُ في كلا الحَالينِ إلى خُرطوم))**[٥٢٦]، في هذا النص شبه السيوطي روضة مصر بأنها كالبدر والنيل يدور حولها، أو يصورها ويشبهها تشبيهاً جميلاً كأنّها الشَّمس في السّماءِ التي لا يحجب ضوءها وجمالها وبياضها السحابُ، يصورها بهذه الصورة الجميلة، ثم يصورها بصورة الدار التي يغطيها الكساء الأخضر لوجود المزارع والأرض الخضراء التي تدور عليها، ثم يشبهها بقلب الجيش الذي يكون جناحاهُ مصر والجيزة اللذان تكثر فيهما الأزهار، ليس النبات القصيرة مثل الشيح والقيصوم.

٨- علاقة التضاد (المقابلة):

من العلاقات الدلالية الأساسية وهي ناتجة من تتابع قضيتين متضادتين[٥٢٧]،هذه العلاقة هي التي تبيح الانسجام[٥٢٨]، فتسهم في تعضيد المعنى وإثرائه، وإكسابه فعالية عميقة تدفع المتلقي إلى تتبع مسارات هذا التقابل للوقوف عند حدوده ومقاصده، ما يجعل النصّ بهذا التقابل رابطاً وثيقاً بين المرسل والمتلقي[٥٢٩].

وتعد علاقة المقابلة إحدى العلاقات النصية التي يتم بها تشكيل قضايا كُبرى في مستويات النصّ المتتابعة، فقد تجمع تلك العلاقة بين قضيتين صغيرتين لتكون قضية كبرى[٥٣٠]، والتقابل قد يجري في التركيب الواحد داخل النصّ، وقد يكون داخل تركيبين[٥٣١]، ومن نماذج هذه العلاقة في المقامات قوله في مقامة الروضة:

([٥٢٤]) المقامات:٤٦.

([٥٢٥]) نفسه:١٤٢.

(*) الطيلسان: كساء مدوّر أخضر، فارسي معرّب،(ينظر: الألفاظ الفارسية المعربة)، لأذى شير:١١٣.

(٥٢٦) المقامات:١٨٧-١٨٨.

([٥٢٧]) ينظر: نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري:١٤٢.

([٥٢٨]) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق(دراسة تطبيقية على السور المكية):١٤٧/٢.

([٥٢٩]) ينظر: استراتيجية التضاد وعلاقتها بالنزعة الصوفية (بحث):٢٧٣.

([٥٣٠])ينظر : نظرية علم النّص رؤية منهجيّة في بناء النّص النثريّ : ١٤٢ .

([٥٣١])ينظر : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (دراسة تطبيقيّة على السّور المكيّة) : ١٤٨/٢ .

((نطقَ الكِتابُ والسّنةُ بأن أرضَ مصرَ أحسَنُ البِقاعِ، وتضافرتْ على ذلكَ أثارُ الصّحابةِ والأتباعِ، وانعقدَ عليه الإجماعُ، وشَهِدَ الحسُّ بأن الرّوضةَ منها كمركزِ الدائرة فهي لها كالقُطبِ والأساسِ، وقام النظرُ على أنّها أنزه بُقعةٍ فيها فأنتجَ، أنها أحسنُ بِقاعِ الأرضِ بما صحَّ فيها من القياسِ...، كانتْ دارَ مُلكٍ وخِلافةٍ، وسَرير سَلطنةٍ ورُتبةَ إنافةٍ، ومسكَنَ علماءَ أعلامٍ، ومجلسَ قُضاةٍ وحُكامٍ، ومقر صُلحاء وعبّادٍ، ومفر صوفية وزهادٍ، وَكَمْ سَكنَ بها من خلفاء وملوكٍ وأمراءَ، وكُتّابٍ ورؤساءَ ووزراءَ، وقراءَ وأولياء، وفقراءَ وأغنياءَ، وأذكياءَ وأغبياءَ، وذوي هناتٍ وأتقياء...، وهي خفضةٌ في ربوة، وجمعيةٌ في خلوةٍ، ترى المارينَ في البرِ والبحرِ وأنتَ عنهم في بُعُد، وتشاهدُ وأنت مُعتزلٌ منْ كان في انحدارٍ أو صُعُد، وأنت متحصنٌ من الثُّقلاءِ بقلعةٍ حَولَها من الماءِ خَنادِقُ، ومن تمامِ حُسنِها تعدّدُ أبوابِ بيوتِها ففيها مَخلصٌ عند مجيءِ الطارق...))[٥٣٢].

ويمكن تحديد أجزاء الثنائيات المتضادة كما جاءت في النص وهي (الكتاب/ السنة) و(الأرض/ البقاع) و(دار/ مسكن)و (سرير / مجلس)و (كتاّب/قراء)و(رؤساء/أولياء) و(فقراء/ أغنياء) و(ذوي هنات/أتقياء) و(خفضة /ربوة) و(جمعية/خلوة) و(البر/البحر) و(انحدار/ صعد) و(قلعة/ بيوت) وفي اجتماع هذه الألفاظ المتضادة في وصف المكان، تكتمل صورتها وتظهر الصورة المصرح بها في بداية النص(أحسن البقاع)، فاللجوء إلى سك هذه المتقابلات يسهم في إثراء المعنى، ويعزز قوة الربط داخل البناء النصي ، وبذلك يتحقق الانسجام، وتؤدي إلى إثبات الدلالة العامة للنص.

٩-علاقة البديل :

تعد علاقة البديل((من علاقات الانفصال في النص التي تفيد التخير بين معنيين))[٥٣٣]، وتحصل هذه العلاقة بوساطة حرف العطف الذي يفيد التخيير(أو)، و(أم)، ويرتبط استعمال علاقة البديل في المقامات بمقاطع الوصف ، ويتضمن ذلك وصف الأشياء والأماكن والشخصيات.

ومن ذلك ما جاء في المقامة الزمردية التي يذكر فيها خواص ومنافع القرع بقوله:**((عليكم بالقرعِ فإنّه يزيدُ في الدِّماغِ، ومرقةُ الفروجِ المطبوخِ فيه منعشةٌ من الغشياتِ، الناشئةِ من الأخلاطِ الصّفراويّةِ في الحُميّات ، وإذا ضُمد بشيء منه الأورامُ الحارةُ بَرّدها أو أطفاها، وسواءٌ في ذلكَ الدماغُ أو العينُ أو النِقْرِسُ وما سواها، وماؤهُ إذا شُربَ أو غُسل به الرأسُ سكن الصُّداعَ، وينومُ من يَبسَ دِماغُهُ مِن مرضِ المُوم تقطيراً في الأنفِ بلا نزاعٍ، وإذا الثطِخَ بعجينٍ وشوي واستخرج ماؤهُ، سكن حرارة الحمى الملتهبة وقطع العطش وحسن غذاؤه، وأن شُرب شرباً بخيارِ شَنْبَر وبنفسجٍ مُربى ،أحدرَ صفراءَ محضةً أو أزال كرباً، وأن كُحل بمائِهِ المذكورِ العينانِ ، أذهبَ منهما صُفرةَ اليرقانِ، وجُرادةُ القرعِ إذا لُطخ بها الرأسُ سكن الحارُّ من الصُّداعِ ،أو ضمدت**

([٥٣٢]) المقامات:١٨٢، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠.

([٥٣٣]) علم لغة النص النظرية والتطبيق:٢١٤.

بها العينُ من الرّمدِ الحارِ سَكن منها الأوجاعَ، أو الحمرةُ حصلَ لمادتها الأرداعُ، وماءُ قشرِ القرعِ إذا استعط به نفعَ من وجع الأسنان ،أو قطر من دهن وردٍ نفع الوجعَ الحارَّ في الأذن ...))[٥٣٤].

لقد استعمل السيوطي هنا علاقة البديل ليبين المنافع والخواص التي تتصل بالقرع في الطب والعلاج فيه، لضمان العلاج والشفاء من الإمراض بإذن الله سبحانه وتعالى، ويظهر لنا أن علاقة البديل مهمة جدا في هذا النص؛ لأنها استطاعت أن تقدم لنا البدائل الممكنة في النص مما أسهمت في الانسجام بين أجزاء النص ، ولها أهمية بالغة في إحداث الانسجام النصي، إذ جاءت على نطاق المستويات العليا في النص.

١٠- علاقة الانسجام الاستعاري:

وهي تلك الاستعارات التي تنشأ بينها علاقات دلالية في بنية نصية معينة، مشكِّلة بذلك خلفية واحدة، وأول من اهتم بالانسجام الاستعاري هو ميخائيل ريفاتير مصطلحاً عليه بالاستعارة المتعالقة "Metaphore Filee" معرفاً إياها بأنّها:((سلسلة من الاستعارات المتعالقة بواسطة التراكيب، أي تنتمي إلى الملة نفسها أو إلى البنية نفسها السردية أو الوصفية، بواسطة المعنى، حيث يعبر كل منها عن مظهر خاص من كل أو من شيء أو مفهوم تعرضه الاستعارة الأولى من السلسلة)[٥٣٥]، ووفق لهذا فإن بنية الاستعارة تتجاوز الوحدة اللغوية المفردة التي تقتصر على الكلمة بعدّها " بؤرة الاستعارة "وهو التصور السائد في البلاغة التقليدية، إلى اعتماد الخطاب كله، وإنّ الاستعارة التي يمكن أن تتجسد في خطاب تام مكتمل في المقامات على سبيل التمثيل لا الحصر، وردت على لسان شخصيات المقامتين: ((**النيلية في الرخاء والغلاء، و مقامة الطاعون والوباء**))[٥٣٦]، إذ إنّ الشخصيات استعارت مصطلحات فنون متخصصة، و إذا تأملنا هذه الاستعارات نجدها تقوم على فكرتين، هما: المصطلحات المستعملة و وصف الابتلاءات، بحيث يحدد السياق دلالة هذه المصطلحات، ليخرجها عن معناها القريب، إذ إنّ السياق((يمارس عمله على الكلمة البؤرة كي يثير دلالة جديدة غير قابلة للانحصار في المعنى الحرفيّ من جانب والشرح المستفيض من جانب آخر))[٥٣٧].

([٥٣٤]) المقامات :١٠٨، ١٠٩، ١١٠.

([٥٣٥]) لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب:٣٣١.

(٥٣٦) ينظر المقامات:١٦١-١٩٤.

([٥٣٧]) بلاغة الخطاب وعلم النص:١٥٥.

وبيان ذلك التزام شخصيات المقامتين في تلفّظها بترتيب سلمي، بحسب انتمائهما إلى هذه العلوم على النحو الآتي:

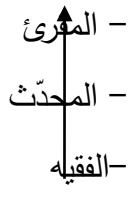

وهذا الترتيب التلفظي المعتمد في الاستدلالات الواردة داخل المقامتين يقابله الترتيب الحجاجي الذي استعمله السيوطي في المقامتين على النحو الآتي:

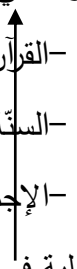

وهذا ما نجده في المقامة النيلية في قول السيوطيّ:((**وقال المقري: ما هذا التعسيرُ بعدَ التيسيرِ، وما لنا عُدنا نروي عن قُلٍّ بن قُلٍّ بعدّما كنا نروي عن ابنِ كثير، ما هذا إلاّ أمر مُهِم، وخطبٌ ملمٌّ**)، (**وقال المحدِّثُ: هذا خبر مُعْضَلٌ، عُوقِبَ به من ضَلّ، أَجَزِعتُم مما سبق إليكم؟ إنما هي أعمالُكم تُرَدُّ عليكم**)،(**وقال الفقيه قد شَرَّقَتْ كُلُّ نَجَوةٍ، وضاقت كُلُّ فجوة، وهذا زمانُ تأسيسِ مُدُّ قمحٍ لا قاعِدَة مُدِّ عجْوةٍ،...))**[٥٣٨]، وقوله في المقامة الدّريّة في الطاعون والوباء((**فقال المقرئ: هذا بابُ الإدغامِ الكَبيرِ في اللُّحودِ، والإخفاءِ لكلِ بَدرِ مُنيرِ في مَغربِ الأخدودِ، والإقلابِ لكلِ عَيدٍ آلقٍ إلى فلكِ الردى وبرٍّ ودَودِ،لئن تكررَ هذا المدُّ المتصلُ في الأكفانِ، ليتلُونّ كلُّ منفصلٍ**)،(**قال المحدَّثُ: قد جرى الدمعُ المُتراكِمُ، ونفذَ في العامِ الماضي ما حَكمَ به الحاكِمُ، وكم من صحيحٍ به أصبحَ للوسادِ مُسنداً، وعَزيزٍ أضحى في لحدِهِ غريباً مُفرداً ،وكم من ضعيفٍ أصبحَ على النعشِ موضوعاً، وعلى أعناقِ الرجالِ مرفوعاً...**)،(**قال الفقيه: قد تولى ذلكَ الطاعونُ المتدلي، ولعلَّ هذا الذي بدا فرعٌ من (تتمةِ االمُتولّي)، ألم ترَ ذاكَ قد بلغَ((النهاية))، وإنّ كانَ قد تأخرَ في ((البداية))...**))[٥٣٩].

وخلاصة لما تقدم ذكره يُلحظ أنه في أغلب النصوص يرد ترابط العلاقات الدلالية فيما بينا ؛إذ نادراً ما يشتمل النص على علاقة واحدة، فضلاً عن أنّ هذه العلاقات الدلالية عملت في إطار بنية عليا هي بنية تلك العلاقات بما يتلاءم و موضوع المقامات، ممّا حقق قوة تماسك النصوص وانسجامها، وتوصلنا كذلك إلى أنّ انسجام النصوص لا يتموضع في الأبنية النصية فقط، بل يمتد ليضم أيضاً أشكالها البلاغية.

ثانياً : موضوع الخطاب أو (البنية الكلية):

([٥٣٨]) المقامات:١٦٦ – ١٦٧.

([٥٣٩]) نفسه:٢٠١-٢٠٤.

البنية الدلالية التي تصب فيها مجموعة من المتتاليات بتضافر مستمر قد تطول أو تقصر حسب ما يتطلبه النص[٥٤٠]، ويسمى موضوع الخطاب فهذان المفهومان مترادفان عند " فان دايك" فهو يرى أن الخطاب((ترد المعلومات السيمانطيقية فيه فتنظمها، وترتبها تراكيب متوالية ككل شامل))[٥٤١]، أي عملية بحث هي البؤرة المركزية واستكشافها في الموضوع عن طريق إعادة تنظيم محتويات النص[٥٤٢]، وهذا المصطلح يرادف مصطلح البنية الكلية ، إذ أن البنية الكلية تقوم بدور أساسي في تنظيم الأخبار الدلالية في النص /الخطاب[٥٤٣]، وهناك من فرّق بين موضوع الخطاب والبنية الكلية، وذلك من العمليات التي تصل إلى كلٍّ منهما، فالبنية الكلية يتوصل إليها عن طريق عمليات أساسها الحذف والاختزال؛ إذ يتم فيها حذف الموضوعات الثانوية، ودمج أخرى في العموميات ... أما موضوع الخطاب فيستخلص من خلال مسح الجمل التي تخص هذا الموضوع في النص موضوع الدراسة[٥٤٤]، وموضوع الخطاب يختزل وينظم الإخبار الدلاليّ للمتتاليات ككُلّ، ويعدّه " فان دايك" أداة إجرائية حدسية بها تقارب البنية الكلية للخطاب[٥٤٥]، بعد قراءة النص هناك عناصر نتذكرها أكثر من غيرها هي تلك التي تمثل موضوع الخطاب[٥٤٦]، ومن البحث في البنيات اللغوية يمكن الوصول إلى البنية الكلية للخطاب، والأول هذه البنيات هي ردود فعل القارئ عن عدم قبوله لخطاب ما؛ لأنه يفتقر إلى البنية الكلية التي تجمع شتاته، ولذلك تُعدّ غير مقبولة في السياقات التواصلية[٥٤٧]، والبنية الثانية هي وجود جمل متعددة متنوعة تعبر بنحوٍ مباشر عن قضايا كُليّة، وهذه تسهل فهم القارئ والمستمع، والبنية اللغوية الثالثة هي الإحالة و التي يُعبر عنها بالضمائر المحيلة إلى الأشخاص، وأسماء الإشارة المحيلة إلى الأشخاص والأماكن، ولهذا فإن لكل خطاب بنية كلية ترتبط بها أجزاء الخطاب، ويصل القارئ إلى هذه البنية عبر عمليات متنوعة، تشترك كُلّها في سمة الاختزال[٥٤٨]، وعليه فإنّ موضوع الخطاب يؤدي وظيفتين أساسيتين هما[٥٤٩] :

١-يسهم بشكل فعال في تنظيم أفكار الخطاب، لأنه المرتكز الأساسي لدمجها.

---

(٥٤٠) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٨٠.

(٥٤١) النص والسياق:١٨٥.

(٥٤٢) ينظر: الترابط النصي :٢٢٥.

(٥٤٣) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب:٢٧٧.

(٥٤٤) ينظر: الترابط النصي :٢٢٥-٢٢٦.

(٥٤٥)ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب:٤٢.

(٥٤٦) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: ١٩١.

(٥٤٧) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب:٤٥.

(٥٤٨) ينظر : نفسه: ٤٥-٤٦.

(٥٤٩) ينظر : علم لغة النص النظرية والتطبيق:١٩١.

٢-يعدّ مؤشراً إلى معرفة العالم المتصلة بالموضوع بالنسبة إلى المتلقي .

وإذا ذهبنا إلى مقامات السيوطي نجد أنّها أنموذجاً فنيّاً، وتحفة من تحف الأدب العربي وإذا أنعمنا النظر في موضوعاتها، نجد أن مؤلفها قد نوع في موضوعاتها تنويعاً كبيراً ، وفضلاً عن ذلك فإن المقامات كانت ذات لونين مقامة المناظرة والمفاخرة ، ومقامة المقالة، فقد احتوت أدباً وتاريخاً، وطباً وحديثاً وفقهاً، وتفسيراً وسياسية، ونقداً ووصفاً، فهي مختلفة الموضوعات ، وهي تعرض على مائدة المقامات العربية التي سبقت السيوطي ألواناً جديدة من الموضوعات لم نعهد مثلها عند المقاميين الذين سبقوه، والأسباب التي أدت إلى التنوع في موضوعات مقامات السيوطي :

١-أنه كما ذكرنا سار في اغلب مقاماته على خطة المناظرة والمقالة مما أعطاه الحرية في تناول الموضوعات لمختلفة .

٢-إنّ المقامات ارتبطت بمناسبات أو ظواهر من اجلها، وهذه المناسبات متجددة غير محددة ، فالسيوطي لم يكن غائباً عن عصره ومجتمعه في مقاماته، فجاءت بعضها تشخيصاً للحياة الاجتماعية، وهذا ما نجده في المقامات الست الأُول، التي كانت على شكل مناظرات بين ألوان الورد المختلفة أو ألوان الفاكهة أو ألوان الخضروات والأحجار الكريمة، وسرعان ما يدرك أن ما تحدث عنه السيوطي في المقامات مجرد رموز أراد بها دلالات أوسع في الحياة الاجتماعية أو الواقعية ،وكان هدفه من وراء الموضوع كله كشف الزيف، وإعطاء كل ذي حق حقه، وتقويمه بميزان الذهب الحساس[٥٥٠] ، والنوع الآخر من المقامات جاء على شكل مقالة تشخيصاً وعلاجاً، لظواهر تفشت في ذلك العصر، فكانت المقامات الأخيرة على شكل مقالات نقدية دقيقة تناولت موضوعات توضح الأدران التي حلت بالمجتمع المصري، وفيها وصف دقيق للسلوك البشري ، وكانت موضوعات هذه المقامات أخلاقية ، وهذا يدل على أن السيوطي لا يتخلى عن غاياته الأخلاقية، فالناس إذا أصابتهم مصيبة جزعوا وفزعوا، ونسوا أنّهم كانوا على حالة طبيعية في يوم من الأيام، وإذا انفرجت الكربة عنهم نسوا أنّ الزمان قد يصيبهم من حيث لا يعلمون فهم أبناء اللحظة وفي خضم ذلك تسير الحياة[٥٥١].

٣-ثقافته الموسوعية، وباعه الطويل في كثير من الفنون، وسعة حفظه ،كل ذلك وفرّ مادة خصبة يستمد منها عند الحاجة.

٤-موقف السيوطي من السلاطين المماليك والخليفة العباسي وعلماء عصره[٥٥٢].

فالأسباب التي ذُكرت كما يبدو كانت دافعاً للسيوطي على التنويع في موضوعات مقاماته ، وحافزاً له على طرح موضوعات جديدة لم تدر في خلد من سبقه من المقاميين .

---

(٥٥٠) ينظر: فن المقامات بين المشرق والمغرب:٢٣٥-٢٣٦.

(٥٥١) ينظر: نفسه:٢٣٨-٢٤٠.

(٥٥٢) ينظر: :نفسه:٢٣٥.

ومما تقدم يتضح أن الفواصل بين المقامات ليست كبيرة في موضوعاتها ، فقد تناول موضوعات فضلاً عَمّا ذُكر موضوعات نحوية ولغوية وكذلك الألغاز، وقد كتب أنماطاً مختلفة من المقامات بعضها أخذ طابع المناظرات وبعضها أخذ طابع المقالة أو النقد أو القصة الصريحة ، وتلتقي سائر المقامات في غاية رئيسية هدفُها أخلاقيٌّ محض.

ثالثا- البنية العليا:

لكلِّ نص بنية عليا تميزه وتجعله ينتمي إلى نوع معين من النصوص على الرغم من أن هذه البنية العليا ترتبط بالجانب الشكلي من النص، وهي((لا تكشف في النص عن بنية كلية خاصة تالية حسب، بل إنها تحدد في الوقت نفسه النظام الكلي لأجزاء النص أيضاً... ومن ثم فإنَّها نوع من التخطيط(مخطط schema) الذي يتواءم النص معه))[٥٥٣]،إذ تعد((إحدى الروابط النصية على المستوى الأعلى بعدّها أداة تنظيمية تحدد النظام الكلي لأجزاء النص))[٥٥٤]، وكذلك هي((المخطط المجرد الذي يحدد النظام الكلي لنص ما، وتتكون من مجموعة من المقولات التي تركز إمكاناتها التأليفية في قواعد عرفية))[٥٥٥] ، أي إنّ هذه البنية شأنها شأن الأبنية النحوية- ترتكز على قواعد عرفية ولكن هناك سمة مشتركة أخرى بين البنيتين(العليا والكبرى) في أنهما لا تتحدان بالنظر إلى جمل مستقلة أو تتابعات تجزيئية في الجمل، بل بالنسبة للنص بوصفه كلاً[٥٥٦].

وعليه هناك أساسان للبنية العليا ،الأول : هيكلي يستند إلى قواعد عرفية، والآخر : تداولي مرتبط بغرض الكاتب ومقصده[٥٥٧]، وكلاهما مترابطان إذ يشترط عند تكوين النص أن يعلم المنتج ماذا يريد بوساطة النص المخطط له؛ لذلك فهو ينشط القالب المناسب لهذا المطلب ذي الصورة النمطية الذي يصبح حينئذ ذا قيمة توجيهية في عملية استقبال النص وتفسيره[٥٥٨].

ونحن في هذه الدراسة يجب علينا تحديد النصوص المدروسة من المقامات، وبيان أنواعها، وأشكالها النصيّة، إذ يرى (فان دايك) أنّ ((التفريق بين أنواع مختلفة من الأبنية النصية ضروري؛ لأنَّ هذا يرتبط بمعايير إدراكية واتصالية واجتماعية وثقافية متباينة))[٥٥٩] فضلاً عن أنّ لكل نوع من أنواع النصوص ملامح وصفات خاصة، وقد قسّمها (فان دايك) على ثلاثة أنواع رئيسة هي: (**النصوص السردية، الجدلية (الحجاجية)، والبحثية**)،

([٥٥٣]) علم النص ،مدخل متداخل الاختصاصات: ٢١٠.

([٥٥٤]) نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري:١٥٧.

([٥٥٥]) علم النص: مدخل متداخل الاختصاصات:٢١٢.

([٥٥٦])ينظر: نفسه:٢٠٩.

([٥٥٧]) ينظر: نظرية علم النصّ رؤية منهجية في بناء النص النثري:١٥٧.

([٥٥٨])ينظر: مدخل إلى علم اللغة النصي، فولفجانج نيه مان ديتر فيهفجر: ٢٤٥- ٢٤٦.

([٥٥٩])علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات: ٢٥٤.

وحدد أسس التنميط والتجنيس النصي في ضوء السمات الدلالية الضرورية لاستقبال أمثل للمعنى، كالعناوين الفرعية، والإشارات التي يحملها إلى نمط النص والبنية العليا، والصياغات الخاصة بالنصوص[٥٦٠]

وقدّم (روبرت دي بوجراند) وصفاً أشمل لأنواع النصوص هو الآتي[٥٦١]:

١- **النصوص الوصفية** : نجد مراكز الضبط في علم النص في معظمها تصورات للشيء والموقف، ويتم إثراء بيئاتها بكثرة الاتجاهات إلى كشف الوصلات مع تكرار وجود أنواع من الوصلات مثل الحال والصفة والتخصيص، أعم ما يجري تطبيقه من أنماط المعلومات وهو الإطار.

٢- **النصوص القصصية**: ومراكز الضبط في عالم النص في أغلبها تصورات الحدث، والعمل التي تنظم في توجه مرتب للوصلات، ويتكرر ورود الوصلات مثل: العلة، والسبب، والتمكين، والغرض، والمقابلة، والزمنية، وأعم نمط للمعلومات هو المشروع.

٣- **النصوص الجدلية**: مراكز الضبط فيها قضايا كاملة تنسب إليها قيم الصدق وأسباب لاعتقاد كونها حقائق وتكرر أنواع من الوصلات مثل: الإفادة، الإدراك ،الإرادة، والسبب ويشتمل النص السطحي عل حشد من عبارات تحديد القيمة، وأكثر نماذج المعلومات تطبيقاً هو نموذج الخطة الذي غايته الانتهاء إلى مشاركة في المعتقدات.

٤- **النصوص الأدبية**: يبدو عالم النص فيها في علاقة تبادلية مع الأنماط المناسبة من المعلومات حول العالم الواقعي المقبول، والمقصود هنا حثّ بعض النظرات الثابتة إلى تنظيم العالم الواقعي بواسطة التقابلات وإعادة الترتيب.

٥- **النصوص الشعرية**: وفيها يتسع التخطيط للخيارات بين المستويات المتداخلة كالأصوات، والنحو، والأفكار، والعلاقات، والخطط،...،هكذا، وبهذه الطريقة يتم تحول التنظيم بالنسبة لكل من العالم الحقيقي والتخاطب حول العالم إلى مشكلة، وإنّ زيادة التحفيز بالنسبة للمنتج والتركيز بالنسبة للمستقبل ستزداد مدهِ حتى تصلح عناصر النص لأن تؤدي وظائف متعددة.٦

٦-**النصوص العلمية**:ويتوقع فيها أن تتفق اتفاقاً تاماً مع العالم الواقعي المقبول ما لم تقم دلائل على ذلك

٧- **النصوص التعليمية** :وينبغي أن يُعرض عالم النص فيها من خلال عملية تدريجية من المزج ؛لأنه يفترض في المستقبل النص أن يكون لديه معلومات كافية عن مساحات المعرفة التي يتطلبها النص العلميّ، فيتخذ النص طابع المشكلة ثم يتخلى عن هذا الطابع فيما بعد .

٨- **نصوص المحادثة**: ويتخذ التنظيم السطحي للمحادثة طابعاً خاصاً بسبب التغير في نوبات المتكلم.

ولعل((إدراج نص ما ضمن هذا النوع أو ذاك يعتمد اعتماداً واضحاً على وظيفة النص في الاتصال، وليس على شكل اخراجه في ظاهر النص فحسب))[٥٦٢] ،ومن قراءة نصوص المقامات نجد أن بعضاً منها نصوصاً

([٥٦٠]) ينظر: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات:٢٤٩-٢٥٢.

([٥٦١]) ينظر: النص والخطاب والإجراء:٤١٥-٤١٧.

([٥٦٢]) مدخل إلى علم لغة النص:٢٣٦.

سردية تستثمر لتنظيم الأحداث والوقائع وترتبها بشكل تتابعي، وبعضها نصوص جدلية جاء بها لتأكيد عدد من الأمور الدينية ومنلخطابلخطابلخطاب الأمور الاجتماعية والسياسية ،واستعمل فيها السيوطي وسائل الإقناع وترتبط بوساطة علاقات بين المفاهيم والتصورات، واشتمل سطح النص على حشد وسائل الربط، وللسيوطي نصوص أخر وصفية معظمها تصورات للمكان كروضة مصر وغيرها من المواقف، كذلك نجد تداخلاً بين هذه الأنواع في نصوص المقامات فيتدخل السرد بالوصف والوصف بالجدل...

رقم المقامة	نوع النص
١	جدلي وصفي
٢	جدلي وصفي
٣	سردي وصفي
٤	صفي
٥	جدلي وصفي
٦	جدلي وصفي
٧	وصفي
٨	جدلي وصفي
٩	وصفي
١٠	جدلي وصفي
١١	وصفي سردي
١٢	جدلي سردي

وعلى سبيل الأمثال لا الحصر، يصف السيوطي في لمقامة التفاحية يصف:((**الرمان والأترج والسفرجل والكمثرى والنبق والخوخ:((ثم يذكر أبياتاً من الشعر فيها، يقول في الأترج:" الأترج وما أدراك ما الأترج مذكور في التنزيل، ممدوح في الحديث، قال تعال ﴿وأعتدت لهن مُتّكّأ ﴾(يوسف:٣١) ،فُسر بالأترج عمن روى ورأى في الحديث الصحيح وهو الوابل الصيب:" مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة طعمها طيب وريحها طيب،... بارد رطب في ا لأولى، يصلح غداء ودواء مشموماً ومأكولاً، يبرد عن الكبد حراً، ويزيد في شهرة الطعام دسراً، يقطع القيء، والإسهال المزمنين دهراً...))**[٥٦٣]، والسيوطي لم يقصر في وصفه على المحاسن الظاهر للفواكه والخضروات، بل تعدى ذلك إلى بيان منافعها الطبية ومالها من قيمة علاجية، وأورد ما وصف بها الشعراء، وما ورد من أحاديث نبوية، وأغلب هذه الأنواع مما تنبت بيئته فهو مرتبط بأرض مصر أشد ارتباط.

والمقامة المسكية تقوم على الجدل بين أربعة أمراء من الطيب وهم: (المسك، والعنبر،الزعفرا والزعفران ، والزّباد)،لبيان من أحقّ بالحكم،إذ نجد السيوطي،يقول لرابعهم الزباد:(فلست تعد مع هؤلاء من الأقران،...، ومتى ادعيت أنك رابعهم قيل لك: اخسا، ومتى جاريتهم في ميدان السبق فكبواً لك وتعسا...))[٥٦٤].

([٥٦٣])المقامات:٨٥ ـ ٨٦.

([٥٦٤]) نفسه:٧١ ــ٧٢.

الفصل الثالث

معايير نصية أخرى

يتضمن:

-توطئة

المبحث الأول: معايير تتصل بمستعمل النص

ويتضمن:

أولاً: القصديّة

ثانياً: المقبوليّة

ثالثاً: الإعلاميّة

المبحث الثاني: معايير تتصل بالمؤثرات الخارجية

ويتضمن:

أولاً :السياق

ثانياً: التناص

الفصل الثالث

معاييرٌ نصية أُخرى في المقامات

توطِئة :

بعد أن انتهينا من دراسة معياري (الاتساق والانسجام) في الفصلين الأول والثاني على التوالي، سنتناول في هذا الفصل دراسة بقية المعايير النصية التي أقرها (دي بوجراند دريسلر) وهي (القصدية، المقبولية، الإعلامية، السياق، التناص).

فإذا كان حديثنا تواصلياً في المقام الأول، فإن أية محاولة لتفسيره وتأويله بعيداً عن السياق الذي أنتج فيه، تعدّ ضرباً من المحال.

إذا تأملنا كل عنصر من هذه العناصر ،نجده يرتبط بمعيار من المعايير التي اقترحها (دي بو جراند ودريسلر)؛ فالمتكلم يرتب بمعيار المقصدية ، والسامع بمعيار المقبولية ،أما الزمان والمكان فكلاهما متصل بمعيار السياق الذي يفتح على نحو أشمل ليضم نصوصاً أخرى من عصور مختلفة ؛ بذلك نكون قد أدخلنا التناص عنصراً سياقياً خامساً، ومعياراً سابعاً من معايير النصية.

ويشتمل هذا الفصل على أمرين :

احدهما: ما يتعلق بمستعملي النص كمعايير(القصدية، والمقبولية، وأضيف إليهما معيار الاعلامية)؛لأنّها تختص بـ(المتكلم / الكاتب) و (المتلقي / القارئ).

الآخر:ما يختص بالمؤثرات الخارجية التي تؤثر في النصوص المدروسة، كمعياري((السياق،و التناص)) والمتمثلة بالسياق الخارجيّ أو النصوص الخارجية. وسوف نوضح كل معيار من هذه المعايير في المباحث الآتية:

المبحث الأول

معايير تتصل بمستعملي النص

أولاً: القصدية

توطئة:

يعد مفهوم القصدية من المفاهيم الأساسية والمعيار الثالث من معايير النصية، والركيزة الرئيسة الفاعلة في التداولية، ويتضمن موقف منشئ النص لإنتاج نص متماسك ومترابط؛ لكي يتم الوصول إلى هدف موسوم في خطة محددة[٥٦٥]،عبر النقاد والبلاغيون القدماء والمحدثين عن القصدية بألفاظ كثيرة نحو: الغرض، والحاجة، والمراد، والفائدة وغير ذلك [٥٦٦] .

والقصدية ليست فكرة جديدة ، ففي الفلسفة الاغريقية كانت تشير إلى ((قوة الروح العليا))[٥٦٧]،أما في الاستعمال الحديث ؛ فهي موقف منتج النص لإنتاج نص متناسق [٥٦٨].

ويرى فرانتس برنتانو Brentano ، وهوسرل Husserl ،أن هدف النظرية القصدية وصف ،وتحليل ارتباط الفكر بموضوع ما؛ للكشف عن ماهية ذلك الموضوع أو الشيء [٥٦٩].

وحاول برنتانو ادخال القصدية في صلب النشاط النفسي الذاتي، أما هوسرل فنظريته في القصدية تدعى بالموضوعية ، فقد أعطى لها معنى فينولوجي ((ظاهراتي)) ، فالقصدية عنده العلاقة الثابتة في ارتباط أفعال الوعي مع الموضوع المعني ،وهو حصيلة تركيب تلك الأفعال في وحدة الوعي بالموضوع ، بالفاعلية التي يمارسها الذهن في التوجه إلى الموضوع للإحاطة به [٥٧٠]، وهو بهذا ألغى إفتراض ذات حقيقية وموضوع حقيقي عند استعانته بمفهوم التوقف لكي يستبقي القصدية .

ولم يخرج عن رؤية برنتانو ،وهوسرل كل من فهيدغر Heidegger ،وماكس شيلر Max scheler ، عندما طالت القصدية لديهما الجوانب الانفعالية أو العاطفية ،فالمشاعر التي أحسسها نحو شخص كالحب ،والكراهية ليست من خلق الفرد ، بل إن الشعور له موضوع يقصده يتعدى العاطفة الذاتية ويجعله مستقلاً على نحو ما ، فهذه الموضوعات هي العنصر الأول للحياة [٥٧١] .

([٥٦٥]) ينظر: مدخل إلى علم اللغة النصي:٩٤.

([٥٦٦])ينظر: لسان العرب : مادة قصد : ٤١/ ٣٦٤٢ .

([٥٦٧])ينظر : نظرية جون سيرل في القصدية دراسة في فلسفة العقل: صلاح أسماعيل : ٦٠.

([٥٦٨]) المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب : ١٢٨.

([٥٦٩])ينظر : نظرية جون سيرل في القصدية دراسة في فلسفة العقل: ٦٢.

([٥٧٠])ينظر: نفسه : ٦٦.

([٥٧١]) نفسه : ٦٧.

وعرف سيرل syril القصدية بقوله : ((القصدية هي تلك الخاصية لكثير من الحالات والحوادث العقلية التي تتجه عن طريقها إلى الأشياء ، وسير الأحوال في العالم، أو تدور حولها ، أو تتعلق بها))[٥٧٢] ، وهي تبعاً لهذا التعريف تتضمن ظواهر عقلية كثيرة ، فعندما تملك اعتقاداً فلابد من أن يكون الاعتقاد بأن الذي تعتقد به هو الواقع، وملمح عام لحالات عقلية مختلفة كثيرة ، فالاعتقادات ،والرغبات ، والآمال ، والأحكام ، والمقاصد تظهر القصدية.

ويستمد مفهوم القصد شرعية وجوده في الدراسات اللسانية ؛ قديمها ، وحديثها من أن كل فعل كلامي يفترض فيه وجود نية للتواصل والابلاغ ،فلا يتكلم المتكلم مع غيره إلاّ إذا كان لكلامه قصد[٥٧٣] .

فالمعنى اللغوي : ((صورة حقيقية من القصديّة ولكنه ليس قصديّة باطنية وإنما قصديّة مشتقة من القصديّة الباطنية لمستعملي اللغة))[٥٧٤]. وبهذا لا غنى لأي تشكيلة لغويّة يُراد استعمالها في التفاعل الاتصالي عن توافر القصد بأن تكون نصّاً، وعن قبولها على هذا الأساس [٥٧٥].

يُفهم من هذا أنّه يجب أن تكون هناك علاقة بين الوقائع اللغويّة ومستعملها، إذ لا بدّ من أن تكون هذه الوقائع مبيّنة لمقاصد وأهداف مستعمل اللغة، فتتابع الصور اللغويّة من دون أن يكون وراءها قصد مُعبَّرٌ عنه يُعدّ ضرباً من العبث، وعرفها بورجراند بـ :((موقف منشئ النص من كونه صورة ما من صور اللغة ، قصد بها أن تكون نصاً يتمتع بالسبك والالتحام ، وان مثل هذا النص وسيلة ، من وسائل متابعة خطة معينة للوصول الى غاية بعينها))[٥٧٦]، وهذا يؤكّد أنّ هناك علاقة جوهريّة بين هذا المعيار ومعياري الاتساق والانسجام .

وعلى هذا الأساس أن اللغةَ في الأساس نشاطٌ تواصليّ ، ولا وجود لأيِّ تواصلٍ عن طريق العلامات من دون وجود قصديّة وراء فعل التّواصل ؛ لأنَّ المقاصدَ هي لُبُّ العمليّة التّواصليّة[٥٧٧] . ويصبح الأمرُ أكثر لزاماً عندما يستعمل المتكلّمونَ نصوصاً غير مكتملة الاتِّساق والانسجام ؛ لذا يتوجب إدخال مستعملي النّص ضمن معايير النّصيّة[٥٧٨]،ومما تقدم نرى أن للقصديّة مفهومينِ :

الأول : يرى أنَّ الاتّساق والانسجام هدفٌ نهائي للقصديّة ؛ وبهذا يكون القصد من إنتاج النّص هو أنْ يحمل غاية نصّيّة[٥٧٩] ؛ لأنَّ ((اعتقاد المنشئ أنَّ سلسلة الأحداث القوليّة التي ينتجها يُمكن أنْ تشكّل نصاً مسبوكاً ... ... يكون أداة لتحقيق مقاصد المنتج ، كأن ينقل معرفة أو يحقّق هدفاً جرى توصيفه في إطار خطة

([٥٧٢])نظرية جون سيرل في القصدية دراسة في فلسفة العقل: ٦٨.

([٥٧٣])ينظر : مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه : محمد الأخضر الصبيحي : ٩٦.

([٥٧٤])نظرية جون سيرل في القصدية : ٨٢.

([٥٧٥]) ينظر: مدخل إلى علم لغة النص: ١٥٢.

([٥٧٦]) النص والخطاب والأجراء : ١٠٣.

([٥٧٧]) ينظر : استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغويّة تداوليّة): ١٨٣ .

([٥٧٨]) ينظر : نظرية علم النّص رؤية منهجيّة في بناء النّص النثريّ : ٤٧ .

([٥٧٩]) ينظر : نفسه : ٤٧-٤٨ .

موضوعة.... فمحافظة منتج النّص على معياري الاتِّساق والانسجام معاً يتضمن حرصهُ ورغبتهُ على إيصال مقاصد إلى متلقيه مستمعه)) [٥٨٠].

الثاني : يحمل غاية برجماتيّة (نفعيّة) ، إذ يرى أنّ الاتِّساق والانسجام وسيلةٌ ضمن وسائل أخرى يروّضها المرسل في تحقيق مقصده ؛ ويعني هذا أنَّ منتج النّصِّ غالباً مايقوم بإفساد التماسك المعنويّ في النّصِّ بغية الوصول إلى نتيجة ما ، ولا يؤدّي ذلك إلى فقدانِ النّصِّ للتقبليّة[٥٨١].

إذن فهناك نسبة تسامح في مجال القصد ، إذ بالإمكان أنْ يظلَّ النّصُّ قائماً من النّاحية العمليّة حتّى مع الغياب التّام لمعياري الاتِّساق والانسجام ، وهذا التّسامح يُعدُّ من عوامل ضبطِ النّظام الذي يتوسط بين الاستراتيجيّاتِ اللغويّة، والمطالب السائدة للموقف[٥٨٢] .

ويكون القصد في النّصِّ على نوعينِ[٥٨٣] :

القصد المباشر (الصّريح) : ما يعبّر عن المعنى الحرفيّ أثناء التلفّظ بالخطاب طبقاً للمواضعة اللغويّة نحو : افتح النّافذة ، ويمثّله أساليب الطلب في العربية : (الأمر والنهي ، والاستفهام ،والنداء ، والعرض والتحضيض ،التمني ، الترجي).

القصد غير المباشر (التّلميحي) :وهو يعبّر عن المعنى المستنتج (المؤول) من الخطاب من دون التّصريح به نحو: لقد تعرّق جسدي . وبذلك يتطلب (افتتاح النافذة)، ويمثله : (الاستلزام الحواري ، والاقتضاء التداولي) [٥٨٤] .

وبناءً على هذا الفهم يمكن أنْ نعدَّ ((القصديّة وسط بين طرفين متضادين : التأويلات اللامتناهية التي قد تكون متناقضة ، والتأويل الحرفي الوحيد،إذ هي تنطلق من ثبات المعنى لثبات مقاصد المؤلف، ومن تغيّرات التأويل الخاضع لإلزاماتِ عصر المؤلف والسّياق الّذي يعيشُ فيه))[٥٨٥].

ومن المهمّ أيضاً بيان ارتباط القصديّة بالمتلقّي، لأنّ الهدف منها الفهم الذي هو ((تحديد دقيق لمراد المتكلّم، وتعيين للمعنى المقصود من اللفظ ضمن محتملاته العديدة في اللغة))[٥٨٦]، والمتلقّي لا يكتفي فقط بتحرير قصد المرسل،بل يشكّل لنفسه قصداً خاصّاً قد يكون أضيق أو أوسع من معنى المرسل بحسب ذخيرته اللغويّة وقدراته المعرفيّة، فيتشارك معنى المتلقّي ومعنى المرسل في إنتاج النص[٥٨٧].

([٥٨٠]) الدّرس النحويّ النّصيّ في كتب إعجاز القرآن الكريم : ١٥٧ –١٥٨.

([٥٨١]) ينظر: نظرية علم النص رؤية منهجيّة في بناء النص النثريّ:٤٧.٤٨ .

([٥٨٢]) ينظر : النّص والخطاب والإجراء : ١٠٣–١٠٤ .

([٥٨٣]) استراتيجيّات الخطاب مقاربة لغويّة تداوليّة : ١٨٨–٢١١.

([٥٨٤]) ينظر : الحجاج في كلام الأمام الحسين (ع) : د. عايد جدوع :٦٤.

([٥٨٥])استراتيجيّات الخطاب مقاربة لغويّة تداوليّة : ٢١١.

([٥٨٦]) فلسفة التأويل، دراسة في تأويل القرآن : ٢٨٤.

([٥٨٧]) ينظر: المفارقة الروائيّة، الرواية العراقيّة نموذجاً، ، أطروحة دكتوراه، : ٢٠١.

فنظريّة الاتصال والتأثير ترى أنّ عمليّة القراءة تسير في اتجاهين متبادلين، من النص إلى القارئ ومن القارئ إلى النص، فبقدر ما يقدّم النص للقارئ، يضفي القارئ على النص أبعاداً جديدة، قد لا يكون لها وجود في النص، وعندما تنتهي العمليّة بإحساس القارئ بالإشباع النفسي والنصّي تتلاقى وجهات النظر بين القارئ والنص[٥٨٨]، فيحدث التفاعل بين النص والمتلقّي، والقصديّة هي محور هذا التفاعل، فهي تمضي من النص إلى المتلقّي، ومن المتلقّي إلى النص بحسب المخطط الآتي:

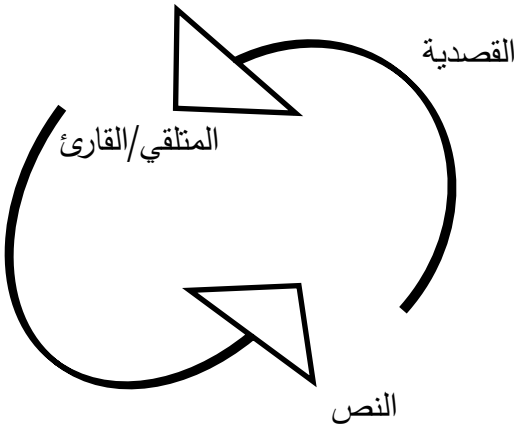

القصدية

وعمليّة إنتاج النصوص ليست سهلة في مفهوم التواصل الإبداعي الإنساني، فتداخل صيغ الأساليب المختلفة وتفاعلها هو نتيجة لبيان قصد معيّن، فمقاصد عبارات معيّنة تتحدّد بنسق من القواعد التركيبيّة والدلالي.

وفيما يخصّ الطرائق التي يتبعها الكاتب للوصول إلى قصده ، قدّم غرايس قواعد تتحكم في القصديّة وتوجّهها توجيهاً صحيحاً، وهي[٥٨٩] :

أ_ قاعدة الكم : وهي القاعدة التي تتطلب من الكاتب أو المنتج أن يقول ما هو ضروري بالضبط ولا يزيد على ذلك .

ب_ قاعدة الكيف: أي ألّا يقول الكاتب ما يعتقد بأنه خطأ، وأن يقول ما ينبغي على أحسن وجه.

ت_ قاعدة المناسبة أو الإفادة: أن يقول الكاتب ما هو مناسب ووثيق الصلة بالموضوع ، أيّ ماله فائدة وعلاقة بالمحادثة.

ث_ قاعدة الأسلوب أو الهيأة: أن يكون الكاتب واضحًا سهلا في أسلوبه، ويتجنّب الغموض والإبهام في التعبير، وأن يختصر في قوله ويكون منظّمًا.

ج _ قاعدة التعاون: أن يكون إسهام الكاتب في المحادثة رهنا بما تقتضيه الغاية المقبولة في تبادل الحديث الذي تشارك فيه.

فاتباع منتجي النصوص لتلك المبادئ يسهم في تحقيق الاتصال بقدر أدنى من الخلل[٥٩٠].

([٥٨٨]) ينظر: فن القصة بين النظريّة والتطبيق: نبيلة أبراهيم: ٥٣-٥٤.

([٥٨٩]) ينظر: التداوليّة من اوستن إلى غوفمان: ٨٤- ٨٥،وعلم لغة النصّ النظريّة والتطبيق:٣١، ونظريّة علم النصّ رؤية منهجيّة في بناء النصّ النثريّ: ٥٠.

ولابدّ من الإشارة إلى ((أنّ قصد المتكلم هو أمر باطنيّ لا يمكن الاطّلاع عليه إلّا بالنظر في الكلام المسوق نفسه، فإذا وجدنا هذا الكلام يصبّ في موضوع واحد علمنا أنّ المتكلم كان يقصد في كلامه بيان هذا الموضوع، وإلّا كان كلام المتكلم متعدد المواضيع بحيث لا يربط بين هذه المواضيع رابطٌ معين ، علمنا أنّ كلامه متعدد المقاصد))[٥٩١].

ويتضح بذلك أن القصدية جزء من دلالة النص، وليس جزءاً من دلالة الكلمة، ولذا فإن أي نصّ يخلو من القصد لا يرقى إلى مرتبة الخطاب ومن ثم لا يقوى أن يحافظ غلى انسجامه الداخلي وسيفقد من ثم توجيهه الايصالي، ومعلوم أن النصوص مراتب وأنواع فهناك نص يقوم الخطاب فيه على عدد من الجمل، وآخر على جملة واحدة فالمهم أن النص في كل أنواعه لا يقوم إلا بقصد، والقصد لا يكون مدلولاً إلا مع النص، وعليه فإن القصدية تعني هو كل ما يصدر من المتكلم إلى المخاطب وما يكمن ويحكم من معتقدات ومقاصد وأهداف من فعل الكلام في مقتضيات أحوال خاصة.

القصدية في المقامات:

يعد أيّ نصّ مهما كان نوعه سواء أكان أدبياً أم تاريخياً فعلاً مقصوداً، له هدف معين ، سيتركز اهتمامنا في النص الذي أبدعه السيوطي، بغية الوصول إلى قصديته، وأول مقامة تعرض علينا مناظرة جرت بين الورد، وتبدأ المناظرة بتحديد الهدف العام منها هو اختيار من هو أحق بالملك، يقول السيوطي((**إنّ عساكر الرياحين قد حضرت، وأزهار البساتين قد نظرت، لما به نضرت، واتفقت على عقد مجلس حافل لاختيار من هو بالملك أحق وكافل**))[٥٩٢] واتفق أعضاء الجماعة على الدخول في علاقة حوارية من أجل تحقيق الهدف، وتفسح المجال لكل واحد منهم لعرض حججه، و ارتضوا أسلوب المناظرة وسيلة حوارية، يقول أيضاً((**وها أكابر الأزهار قد صعدت المنابر، ليبدي كل حجته للناظر، ويناظر بين أهل المناظر، في أنه أحق أن يلحظ بالنواظر، من بين سائر الرياحين النواضر**))[٥٩٣]،واختيار المتناظرين أسلوب المناظرة طريقة حوارية يتبين لنا أنهم على دراية بقواعدها وأصولها، ومن الأصول العامة للمناظرة؛ لابد لها من جانبين، ولابد لها من دعوى ولكل من الجانبين آداب ووظائف، يتضح من هذا أن أسلوب المناظرة مبني على جوانب تداولية بين المتناظرين وقائم على علاقتين: علاقة استدلالية مبنية على دعوى واعتراض عليها ، وعلاقة تخاطبية قائمة على جانبين: جانب تواصلي(إبلاغي)، وجانب تعاملي (أخلاقي)[٥٩٤].

([٥٩٠]) ينظر: نظريّة علم النصّ رؤية منهجيّة في بناء النصّ النثريّ: ٥١.

([٥٩١]) القرائن والنصّ دراسة في المنهج الأصوليّ في فقه النصّ: ٢٧٢.

([٥٩٢]) المقامات :١٣.

([٥٩٣]) نفسه:١٤.

([٥٩٤]) ينظر: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام: ٧٤.

وما دام القصد من الدخول في هذه العلاقة قد تبين، فقد استحضر كل مناظر في أقواله كل ما يساعده على إبلاغ قصده إلى غيره بكل وضوح ، يظهر هذا من احترام قوانين المحادثة التي تنبني على مبدأ عام يقتضي تعاون المتخاطبين على تحقيق الهدف من الحوار، وتتفرع عن هذا المبدأ قواعدُ موزعة بين الأصناف الأربعة التي صاغها "غرايس" التي تم ذكرها آنفًا، وأراد غرايس بهذه القواعد أن تكون ضابطاً يضمن للمخاطب بلوغ الغاية في الوضوح، وبإمكان المتخاطبين توظيفها، فيخالفون بعضها مع حفاظهم على مبدأ التعاون، وهدف الوضوح في المناظرة، هو إدراك المعنى بنحوٍ مباشر، والمبالغة في الوضوح أدت بالمتناظرين إلى خرق قاعدة "الكم الخبرية" إذ نجد كل متناظر يسرد قائمة طويلة من خصاله وصفاته التي يتميز بها، وكان يغنيه ذكر بعضها، وعلى سبيل المثال ما قاله النرجس:((**أنا القائم لله في الدّياجي على ساقي، الساهر طول الليل في عبادة ربي فلا تطرق أحداقي، أنا مع ذلك المعد للحروب، المدعو عند تزاحم الكروب، ألا ترى وسطي لا يزال مشددا وسيفي لا يبرح مجردا؟ وأنا فريد الزمان في المحاسن والإحسان.... ، وأنا المشبه به عيون الملاح، والمعروف في مهمات الأدواء بالصلاح ، أنفع غاية النفع في داء الثعلب والصرع...**))[٥٩٥].

ثم نجده يسرد قائمة طويلة من المنافع الطبية الوقائية والعلاجية، وهذا ما فعله كل متناظر، وهذا الإفراط في الوضوح جعل مقاصد بعض المتناظرين تظهر من خلال الدلالة اللغوية للجملة ، وهو ما عبر عنه " سيرل" بـ" مبدأ الإبانة"، إذ إنّه يعتقد أن الحالات الذهنية للمتكلم تظهر من خلال الدلالة اللغوية للقول[٥٩٦]، وهذا ما يتضح في قول الورد:((**أنا أحق بالملك بالحجة المبينة .. وهذه حجة للاستحقاق قوية، لأن الأولوية نوع من الأولية**))[٥٩٧].

واستعمل المتكلمون الأقوال(الأفعال)التي يسميها سيرل " الأعمال اللغوية غير المباشرة "[٥٩٨] في حالة الاعتراض، أي الكيفية التي يمكن فيها للمتكلم أن يقول شيئاً وهو يقصد شيئاً آخر، إذ نرى أنها تواكبها قوتان:

١-قوة إنجازية حرفية(الفعل اللغوي المباشر):وفيه تكون القوة الإنجازية مدلولاً عليها بصيغة العبارة.

٢-قوة إنجازية متضمنة(الفعل اللغوي غير المباشر)بحيث يأتي القول في سياق معين حاملاً لقوة إنجازية غير القوة الإنجازية الدالة عليها مباشرةً.

مثال على ذلك في المقامة قول النسرين((**كيف يفاخر البلور من هو مشبه بذنب السنور؟**))[٥٩٩].

في هذا القول يحمل قوة إنجازية حرفية متمثلة بالاستفهام، وقوة إنجازية متضمنة تُفهم من خلال السياق بمعنى أن الفعل الانجازية فيه حمولتان، حمولة حرفية تتمثل بالاستفهام، وحمولة ضمنية، وبهذا يتبين أن العبارة

([٥٩٥]) المقامات :٢٢.

([٥٩٦])ينظر: التداولية اليوم:٤٣.

([٥٩٧])المقامات:١٩-٣١.

([٥٩٨]) ينظر: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام:٨٠٨٣.

([٥٩٩]) المقامات:٢٩.

اللغوية الواحدة، قد تحتمل فضلًا عن قوتها الإنجازية الحرفية ، أكثر من دلالة ضمنية واحدة، ويقترح سيرل بعض الشروط التي ينبغي أن يستوفيها الفعل الإنجازي حتى يكون ناجحاً، ويمكن المستمع الانتقال من المعنى الحرفي إلى المعنى الضمني هي[٦٠٠]:

١-**شروط مضمون القضية** :وهي تحدد أوصاف المضمون المعبر عنه بقول مخصوص،(الوعد) مثلاً يقضي أن يسند القائل لنفسه عملاً ينجزه في المستقبل، والجزم يقتضي الإتيان بدليل.

٢-**الشروط الجوهرية:** وتُعين الغرض التواصلي من الفعل الإنجازي، هذا الغرض الذي يلزم المتكلم بواجبات معينة، فيقضي الوعد أن يلزم القائل بإنجازه.

٣-**شروط الصدق:** وهي تحدد الحال الاعتقادي، الحالات الذهنية للقائل الذي ينبغي أن يقوم بالمتكلم المؤدي لهذا الفعل التكلمي.

٤-**الشروط التمهيدية:** وتتعلق بمعرفة المتكلم عن قدرات واعتقادات وإرادات المستمع وعن طبيعة العلاقات القائمة بينهما.

تبعاً لذلك؛ فالأفعال الإنجازية ذات القوة الحرفية المتمثلة بالاستفهام حددتها الشروط التمهيدية للمخاطب في المناظرة، من خلال الأحوال المحيطة بالموقف الذي صدر فيه خطاب المعترض، فهو في موقف من يحاول إبطال دعوى المتكلم بكل السبل، وإثبات دعواه، والأمثلة كثيرة في المناظرة، نسوق من بينها ((**فقام النرجس على السّاق، ورمى الورد منه بالأحداق قال...**))،((**فقام البان، وأبدى غاية الغضب وأبان وقال...**))،((**فقام البنفسج وقد التهب ولاحت عليه زرقة الغضب وقال...**))[٦٠١].

وفي إطار هذا الفعل الكلامي غير المباشر (الاستفهام الخبري)نجده وارداً في كلام المتناظرين في حال الاعتراض، فكانت عبارات مثل: ((**ألست الضار للمزكوم، المعطس للمحروم الدماغ عند المشموم؟ أيها البنفسج بأي شيء تدعي الأمارة؟...**))[٦٠٢]،فالمعترض يستنكر على المدعي دعواه، وغرضه من ذلك أن يُقرّ له المدّعي بما جاء في اعتراضه، وهو :أنت الضار للمزكوم ،لا يوجد عندك ما تدعي به الأمارة.

واستعمل المتناظرون أيضاً أفعالاً كلامية غير مباشرة كان السياق اللغوي فيها كافياً لتحديد قوتها المتضمنة منها:((**كيف تطلب الملك، وأنت قائم مشدود الوسط في الخدمة، بأي شيء تدعي الأمارة؟ وأكثر ما عندك أنك تشبه بالعذار والنار والكبريت، وحاصل هذين يرجع إلى أشنع صيت،تريد أن تسود؟ وأنت مشبه بهامات العبيد السود**))[٦٠٣]، الاستفهام خرج للتعجب والأنكار والنتيجة من كل الاستفهامات هو النهي عن السيادة، وتنتهي المناظر دون الوصول إلى تحقيق الهدف المنشود منها، وهو الوصول إلى أي المتناظرين أحقّ بالملك، والذي

([٦٠٠])ينظر: اللسان والميزان العقلي أو التكوثر العقلي:٢٦١.

([٦٠١]) المقامات: ٢١، ٢٧، ٣١ على الترتيب.

([٦٠٢]) نفسه: ٣٦.

([٦٠٣]) المقامات:٢٤، ٣٦، ٤٤.

أدى إلى فشل المناظرة، هو الجانب التعامليّ من العلاقة الحوارية التخاطبية، فقد قلنا إنَّ المناظرة قائمة على علاقتين :

١-استدلالية: ادعاء واعتراض.

٢-تخاطبية: جانب تعاملي وجانب تواصلي.

فقاعدة القصد وإن صانت الجانب التواصلي (التبليغي)، في إفادة المخاطب المعنى المقصود من الكلام بوضوح -كما ذُكر- إلاّ أنها لم تثمر لدى المتكلم تعيين وظيفته التعاملية(الأخلاقية)، ومن الصفات الأخلاقية التي يجب أن يتحلّى بها المناظر[٦٠٤]:

١-أن يقصد المناظر الاشتراك مع خصمه في إظهار الحق والاعتراف به، لكي لا يتباهى به إذا ظهر على يده، ولا يعترض إذا ظهر على يد خصمه.

٢-أن يتجنب المناظر الإساءة إلى خصمه بالقول أو الفعل بغية إضعافه عن القيام بحجته، كالسخرية منه بفضح عيوبه، وهذا بالذات ما لم يحترمه كل المتناظرين، فنجده مثلاً في قوله((**احفظ بصمت حرمتك و إلاّ أكسر بقائم سيفي شوكتك...**"، "**لقد تجبست ياجبس وأكثرك رجس نجس وأنت قليل الحرمة، واسمك مشمول بالعجمة....**"، **كيف يفخر البلور من هو مشبه بذنب الصنبور؟**))[٦٠٥]، ثم إنّ قصد إظهار الحق يتنافى مع ما حكم به المتناظرين لأنفسهم باستحقاق الملك، وهذا الجو الذي يسوده استعلاء واستنكار، لا يمكن أن يثمر تقارباً بين المتخاطبين ؛لأنه أهمل الجانب التعاملي(الأخلاقي) من العلاقة الحوارية الذي هو ضروري لاستمرار علاقة الحوارية (التخاطبية)، وعلى الرغم من توصل المتكلم إلى إفهام مخاطبهِ فحوى كلامه؛ إلاّ أن المناظرة انتهت من دون الوصول إلى الهدف المنشود الذي هو من أحق بالملك، فاتفقوا على طريقة أخرى للوصول إلى الحقيقة وحل النزاع، يقول السيوطي:((**فلما أبدى كل ما لديه وقال ورد عليه، اتفق رأي الناظرين، وأهل الحلّ والعقد من الحاضرين على أن يجعلوا بينهم حكماً عادلاً، يكون لقطع النزاع بينهم فاصلاً**))[٦٠٦]، وقد حُدّدت كفاءات هذا " **الحَكَم**" بدقة متناهية لا بد من الوقوف عند دلالتها، هذه الكفاءات هي[٦٠٧]:

١-عالِم بالأصول والفروع الموقوف منها والمرفوع.

٢-عارف بالأنساب، مميزٌ بين الأسماء والألقاب، والأتباع والأصحاب.

٣-مديد الباع، بسيط اليدين في معرفة الخلاف والإجماع.

٤-خبير بمباحث الجدل، بصير باستخراج مسالك العلل.

([٦٠٤]) ينظر: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام:٧٥.

([٦٠٥]) المقامات:٢٢، ٢٤، ٢٩.

([٦٠٦]) المقامات :٤٥.

([٦٠٧]) نفسه:٤٥-٤٦.

٥-متبحر في علوم اللغة والإعراب، متضلع بعلوم البلاغة والخطاب، محيط بفنون البديع حافظ للشواهد الشعرية التي هي أبهى من زهرة الربيع، شديد الرمية، شديد الإصابة، إذا فوّق لفني الشعر والكتابة، الشعر والنظم صوغ بيانه، والنثر والإنشاء طوع بنانه، والتاريخ الذي هو فضلة غيره فضلة ديوانه.

هذه الشروط يجب توافرها في الحكم كي تجعل الحكم ملزمًا على المحكوم عليه في القضية المطروحة، وهي دلالات نستخلصها من داخل النص ، ولم نقحمها عليه، فهناك مؤشرات في المقامة تجعل القارئ يتوجه نحو هذا القصد والفهم، في قوله:((**فلما مثلوا بين يديه، ووقعت عينهم عليه، قالوا: يا فريد الأرض، يا عالم البسيطة ما بين طولها والعرض...أحكم بيننا بالحق، واقض لأينا بالملك أحق**))[٦٠٨].

وخصص الحكم احتكامه إلى السُنّة من دون سائر الأدلة الشرعية الأخر، مما يفترض أنه يقصد إلى إبراز أهميتها، ومكانتها، وضرورة الرجوع إليها فيما اختُلف فيه،يقول:((**إنما أحكم بما ثبت في السُنّة**))[٦٠٩].

ويذكر الحكم جانباً آخر من كفاءاته، لم يُذكر في الشروط وهي:((**إني لا أقبل الرشا، ولا أطوي على الغل حشى، ولا أميل مع صاحب رشوة، ولا أستحل من مال المسلمين حسوة، ولا أسلك إلاّ طريقا موصلاً إلى الجنة**))[٦١٠].

يعيدنا هذا الملفوظ مرة أخرى إلى الجانب التعاملي(الأخلاقي) في العلاقة الحوارية وأهميته في نجاح التخاطب، وهذه الصفات الأخلاقية التي اتسم بها الحكم جعلت المتناظرين يستعملون أفعالاً إنجازية ذات قوة حرفية، متمثلة في(الأمر) مستلزمة حتى لا تدل على الاستعلاء، وتُفهم من خلال السياق الذي وردت فيه على أنها(طلب إرشاد)فكانت عبارات على النحو((**فأنظر في حالنا... وأحكم بينا... واقض لأينا بالملك أحق..**))[٦١١]، وهذا الجانب قرب بين المتناظرين وله أثر في قوة الفعل الإنجازيّ الصادر من ذات، في مركز قوة، وهو ما يسميه "سيرل" بنمط الإنجاز [٦١٢].

واعتمد الحكم على أدلة نقلية اقتصرت على الأحاديث النبوية، وعندما استشهد بالأدلة العقلية، دعمها بأدلة من السُنّة؛ ليكسبها مصداقية ، فبعد تعداده لمنافع الحناء العلاجية، حيث يقول: ((**هذا وفيه منافع للعلاج ...ومن الصداع وأوجاع الجنب والطحال ....**))[٦١٣]، يأتي بدليل من السنة، فيقول:((**وروى البزار وابن السنيّ قال:كان رسول الله(صلى الله عليه واله)إذا نزل عليه الوحي صداع، فيغلف رأسه بالحناء**))[٦١٤].

تمدنا البنية الاستدلالية لـــ" الحكم" بدلالة جديدة ، تسهم في فهم ما آلت إليه المناظرة، فالجانب الأخلاقي كان سبباً في انقطاع التخاطب بين كلٍّ متناظرين، على الرغم من نجاح التواصل بينهما، لكنه ليس السبب الوحيد،

([٦٠٨]) نفسه:٤٦.

([٦٠٩]) نفسه:٤٦.

([٦١٠]) نفسه :٤٦.

([٦١١]) المقامات:٤٦.

([٦١٢]) ينظر: الأفعال الكلامية عند الأصوليين دراسة في ضوء اللسانيات التداولية اللغة العربية(بحث):١٩٥.

([٦١٣]) المقامات:٤٨.

([٦١٤]) نفسه:٤٩.

فافتقارهم إلى هذا المنهج الاستدلاليّ كان سبباً آخر في عدم بلوغ تواصلهم إلى النتيجة المنشودة، ودليل على ذلك اختيارهم ذاتاً تمتلك كفاية عالية، تؤهلها لتطبيق المنهج الاستدلالي في الحُكم.

وسبب نجاح الخطاب التحكيميّ، إذ يعرض بنية استدلالية مقنعة، تعتمد على منهجية واضحة، اكتسبت مصداقية في ارتباطها بمنهج استدلاليّ، وأنهم غفلوا عنه كما موضح في قوله:((**قالوا: لقد كنا في غفلة من هذا ،إنا كنا ظالمين**))[٦١٥]، لذلك احتاجوا لمن يذكرهم به، وهي قصدية لم تغب عن الحكم ممّا جعله يحدد مسؤوليته التبليغية، فاشتمل خطابه على كلّ ما يوصل المخاطب إلى الهدف المقصود، وهو الوصول إلى الحق، فاختار اللفظ المناسب، وفاق ما تقتضيه القواعد التي تضبط الجانب التبليغي من العلاقة الحوارية، كما أن هذه القصدية حددت مسؤوليته الأخلاقية، فكان صادقاً على ثلاثة مستويات، وفاق ما يقتضيه مبدأ الصدق الذي يضبط الجانب التعامليّ[٦١٦]:

١-**صدق العمل**:فلم يكن في سلوكه ما يُشعِر مخاطبه بأوصاف لا يتصف بها، ويظهر ذلك في قوله:((**لا أقبل الرشا، ولا أميل مع صاحب رشوة، ولا أستحل من مال المسلمين حسوة**))[٦١٧]، خلاف سلوك المناظرين الذي عبّر عنها النرجس حين تصدى الورد، فقال: ((**لقد تجاوزت الحد يا ورد، وزعمت أنك جمع في فرد**))[٦١٨].

٢-**صدق الخبر**: فلم ينقل للمخاطب معلومات كاذبة، مثل التي ساقها المتخاطبون في المناظرة، وهي إظهار منافعهم، وإخفاء أضرارهم.

٣-**مطابقة القول للعمل**: إذ كان مخلصاً في صدقه، فجمع بين صدق الخبر وصدق العمل، وخير دليل على ذلك أنه لم يحكم لأحد من السائلين، وحكم لذات أخرى لم تشارك في الأحداث، وهو دليل على صدق تأدبّه وتخلقه بعيدًا عن الأغراض، وتبادل المنافع.

لقد أثمر هذا الصدق تقرّباً خالصاً وصادقاً بين المتخاطبين، كان له أثر في إتمام إنجاز الحُكم، وانسحب على سلوك المخاطب؛ لأنَّ حجاج الحكَم لم يُثمر فقط اقتناع المخاطب، وخضوعه للحكم، وهو كما قلنا خضوع إرادي، يقول السيوطي:((**فلما سمعت الرياحين هذه الأحاديث في فضله أطرقوا رؤوسهم خاشعين، وظلت أعناقهم لها خاضعين، ودخلوا تحت أمره سامعين طائعين**))[٦١٩]،وكان ذلك ظاهر على مقصدية الحَكم على استحقاق الحناء للملك، وتحققت قصديته، وذلك في قول السيوطي:((**ومدّوا أيديهم له مبايعين بالإمرة ومتابعين**))[٦٢٠] .

وهناك فعلان إنجازيان في أصوت الأخير في المقامة هما(الشهادة) و(الوعد)، فإن الفعل الأول يرتبط بمعرفة المنهج الاستدلالي المعتمد في حجاج الحكم ،إذ إن فعل الشهادة مشابهاً لأسلوب الخبر لكنه يختلف عنه

([٦١٥]) نفسه :٥٠.

([٦١٦]) ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي:٢٥١.

([٦١٧]) المقامات:٥٠.

([٦١٨]) المقامات:٢١.

([٦١٩]) نفسه:٥٠.

([٦٢٠]) نفسه :٥٠-٥١.

في الغرض والقصد، لذلك لا يعدّ مسعود صحراوي الشهادة خبراً، بل إنشاء لإخبار عن الواقعة المنشود بها[٦٢١]، ومعنى هذا أن الشهادة إخبار عن شيء موجود، فكان إنشاء لهذا الإخبار الموجود سلفاً، لهذا فهو لا يحتمل الصدق أو الكذب.

الفعل الإنجازي الثاني الذي نستشفه من مدلول العبارة اللغوية يتمثل في الوعد الذي يعد حسب مقاييس سيرل من الأفعال الانجازية الموجهة في ربط الخطاب بالأقوال الأخر اللاحقة له، إذ يكون التوجه دائماً للوجهة الانجازية التي((تعد بشيء وهي الالتزام الواعد لانجاز شيء ما))[٦٢٢]،فالذي يعد يعبر عن قصدية الانجاز في المستقبل، واعتبر القاضي عبد الجبار (ت ٤١٥هـ)أن الوعد والوعيد كليهما من الأخبار، والوعد عنده هو كل خبر يتضمن إيصال نفع إلى الغير ،أو دفع ضرر عنه في المستقبل[٦٢٣].

وهكذا نسمع صدى الوعد في سند المقامة ، ويعيدنا إلى بدايتها في نشر ما تضمنته من أهداف وحكم، في قوله:((**حدثنا الريان عن أبي الريحان عن أبي الورد أبان، عن بلبل الأغصان عن ناصر لإنسان، عن كوكب البستان،عن وابل الهتان قال...،فقلت لبعض مَنْ عبر: ألاتُحدِّثُوني ما الخبر؟ فقال: إنَّ عساكر الرياحين قد حضرتْ، وأزاهر البساتين قد نظرت لما به نضرت، وتوعدت على عقد مجلس حفل، لاختيار مَنْ هو بالمُلْكِ أحق وكافل**))[٦٢٤]، بهذا يعلن عن إنجاز القضية المعبر عنها في الفعل الكلامي (الوعد) وعدم خلفهم لوعدهم.

وكذلك نجد صوت الوعد في قوله:((**فنادى المنادي في النادي: يا أيها الملأ إني نصيحكم وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم**))[٦٢٥]، ويتبين من هذا عدم امتلاكهم كفاءة في تطبيق المنهج الاستدلالي، فلذلك تركوا الجدال وقصدوا الحكم الذي يمتلك هذه الكفاءة ليفصل بينهم، وذلك واضحٌ في قوله:((**وذلك لما طرق إلى مسامعنا من مقامة الرياحين التي أنشأتها... فإن رأيت أن تجعل لنا منها حظاً وتحبر لنا من نظامك لفظاً، وتضرب لنا مع أولئك بسهم، وتجعل لنا لسان صدق يتناقله عنك أولو العلم والفهم...**))[٦٢٦] ، وكانت إجابته لهم على الفور:((**... مثلكم إذا سأل يجاب و إذا دعا فله يستجاب، ونشركم يملأ الوطاب، وبكم تتجمل الخطاب وسآتيكم بالحكمة وفصل الخطاب**))[٦٢٧].

نجد في مقامة الياقوتية احترام قاعدة الكم الخبرية بعد ما تم تجاوزها من المتناظرين في المقامة الوردية، ففي المقامة الياقوتية لم يذكر المتناظرون إلاّ ما يساعدهم على توضيح دعواهم وتبينها، وهذا بين من خلال احترامهم

([٦٢١]) ينظر: الأفعال الكلامية عند الأصوليين دراسة في ضوء اللسانيات التداولية اللغة العربية(بحث):١٩٥-١٩٨.

([٦٢٢])المقاربة التداولية:٦٣.

([٦٢٣]) ينظر: الأفعال الكلامية عند الأصوليين دراسة في ضوء اللسانيات التداولية اللغة العربية(بحث):٢٠١.

([٦٢٤]) المقامات:١٢-١٣ .

([٦٢٥]) نفسه:٥٣.

([٦٢٦]) نفسه:٥٥.

([٦٢٧]) نفسه:٥٦.

للجانب التعامليّ والتواصليّ في العلاقة الحوارية، إذ إنهم كما يقول السيوطي:((**قصدوا للمفاخرة لا للمفاجرة، و للمكاثرة لا للمكابرة**))[٦٢٨].

أما المنهج الاستدلالي في المقامة؛ فيتجسد من خلال تدرج الذوات في الاستشهاد على أفضلية كل منهم من خلال الدليل النقلي إلى الدليل العقلي، ويظهر ذلك في قول الياقوت: ((**ذكرني بصريحي اسمي في القرآن بقوله تعالى في سورة الرحمن{ كأنهن الياقوت والمرجان}،وقدمني في الذكر ،وذلك يدل على أني من المرجان أنبه...،وكم ورد ذكري في الأحاديث الصحاح...،والمنافع الموجودة لدي فمنيفة، من ذلك: أن التختم بي والتعلق يمنع من إصابة الطاعون على التحقيق..**))[٦٢٩].

ويمكن تحديد الاستراتيجية النصية التي أعتمدها الحكم لبلوغ المقاصد العامة للخطاب في هذه المقامات، فإن السيوطي قد حدد لنا قيمة الأحاديث النبوية، وهو المنهج الذي اعتمدهُ في الفصل بين المتناظرين، وهي البنية الاستدلالية التي اعتمد فيها على الأحاديث النبوية فقط في المقامة الأولى ونقترح أن نطلق عليها مقامة (تجديد المنهج)،إذ إنّه في المقامة الثانية رتب النصوص حسب السلم الحجاجي، فاستشهد بالقرآن الكريم، من ثم بالأحاديث النبوية الصحيحة والضعيفة منها وهذا ما اقترحنا أن نطلق عليه مقامة(تلقين المنهج) الذي نلتمس فيها قصدية السيوطي، وهي تأكيد قيمة الأحاديث النبوية الشريفة وضرورة الاحتجاج بها، فالمقاصد المتصلة بالأقوال التي حللناها هي التي أتاحت لنا الوصول إلى هذه النتيجة، وكل ما يقوله الخطاب يهدف إلى تقريبنا من هذه النتيجة العامة.

ولكي نوضح كيف انتقلنا من المقاصد الموضعية للأقوال إلى المقاصد الإجمالية سنلخصها في هذا الشكل:

١-**لا نكتم شهادة الله** ←تجديد المنهج الاستدلالي

٢-ذات على مستوى عالٍ من التعامل:

((جعلنا الله ممن أناب إلى الحق ورجع)) ←تجديد المنهج التعاملي

تجديد المنهج ← تلقين الذوات الكفاءة ← بلوغ الذات الكفاءة

٣-الفعل السردي المتكرر بوتيرة كبيرة: السؤال- الجواب ← تلقين الذوات الكفاءة

٤-تعويض الفعل السردي سؤال- جواب بـ: ثنائية:(اللقاء-الفرق)[٦٣٠] ← بلوغ الذات الكفاءة

ومن المقاصد التي نجدها في المقامات في توجيه القارئ للوصول إلى الحقيقة التي تجسد موقفًا من الحياة بعدّها دار ابتلاء ، لا تثبت على حال، وهو ما عبر عنه بقوله:((**شكروا الله على بلائكم، وقيدوا هذه النعمة**

([٦٢٨]) نفسه:١٣١.

([٦٢٩]) نفسه :١٣١-١٣٤.

(٦٣٠) ينظر: الاستراتيجية الحجاجية في مقامات جلال الدين السيوطي مقاربة تداولية(بحث منشور):٥٥.

بسلسلة الطاعة))[٦٣١]، وأن الحياة كلها صور من الابتلاءات ،مهما كان نوعها ترسم صورة ثنائية(النفع – الضرر)وتستلزم وجود أسباب، وهذا ما صرحت به المقامات بصناعة أفعال كلام توجه القارئ إلى معرفة أسباب الابتلاء التي يمكن إجمالها بالابتعاد عن المنهج الذي حدده الله تعالى لخلقه، ومثال ذلك:**((مالنا عدنا نروي عن قل بن قل، بعد أن كنا نروي عن بن كثير؟، (هذا خبر معضل، عوقب به من ضل...أنم هي عمالكم ترد إليكم ،(لو اتقيتم الله لأزاح عنكم الضير، ولو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير))**[٦٣٢] .

ولتوجيه القارئ إلى الخلاص، أكدت فعل كلامي يتكرر في قوله:**((لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم، ولئن هجم هذا الداني بحملته على القوم يقولن كل امرئ منهم: لا عاصم اليوم"٢٦الرحمن))**[٦٣٣]، وفي هذا التوجيه يكمن النفع الخفي في الضرر الظاهر، الذي يخفى على كثير من البشر .

كما أنجزت أفعالاً كلامية تفصل فيه هذا التوجيه ،منها:

١-((اعلموا أنّ المال والولد عارية مردودة، ووديعة لاشك إن طال المدى مفقودة)).

٢-((عليكم بحسن التدبير في الطاعة، والمتابعة للسنة والجماعة)).

٣-((بادروا من التوبة بالهفوات، قبل أن تدخلوا باب الحصار والفوات))[٦٣٤] .

هكذا يمكن تحديد المقاصد في المقامات من خلال ثنائية (النفع- الضرر) لكل القضايا والمشاكلا المطروحة في المقامات ، ويمكن توضيحه في الشكل التالي: [٦٣٥]

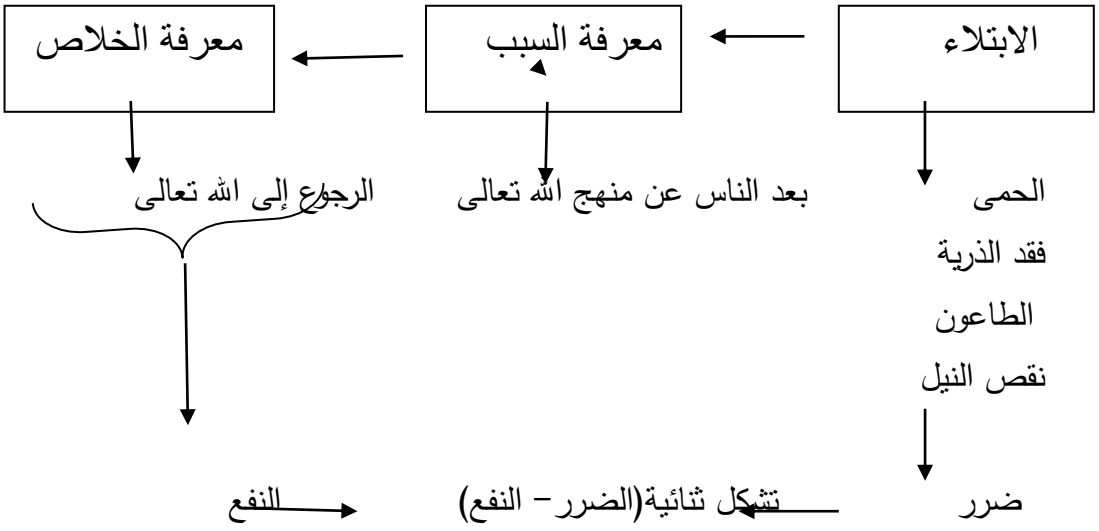

([٦٣١]) المقامات:١٧٦.

([٦٣٢]) نفسه:١٦٧-١٦٨.

([٦٣٣]) المقامات:١٦٧.

([٦٣٤]) نفسه :٢١٢.

([٦٣٥])ينظر: الاستراتيجية الحجاجية في مقامات السيوطي:٥٥.

ويأتي المكان ليسهم في تشييد ثنائية (النفع–الضرر) في قلب الشيء الواحد، ويأخذ المكان طابعا إنسانياً، فيكون المكان منظوراً إليه من خلال الإنسان، ولبلوغ هذا القصد، انطلق السيوطي من إثبات القضية بالتواصل بينه وبين القارئ، باعتماد السلم الحجاجي الذي يرجع إليه في استنباط أحكامه المتمثلة في: أدلة نقلية وهي الكتاب، والسُنّة، وقول الصحابي، وأدلة عقلية وهي الإجماع والقياس ،إذ إنه ينشر هذا السلم حتى يمتد إلى آخر المقامة كما في مقامة الحمى، إذ يختمها بقوله:((**ولوفور مغاليها لمغاليها، ووقور معانيها عند معانيها رغب جماعة من السلف فيها، ودعت طائفة من الصحابة بملازمة الحمى لها إلى توفيها**))[٦٣٦].

أما في مقامة الروضة؛ فإنه يذكر السلم إجمالاً في بدايتها على النحو الآتي:((**نطق الكتاب والسُنّة بأن أرض مصر أحسن البقاع وتضافرت على ذلك آثار الصحابة والأتباع، وانعقد عليها الإجماع، وشهد الحسن بأن الروضة منها كمركز الدائرة فهي لها كالقطب والأساس، وقام النظر على أنها أنزه بقعة فيها،فأنتج: أنها أحسن البقاع بما صح فيها من القياس**))[٦٣٧].

وبهذا إنَّ المكان أسهم في تقديم قصدية شخصيات المقامتين التي تتمحور في أن النفع والضرر مثله مثل الخير والشر سُنّة كونية لا تختص بالإنسان وحده، وهذا التصور هو من صلب الواقع (لمكان).

وفي مقامة(**الروضة في والدي خير البرية**) يمكن لنا تبيّن قصديته من خلال النص، إذ لا نملك القدرة على الحكم من دون أدلة يمنحها النص أولاً، فقد مهد السارد للمقامة بمقدمة استدلالية، على الرغم من طولها النسبي، فذكر خصائصه(صلى الله عليه وآله وسلم) يأتي لخدمة المحور العام للنص، وهو نجاة والدي رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) من النار، ولم يدخل مع المعترض في صراع أو رد عليه كما كان مفترضاً، وذلك؛ لأنَّ القصد من الرد على الاعتراض لم يكن لغرض الدخول في علاقة تخاطبية المعترض وإبطال اعتراضه؛ لأنها انقطعت، لعدم توافر الجانب التعاملي فيها، يقول في ذلك:((**ولقد وصل إليّ عن أهل الحديث.. أنه ذكر ما قلته فصاح... وقال فحثا وهجر،... ولو أنه اقتصر على ذكر المنقول من غير سفه لم يكن عليه من باس،{ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ} الشورى٤٢أفرح بالعلّو،... أم إعظاما لنفسه واستكباراً، واحتقاراً لغيره واستصغاراً؟**))[٦٣٨]، وكان قصد السارد ليس الدفاع عن الذات ورد الاعتراض كما تبيين، و أنما الدفاع عن السُنّة وتبين الحقيقة للقارئ، يقول:((**أنما الدفاع عن السُنّة الشريفة المصطفوية الطاهرة... ورجوت بها الفوز بجنات النعيم**))[٦٣٩].

وهذا القصد أثمر عنده مسؤوليته التهذيبية، أولاً تجاه الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)وثانياً تجاه القارئ؛ لأن الحديث عن رسول الله تضبطه آداب، واختراقها يحبط أعمال الشخص يقول الله تعالى﴿**يا أيها الذين أمنوا لا**

([٦٣٦])المقامات:١٥٩.

([٦٣٧])المقامات:١٨٢.

([٦٣٨]) نفسه :٢٥٨–٢٥٩.

([٦٣٩]) نفسه : ٢٧١.

ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أنْ تحبطَ أعمالُكُم وأنتم لا تشعرون ﴾(الحجرات:٢)، وهو بيّن في قول السيوطي:((**أم أنكر عليّ السكوت عن القول الآخر،... فلأن العلماء أرشدوا في مثل هذا إلى الصمت، وعدوه من حسن الأدب والهدى والسّمت**))[٦٤٠]،أما مسؤوليته التهذيبية تجاه القارئ؛ فتظهر من خلال قوله:((**لأنّ السائل عن ذلك ممن يقرأ المعاد،... ويحضر عليه النساء والعوام، ومن هم بعيدو الإفهام، ومن هم حديثو عهد بالإسلام، فأكون سبباً في وصول ذلك إلى أسماعهم....**))[٦٤١].

واستعمل مختلف المسالك والوسائل، ووازن بينها؛ لتحقيق مقاصده، واختاره أفضلها تحقيقاً لهذه المقاصد، التي منها وظيفته التبليغية التي تحددت، فلم يرَ حاجة إلى ذكر الأدلة القائلة بعدم النجاة التي بينّها في قوله:((**أصل من أصول الدين يخشى السكوت عنه ضياع أو زلل، أم عبادة فيحصل بالصمت عنه فساد فيها أو خلل؟...كلا بل الأدب مطلوب ... والصمت عن كثير من الأشياء واجب أو مندوب**))[٦٤٢].

لقد اتضح أن قاعدة القصد تأخذ العمل من الجانب التهذيبي، سوى من جانب المتكلم أو المخاطب، وبذلك تكون متميزة من مبدأ التأدب قال تعالى﴿**ليميز الله الخبيث من الطيب**﴾**(الانفال:٣٧)**، الذي أسقط عنصر العمل الحي منه بموجب نزعته التجريدية.

ومن أنموذج العلاقة الحوارية يتضح أنّها تتفرع من الجانب التعاملي، وتُوصل المستوى التبليغي بالمستوى التهذيبيّ للمخاطب، ثم أنها تأخذ بعنصر العمل فيه.

وفي ختام المقامة فإن المعترض يدعو إلى أنّ المقصود بقوله تعالى:﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ**﴾**البقرة:١١٩**، هما والدا رسول الله ،وأبطل السارد قصد المعترض تدرج من الشواهد النقلية في قوله((**فإن احتج في التعذيب بضعيف، فأحاديث النجاة مع كونها أمثل منه أولى بالقبول**))[٦٤٣]،إلى الشواهد العقلية التي تفرعت إلى نصية ومقامية ومنطقية أما الشواهد النصية فقد رجع فيها إلى المعنى المعجمي لكلمة(**الجحيم**)،إذ إنه قال:((**أخرج ابن أبي حاتم عن أبي مالك**[*] **أحد التابعين الأبرار في قوله تعالى﴿أصحاب الجحيم ﴾(البقرة:١١٩)، قال الجحيم: ما عظم من النار،... فاللائق بهذه المنزلة**

([٦٤٠]) نفسه :٢٦٣.

([٦٤١]) نفسه:٢٦٣.

([٦٤٢]) المقامات:٢٦٣-٢٦٤.

([٦٤٣]) نفسه:٢٦٤.

من عظم كفره، واشتد وزره، وعاند عن علم ويقين،...ولا يليق ذلك بأهل فترة لا علم عندهم ولا كتاب ولا عناد....))[٦٤٤].

ومن الشواهد أيضا تحديده ما يحيل إليه(**أصحاب الجحيم**) في النصّ في قوله:((**ذلك أن الآيات من قبل ومن بعد كلها في أهل الكتاب، ومن قوله: ﴿يَا بَنِي إِسْرائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ التي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾(البقرة: ٤٠)،أولاً إلى قوله:﴿ يَا بَنِي إِسْرائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ التي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾(البقرة: ١٢٢)المتلوة بقوله: ﴿وَ إِذ ابْتَلَى﴾ (البقرة:(١٢٤)، ولهذا ختمت القصة بمثل ما صدرت، وكرر نداء بني إسرائيل إيذانا بالختم لطولها حين تقررت، فدلّ أن المراد بأصحاب الجحيم كفار أهل الكتاب، الحائدون عن الإنابة والمثاب))**[٦٤٥].

وأما الشواهد المنطقية التي وردت؛ فكانت لأبطال دعوى أن والدي رسول الله ليسا من أهل فترة، لتقدم دعوة عيسى (عليه السلام)، فأثبت منطقياً أن هذه الدعوى تستلزم غيرها، ولتقدم دعوة عيسى(عليه السلام) يمنع أن يكونا من أهل الفترة:((**أن لا يوجد في الدنيا أهل فترة في زمان محرر، فإن لأنبياء قبل عيسى مبعوثون في العالم، وما من فترة متقدمة إلا وقبلها نبي إلى آدم، وليس قبل آدم بشر يتعلق بهم أحكام... فإن اعتبرنا تقدم بعثة ما...، استحالت أحاديث أهل الفترة، إذ لم يوجد بهذا الوصف قوم يحكم بها عليهم))**[٦٤٦] .

ومما تقدم يتضح أنّ السيوطي من المتمرسين على أساليب المناظرة من تنويعه في أساليب الاستدلال، وأنّه متمرس في تأويل النصوص القرآنية، واعتماده المعنى الحرفي والسياق الخارجي والنصي في تحديد ذلك، والقصدية اتضحت من داخل النص عبر التلميح غير المباشر من الاستعارات والكنايات، والتصريح المباشر عبر الأساليب الخبرية، والإنشائية(الاستفهام، والأمر).

([٦٤٤]) نفسه:٢٦٥.

([٦٤٥]) المقامات:٢٦٤.

(*) أبو مالك: حبيب بن صهبان، وكان ثقة معروفاً قليل الحديث، ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ١٦٦/٦، وطبقت الحفاظ:١٢٠.

([٦٤٦]) المقامات:٢٦٧.

ثانياً: المقبولية

توطئة:

تعد المقبولية معياراً مهماً للكشف عن أهمية النصوص وقيمتها، فإذا كانت المقصدية ترتبط بالمتكلم، فإنّ المقبولية ترتبط بالسامع الذي تتعدد وتختلف قراءته باختلاف مرجعياته الثقافية، والاجتماعية، والنفسية، ولأهمية هذا العنصر أولاه الجرجاني عناية وربطه بالنظم وبأحكام النحو فقابله بمصطلحات متعددة منها((الاستحسان، الأريحية))، وكما ورد المصطلح في قوله:((واعلم أنّه لا يصادف القول في هذا الباب موقفاً من السامع، ولا يجد لديه قبولاً حتى يكون من أهل الذوق والمعرفة))[٦٤٧].

أما المصطلحات الأخرى، فقد وردت في قوله:((فاعمد إلى ما تواصفوه بالحسن، وتشاهدوا له بالفضل ثم جعلوه كذلك من أجل النظم خصوصا دون غيره مما يستحسن له الشعر أو غير الشعر من معنى لطيف، أو حكمة، أو أدب، أو استعارة، أو تجنيس، أو غير ذلك مما لا يدخل في النظم وتأمّله، فإذا رأيتك قد ارتحت، و اهتزت واستحسنت فانظر إلى حركات الأريحية مما كانت وعند ماذا ظهرت؟))[٦٤٨].

والكلام إذا روعي فيه معاني النحو جاء مقبولاً من السامع، وقبوله للنص لا يكون إلّا بعد أن يستعين بفكره ويتدبر فيه، إذ يقول الجرجاني حسنُ المزية الذي يجعل النص مقبولاً لدى السامع:((أنّها من حيز المعاني دون الألفاظ، وأنّها ليست لك حين تسمع بأذنك، بل حين تنظر بقلبك، وتستعين بفكرك، وتعمل رؤيتك، وتراجع عقلك وتستنجد في الجملة فهمك))[٦٤٩]، وعليه يجب توفر شرطين أساسيين ليكون النص مقبولاً :**أحدهما**: مراعاة معاني النحو في نظمه، **والآخر**: مراعاة مقتضى الحال.

وتعد عملية إنتاج النصوص عملية تواصل، وتوجد عناصر لا يمكن الاستغناء عنها في تمثيل هذه العملية وهي توافر القصدية من المُرسِل، و المقبوليّة من المتلقي(السامع)، لذلك تُعدّ كل من القصدية والمقبولية من المعايير التي تتحقق بها صفة النصّية من منظور الجانب الاتصالي في تحليل الخطاب[٦٥٠].

ويتعلق هذا المعيار بموقف المستقبل من النصّ[٦٥١]،قال دي بوجراند(Debeaugrande):((هو يتضمن موقف مستقبل النصّ إزاء كون صورة ما من صور اللغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نصّ ذو سبك والتحام))[٦٥٢]،ولهذا المعيار بعدٌ ووجهات ثقافية واجتماعية، ويتصل بتحديد موقف المتلقي من الكلام، ومدى

([٦٤٧]) دلائل الإعجاز:١٩٥.

([٦٤٨]) نفسه:٧٢.

([٦٤٩]) نفسه:٥٩.

([٦٥٠]) ينظر: علم لغة النصّ النظّرية والتطبيق:٢٨.

([٦٥١])ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق(دراسة تطبيقية على السور المكية):٣٣/١.

([٦٥٢]) النص والخطاب والأجراء:١٠٤.

تقبله لسلسلة الأحداث الكلامية على أنّها نصّ قابل للوصف بالسبك والحبك، وأن له نوعاً من الجدوى عند المتلقي،كأن يكتسب معرفة،أو يتبنى موقفاً،أو يسهم باستجابة لإنجاز خطة موضوعية[٦٥٣].

وينظر علماء النص إلى معنى أوسع لهذا المعيار أيضاً بأنه((رغبة نشطة للمشاركة في الخطاب ومشاطرة الهدف، وبهذا يكون القبول حدثاً قائماً بذاته، وهو يتضمن الدخول في التفاعل الخطابي مع كلّ ما ينطوي عليه ذلك من نتائج))[٦٥٤]،وهذا يعني أنها تعتمد التفاعل بين قصد المنتجين، ورغبة المتلقين في المعرفة وصياغة مفاهيم مشتركة، والمتلقي طبقاً لهذا الرأي شريك ليس في النص حسب، بل بمعناه، وأهميته، وقيمته[٦٥٥]، ويذهب محمد عزام إلى تعريف المقبولية ويلخصه بالاستجابة والقبول[٦٥٦].

ويعتمد قبول النص من عدمهِ مجموعة من العوامل[٦٥٧]، هي:

١-تعتمد نسبة قبول النص مقدمات سياقية تعين المتلقي على الفهم والتأويل[٦٥٨].

٢-معرفة المتلقي لقصد المنتج، أي أدلة النص العامة أو البنية الكبرى التي تعدُّ مؤثراً حقيقياً في تقبل النصّ[٦٥٩].

٣-معرفة المتلقي بالمتكلم وبنوع النص يساعده على التركيز والانتباه؛ لأنَّ كلَّ نوع من أنواع النصوص قرّاؤُهُ الذين لهم طبيعة خاصة في قراءتهم، وفي رد فعلهم بعد القراءة[٦٦٠].

٤-ويعتمد قبول النص على الخلفيات الفكرية والأيديولوجية التي يتمتع بها المتلقي[٦٦١]

٥-العوامل النفسية لها أثر في قبول النص؛ لأن الحالة النفسية للمتلقي تؤثر في حالته الذهنية[٦٦٢].

وثمة أمر مهم يتعلق بفقدان النصّ للاتساق والانسجام هل يؤدي إلى فقدان المقبولية، وتضمن هذا الأمر وجهتي نظر، **أحدهما: لـ** فان دايك الذي حدد قواعد البنية الكبرى في النصّ، وهي الحذف، والاختبار والتعميم، والبناء، ومع هذه القواعد يكون القبول مرتبطاً بكون النص متسقاً منسجماً، واعتياد القارئ على الأعراف البلاغية اللغوية والثقافية التي يُنتج بها النصّ ووضوحها له يُسهم في سرعة تقبله للنصّ؛ لأن عملية القراءة هي تفاعل بين النص والخلفية المعرفية للقارئ حول البنية العامة للنصوص[٦٦٣]،**والثانية :لـ** جريمس إذ يؤكد أن معرفة

([٦٥٣])ينظر: في اللسانيات العربية المعاصرة:٢٥٠،ومدخل إلى علم لغة النص:٣١.

([٦٥٤])مدخل إلى علم لغة النصّ:١٧٨،وينظر:نظرية علم النصّ رؤية منهجية في بناء النص النثري:٥٢.

([٦٥٥]) ينظر: المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك:٣٢٢-٣٢٣.

([٦٥٦]) ينظر: النص الغائب:٤٩.

([٦٥٧])ينظر :نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري:٥٥-٥٦.

([٦٥٨]) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب:٢٩٧.

([٦٥٩]) ينظر: نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري:٥٥.

([٦٦٠])ينظر: النص والسلطة والحقيقة:١١٢.

([٦٦١]) ينظر: نفسه:١١٢.

([٦٦٢]) ينظر: علم لغة النص مدخل متداخل الاختصاصات:٢٥٨.

([٦٦٣])ينظر: نظريّة علم النصّ رؤية منهجيّة في بناء النصّ النثريّ : ٥٣ .

المتكلم أو السامع بلغته، تتضمن قدرته على تفسير السمات التي تشير إلى الانحرافات اللغوية وإزالة الغموض، فالقارئ يكون على علم بالانحرافات اللغوية وقادر على تفسيرها؛ لأن عدداً من تلك الانحرافات يسهم في تحقيق معيار "الإعلامية" في النص ومن ثم يؤدي إلى تقبله، وبهذا يتضح بأن احتواء النص على انتهاك الأعراف اللغوية(الاتساق)، أو على خلل في الربط المعنوي(الانسجام)، لا يؤدي إلى فقدان النص إلى مقبوليتِهِ مادام الانتهاك أو الخلل يقع في نطاق قصدية منتج النصّ التي تتجه إلى إحداث هدف معين[٦٦٤].

ويذهب بعض من علماء النص إلى أن هذا المعيار متوقف على الاتساق والانسجام مما يؤدي إلى قبول النص لغوياً، وأي خلل في هذين العنصرين يجعل قبول النص ليس إيجابياً، فقد يؤدي إلى تصورات خاطئة وإن كان هذا لا يتعارض مع النصوص اللغوية عالية المستوى إذ تكمن قيمتها البلاغية في الكشف عن المعاني الإضافية وراء الصياغات اللغوية[٦٦٥].

وللقارئ أثر مهم ومكانة عالية في النص ؛لأنه هو المبدع المُشارك للنص نفسه، بل لمعناه وأهميته[٦٦٦]،ويتوقف النص على ثقافة المتلقي فكلما كان مثقفاً استطاع فك شفرات النص واستخراج الأفكار والمبادئ وجمالياته، كما يكمن في ملء الفراغ الكامن بين عناصر النص لاسيما ما يتصل بحذف العديد من العناصر[٦٦٧].

وعملية القراءة هي إعادة بناء النص حسب تصور القارئ؛ لأن النص يبعث ويحيا بالقراءة من جديد، وبأشكالٍ جديدةٍ، ويصبح القارئ مؤلفاً كما كان المؤلف قارئاً[٦٦٨].

وهناك مجموعة من قراءات للنص لا قراءة واحدة يشترطها المعنيين بنظرية القراءة والتلقي، لكي يستطيع القارئ الوصول إلى قصد المتكلم وتحقيق المقبولية عنده، فلذلك ميّزوا بين ثلاثة أنواع من القراءة[٦٦٩]، وهي[٦٧٠]:

<u>النوع الأوّل: القراءة الإسقاطية</u>: وهي لا تركز في النص، وتسمى القراءة التقليديّة، وتتجه نحو المؤلف أو المجتمع، وتعامل النصّ كأنه وثيقة لإثبات قضيّة شخصيّة أو اجتماعيّة أو تاريخيّة.

<u>النوع الثاني: قراءة الشرح</u>: وهي التي تلتزم بالنص وتأخذ منه ظاهر معناه فقط، والشرح يكون بوضع كلمات بديلة للمعاني نفسها.

---

(٦٦٤) ينظر: نفسه:٥٣، وأصول المعايير النصّيّة في التراث النقديّ والبلاغيّ عند العرب(رسالة ماجستير): ٦٤ .

(٦٦٥)ينظر: الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن:١٥٨.

(٦٦٦) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق:٣٥.

(٦٦٧)ينظر: اجتهادات لغويّة:٣٧٩.

(٦٦٨) ينظر: نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري:٥٥.

(٦٦٩)ينظر :سورة البقرة دراسة في ضوء علم لغة النصّ(رسالة ماجستير):٤٣.

(٦٧٠) ينظر : الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية:٧٧- ٧٨.

النوع الثالث: القراءة الشاعريّة: وهي القراءة التي تتم بواسطة شفرة النصّ في ضوء السياق الفني، وإن هذه القراءة تسعى إلى كشف ما هو في باطن النصّ وتقرأ أبعد مما هو في اللفظ الحاضر.

فالقارئ هو المركز الذي تجتمع فيه الثقافات التي يحملها النصّ؛ لأن النصّ يتكون من كتابات مركبة من عدّة ثقافات، والمكان هو القارئ التي تتمركز فيه تلك التعدديّة[٦٧١].

فالمتلقي أصبح ركناً أساسياً من أركان التحليل النصّيّ، فهو القراءة الثانية للنصّ، ولهذا لم يغفل علماء اللغة هذا الأثر للمتلقي، فالنصّ يُعدُّ حواراً بين منتج النصّ، والنصّ، والمتلقي[٦٧٢]؛ولهذا اعتنت نظرية التلقي بعنصر المتلقي، فهو له النصيب الأكبر من النصّ وإنتاجه، وتداوله، وتحديد معانيه[٦٧٣].

المقبولية في المقامات:

إنّ المتأمل في مقامات السيوطي يلحظ أنّه الشكل المقاميّ الذي آثره السيوطي هو شكل المقامة مقالة النقد ،فجاءت أكثر مقاماته على هذا الشكل، إذ إنّه اتّبع المقاميين الذين اتخذوا هذا الشكل خطة المقالة التي تقوم على عرض وتقديم وخاتمة، وهو بذلك يقصد توضيح رأي خاص في قضية أدبية أو اجتماعية أو ذاتية، وقد تصف رحلة لكاتبها[٦٧٤]،((وإنَّ المقامة في إطارها اللغويّ تمثّلت في حديث يُلقى على جماعة من الناس إمّا لغرض النصح والإرشاد، وإمّا لغرض الثقافة العامة أو التسول، ومع كلّ هذا؛ فإنها لم تلتزم شكلاً فنيّاً محدداً وكلّ ما يميزها هو أنّها حديث ذو نزعة وعظيّة أو ثقافيّة، يلقى على جماعة من الناس))[٦٧٥]،وهذا القول يقرّب لنا مقامات السيوطي، ويجعلها تتمتع بالقبول لدى القرّاء، ويجعلها من هذا النوع.

وأشار بعض الدارسين إلى شهرة مقاماته وأهميتها:((وربما كانت مقامات السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ أشهر المقامات التي صنفت في العصور المتوسطة المتأخرة))[٦٧٦]، ويقول محمود رزق سليم في حديثه عن مقامات السيوطي:((ومقاماته طريفة الموضوع نعتقد أنه لم يكتبها إلا بعد تفكير وروية وبعد رغبة مبيتة في ابتداع موضوعاتها بما لم يحم حوله سابق))[٦٧٧]،ويضيف أحمد الشرقاوي إقبال بقوله:((المقامات السيوطية خاملة على جلالتها ونفاستها، منسية على ما فيها من الفائدة والإمتاع))[٦٧٨].

([٦٧١])ينظر: المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك:٣٢٣.

([٦٧٢]) ينظر: علم اللغة النصّيّ بين النظريّة والتطبيق دراسة تطبيقيّة على السور المكيّة:١٦/١.

([٦٧٣]) ينظر معجم السيميائيات:١٧٠.

([٦٧٤])ينظر: الأدب العربي في الأندلس:٤٨٢،وفن المقامات بين المشرق والمغرب:٢٧٦.

([٦٧٥]) فن المقامات بين المشرق والمغرب:٨.

([٦٧٦]) ينظر:بديعيات الزمان لفكتور ألكك:١٢٤،وفن القصة والمقامة لجميل سلطان:١١٦.

([٦٧٧]) عصر سلاطين المماليك:٤٢٧/٥.

([٦٧٨]) مكتبة السيوطي:٣٢٧.

ولأن بعض كتّاب المقامات رأوا في المقامة حلاً لأزمة الشكل الأدبي في باب المقالة؛ لأنهم لم يعرفوا المقالة بمفهومها عند المتأخرين، ولذلك كتبوا كثيراً من المقالات على أنها مقامات ومفهومها المقامة في مثل هذه الحال أنها أحاديث أدبية وليست مقامات فنية بحسب الاصطلاح[٦٧٩]،ومن مقامات السيوطي بهذا اللون مقامة الحمى[٦٨٠]،وفي رأيه أن الله انزل الحمى في أول الأمر؛ ليذل بها الأسد، ثم جعلها سجناً في الأرض لتصلح من بدن المؤمن ما فسد، وقد أجمل شيئاً من فضلها منه في قوله:((**أتاني جبريل بالحمى والطاعون فا مسكت الحمى بالمدينة وأرسلت الطاعون بالشام**))[٦٨١]،وهناك بعض من مقاماته أخذت طابع المناظرة كما في المقامة الوردية، إذ أنها تعرض على مائدة المقامات العربية ألوانا جديدة لم نعهد مثلها عند من سبق السيوطي من المقاميين.

ووصفها محمد رشيد حسن بأنها:((دائرة معارف دينية ودنيوية يبحث فيها عن كل ما يعن بخاطره عبرة للإنسان))[٦٨٢]، وبهذا القول وصف مصطفى الشكعة السيوطي بأنه:((أثرى المكتبة الأدبية العربية بعدد من المقامات الرشيقة الأسلوب المتنوعة الموضوعات المتعددة الألوان))[٦٨٣].

ولم تكن هناك فواصل كبيرة بين المقامات في موضوعاتها، فبعضها تناولت أكثر من هدف و موضوع، إذ إنّ موضوعات النحو واللغة هي أول الموضوعات التي طرقها في مقاماته كما في المقامة الجيزية والمصرية، وليس السيوطي أول من تناول هذه الموضوعات بل سبقه إليها الحريري والهمذاني وغيرهم، وقد ذكر عبد الملك مرتاض أن السيوطي لم يتناول هذه الموضوعات إذ يقول عن مقامات السيوطي:((إنها لم تعن بالموضوعات اللغوية ولا الأدبية))[٦٨٤]، ولم يعالج السيوطي في جميع مقاماته البطل والراوي، فقد عالجها في أربع مقامات هي(الأسيوطية والمكية والمصرية والجيزية)، وبهذه المقامات قد قلّد فيها الحريري شكلاً ومضموناً، ولكن صورة البطل مغايرة لما عند الحريري، إذ كان يستعمل الكفاءة اللغوية للكدية ونيل العطايا، كما يفعل الحارث بن همام سارد مقامات الحريري، إننا في مقامات السيوطي أمام بطل سخّر الكتابة للحفاظ على المنهج السنّيّ، وإيصاله إلى أكبر عدد من الذّوات، فبطل مقامات السيوطي إذن أجل وأرفع من بطل الحريري، وراوية مقاماته قريب الشبه من راوية مقامات الحريري والفرق بينهما أن راوية مقامات الحريري يجدّ في البحث عن المال في حين أن راوية السيوطي في مقاماته يبحث عن الفوائد العلمية.

([٦٧٩]) ينظر: فن المقامات بين المشرق والمغرب:٢٣٨.

([٦٨٠]) ينظر: المقامات:١٥١.

([٦٨١]) نفسه :١٥٣.

([٦٨٢]) أثر المقامات في نشأة القصة المصرية الحديثة:٣٧.

([٦٨٣]) جلال الدين السيوطي: مسيرته العلمية ومباحثه اللغوية: ب.

([٦٨٤]) فن المقامات في الأدب العربي:٢٥٨.

فقد ظن محمد رشيد حسن عدم ظهور البطل والراوي في مقامات السيوطي في جميعها دليل على عجز السيوطي من مجاراة أصحاب المقامات السابقين، يقول:((وحينما اختار السيوطي بطلاً وراوية لم يستطع أن يجاري في هذا الفن من سبقه من المقاميين، والدليل على ذلك أنه لم يجعل شخصيتي البطل والراوية مطردتين في كل مقاماته))[٦٨٥]، ويتضح أن هذا القول فيه نظر؛ لأن عالماً مثل السيوطي متبحر في اللغة وبعلوم النحو تجعله قادراً على مجاراة أكبر المقاميين.

أما فكرة الكدية على خلاف من مقامات الهمذاني والحريري؛ فقد اختفت في مقامات السيوطي؛ لأنه لم يرغب في تناولها في مقاماته فهي ظاهرة لم تعد مثيرة في عصره، إذ أصبحت من الظواهر المألوفة، إذ إنّ المقريزي قسم سكان المجتمع العربي في عصر السيوطي على أقسام، وجعل السابع منها: أهل "الخصاصة والمسكنة"[٦٨٦]،وأورد سعيد عبد الفتاح عاشور على ملاحظة بعض الرحالة الأجانب الذين زاروا مصر في عصر المماليك((أنّ بالقاهرة عدداً كبيراً من العوام بلا مأوى في النهار والليل سوى الطرقات، يهيمون فيها وأجسادهم شبه عارية...، ودهش "برنارد دي بريد نباخ" لكثرة عدد الشحاذين بالقاهرة، وقال أحاطوا به من كل جانب طالبين الإحسان))[٦٨٧]، ومما تقدم يتضح لنا السبب الذي أدى بالسيوطي لعدم تناول موضوع الكدية في مقاماته؛ لأنها كانت ظاهرة مألوفة، وكانت تتخذ حيزاً ظاهراً في المجتمع العربي في ذلك العصر، على خلاف ما صرح به محمد رشيد حسن، إذ يقول:((وكذلك مقامات السيوطي لم نجد الكدية واضحة على الإطلاق؛ لأنها لم تكن تأخذ حيزاً ظاهراً في المجتمع العربي حينئذ...))[٦٨٨].

وكانت أسماء مقاماته تختلف عن تسمية من سبقه من المقاميين، إذ إن بعض مقاماته تحمل أسماء الأزهار، والمعان، والعطور، والفواكه مثل((مقامة الرياحين، والمقامة الياقوتية ،والمقامة المسكية، والمقامة الفستقية))،وأعطى بعضها الآخر أسماء جميلة مثل ((المقامة اللازوردية، المقامة الزمردية، والمقامة الذهبية))،وهو يستمد بعض هذه التسميات من بيئته، وهذا ما يجعل القارئ متشوقاً، لمعرفة مضمونها، وتقبلها لما فيها من منافع وأمور اجتماعية، صّورها السيوطي في المقامات، وتفوق على جميع من سبقه من المقاميين بوضوح صورة المجتمع في عصره، ومع أن الخيال قد جنح به في ((المقامة المسكية، ومقامة الرياحين ،والمقامة الياقوتية)) فإن الخيال في المقامات مستمد من الواقع والقرائن الواردة فيها تؤيد ذلك، و نذكر بعض المظاهر

([٦٨٥]) أثر المقامات في نشأة القصة المصرية الحديثة:٥٦.

([٦٨٦]) ينظر: إغاثة الأمة:٧٥.

([٦٨٧]) المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك:٣٨.

([٦٨٨]) أثر المقامات في نشأة القصة المصرية الحديثة:٤٣.

الاجتماعية على سبيل المثال لا الحصر في ((المقامة البحرية))تناول فيها موضوع الرخاء والغلاء[٦٨٩]،إذ نقص النيل في سنة(٨٩٧هـ) فكان حال الناس على قوله:((**وأصبحوا في أمرهم حيارى وانهمك على شراء القمح المسلمون واليهود والنصارى، وترى الناس سكارى، كأنما قامت عليهم القيامة، أو سقطت عليهم الغمامة، وكل من ورد في البحر أو صدر يقول في الشوارع:يا الله السلامة، وعاد بعض الناس على بعض بالملامة، وعض المتأخر عن شراء القوت على يديه من الندامة...**))[٦٩٠].

ووصف لنا أهل عصره عندما تفشى وباء الطاعون فيهم سنة (٨٩٧هـ-٨٩٨هـ) في مصر والشام وعجزوا عن علاجه في((المقامة الدرية)،إذ يقول:((**وأكثر ناس من أشياء لا تغنيهم، وأمور لا تغنيهم، من ذلك استعمال مأكولات قوابض، ومجففات وحوامض، وتعليق فصوص، لها في كتب الطب نصوص، وهذا باب قد أعيا الأطباء، واعترف بالعجز عن مداواته الألباء، وناس رتبوا أدعية لم يرد بها حديث ولا أثر، وابتدعوا أذكاراً من عند نفسهم ونسوا أين المفر...**))[٦٩١]

وقد كتب السيوطي مقاماته بحسب الأسلوب البديعي الذي يكثر فيه من المحسنات اللفظية والمعنوية، وهذا الأسلوب البديعي هو الخيط المتصل الذي يجمع المقامات العربية، فهو الإطار العام لكل المقاميين في كل العصور، وأهم أنواع البديع التي ظهرت في مقاماته هي((السجع، والاقتباس، والتورية، والجناس...))، فقد أشار عبد الأمير مهدي الطائيّ إلى أن ليس كلّ سجع مقامة، ولو كان كذلك لكان الكهّان وكتّاب السجع من المقامات، ولكانت المقامات من فنون الجاهليّة[٦٩٢]،وبهذا قد استعمل المقامة بشروطها الفنيّة.

وإكثار السيوطي من التوجيه بمصطلحات العلوم يعود إلى استظهار الكثير من المتون، وسعة معجمه من الألفاظ الاصطلاحية، ويقصد بالتوجيه:((أن يوجه المتكلم بعض كلامه أو جملته إلى أسماء متلائمة اصطلاحاً من أسماء الأعلام، أو قواعد علوم، أو غير ذلك مما يتشعب له من الفنون توجيهاً مطابقاً لمعنى اللفظ الثاني...))[٦٩٣]، وتوجيه اللغة الأدبية بمصطلحات العلوم وألفاظ أرباب الحرف عرف من عصر الجاحظ[٦٩٤]، واستعمل كثير من الكتاب والشعراء مصطلحات العلوم في رسائلهم ومقاماتهم على الرغم من دعوة بعض النقاد إلى الابتعاد عن مصطلحات العلوم في الكتابة الأدبية؛ لأنها تفسد الملكات[٦٩٥].

([٦٨٩]) ينظر:المقامات:١٦١.

([٦٩٠]) المقامات :١٦٥.

([٦٩١]) نفسه:١٩٨.

([٦٩٢]) ينظر: المقامة أصالة وفناً وتراثاً:٨٣.

([٦٩٣]) خزانة الأدب:١٣٦.

([٦٩٤]) ينظر: ذيل زهرة الأدب أو جمع الجواهر في الملح والنوادر:١١٦، ١٢٣.

([٦٩٥])ينظر: أدب الكاتب لابن قتيبة:٤،ومنهاج البلغاء لحازم القرطاجني:٢٥،ورسائل أبي العلاء المعري:٨٨/١ -٩٨.

إذ نرى السيوطي يتكلم على لسان: المقرئ والمفسر والمحدّث والفقيه والأصولي والجدلي والنحوي وصاحب التصريف وصاحب المعاني وصاحب البيان وصاحب البديع، وصاحب العروض وصاحب المنطق والصوفي[٦٩٦]، وعندما ذكر السيوطي هؤلاء العلماء بمصطلحات فنونهم، فإنه يجعلنا نقف وقفة إعجاب أمام هذا المعجم اللغويّ الهائل الذي اتكأ عليه في مقاماته.

وقد أجاد في استهلال مقاماته، وكثير من ابتداءاته جاءت آيات قرآنية ذات صلة قوية بموضوعات مقاماته، فهو يستهل((المقامة الدّريّة في الطاعون والوباء))[٦٩٧]، بقوله تعالى:﴿**كل من عليها فان ٢٦ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ٢٧**﴾(**الرحمن:٢٦/٢٧**)والقارئ لهذا الاستهلال يدرك أنه يقصد بذلك الموت وأنه كتابٌ على البشرية جمعاء والباقي هو وجه الله سبحانه وتعالى، ويقصد بالاستهلال((أن يأتي الناظم أو الناثر في ابتداء كلامه ببينة أو قرينة تدل على مراده في القصيدة أو الرسالة...))[٦٩٨]، واختياره هذه الطريقة دليل على أنه واع بأهميتها وفاعليتها في اجتذاب القارئ والتأثر فيه والقبول لديه، إذ أنه يضعه ويضع أحواله النفسية موضع الاعتبار الكامل فبدء المقامة بآية تُحدث أثراً في نفس المتلقي، ولكي يبدأ التواصل بينه وبين القارئ؛ لأنه كتبها وهو يبني في ذهنه صورة القارئ الذي يسري عليه مفعول القرآن الكريم مهما تكن جنسيته أو عقيدته، ونعرف مدى تأثير القرآن الكريم في النفس البشرية منذ اللحظة الأولى لنزوله، سواء من شرح الله صدره للإسلام، أم من عارض وجعل الله على قلبه غشاوة، يقول سيد قطب:((وإذا تجاوزنا النفر القليل الذين كانت شخصية محمد (صلى الله عليه وسلم) وحدها هي داعيتهم إلى الإيمان أول الأمر... فإننا نجد القرآن كان العامل الحاسم أو أحد العوامل الحاسمة في إيمان من آمنوا أوائل الدعوة،... تكشف في السحر القرآني الذي أخذ العرب منذ اللحظة الأولى...يستوي في الإقرار به المؤمنون والكافرون))[٦٩٩].

ويبدو أن السيوطي كان موفقاً في اختيار مقدمته، إذ إنه يندمج في مشاكلات الحياة الاجتماعية التي تمس أحاسيس النفس البشرية، ولهذا الاستهلال أثر مهم في طمأنينة النفس والأحاسيس بالقرب من الخالق، ويرفع معنوياتهم بما يكفي لتقبل الموضوع المطروح من القارئ والمتلقي، وأنّه استدلال إلى قول لا يحتمل إلاّ الصدق، يمكنه من طرح مقبوليته منذ البداية.

([٦٩٦]) ينظر: المقامات(المقامة البحرية):١٦٦-١٧٦،والمقامة الدّريّة:٢٠١-٢٠٩.

([٦٩٧])ينظر: المقامة الدّريّة في الطاعون والوباء:١٩٤،والمقامة الذهبية:١٥١،والمقامة البحرية:١٦١،ومقامة الروضة في روضة مصر:١٨١،والمقامة اللّازُوَرْدِيّة:٢٩٧،ومقامة الروضة في وَالِدي خير البرية:٢٣٩.

([٦٩٨]) حسن التوسل:٢٥٠.

(٦٩٩)التصوير الفني في القرآن :١١.

ولم يكن مبتدعاً هذه البراعة بل تميز كثير من المقامات التي اتخذت طابع المقالة ببراعة الاستهلال، كمقامات ابن الوردي(ت٧٤٩هـ)، ومقامة الصفدي(ت٧٦٤هـ)، والقلقشندي(ت٨٢١هـ)[٧٠٠]،وهذا الاستهلال شبيه ببعض المقدمات للمقالات، وهناك ابتداءات أخر غير الآيات القرآنية كما في ((المقامة المسكية، و الياقوتية، والفستقية))،واتبع السيوطي في كتاباته أسلوبين: الأسلوب العلمي: وطابعه السهولة وعدم التكلف، وهو ما تتسم به أكثر مؤلفات السيوطي، والأسلوب الأدبي: الذي اتخذه في مقاماته، ويلاحظ أنه أراد من هذا الأسلوب استيعاب المعارف العلمية، إذ أنه امتاز بولوج أغلب الفنون بأسلوب المقامات المقيدة بالمحسنات البديعية.

وبهذا يتضح أنه اصطنع لنفسه أسلوباً في مقاماته يجعلنا نميزه من غيره من المقاميين، ويتسم أسلوبه بالوضوح وعدم التعقيد وهذه السمة عبر عنها في بعض مقاماته بوضوح مواقفه وأهدافه، والسمة الثانية الحدة والمرارة، وتظهر حدته ومرارته التي تصل إلى حد اليأس في((المقامة اللؤلؤية)).

وخطة المقالة التي سار عليها في مقاماته أعطتهُ الحرية في تناول الموضوعات المختلفة، إذ أن مقاماته ارتبطت بمناسبات، وهذه المناسبات متجددة غير محدودة، فالسيوطي لم يكن غائباً عن عصره ومجتمعه في مقاماته فجاء بعضها تشخيصاً وعلاجاً لظواهر تفشت في ذلك العصر.

تناول السيوطي في مقاماته النقد السياسي في ثلاث منها وهي:((مقامة الرياحين))و((المقامة المسكية)) و((المقامة الياقوتية))،ولكن السيوطي لم يتناول هذا الموضوع بطريقة مباشرة، بل عمد إلى الطريقة الرمزية، أي هي رموز لأمراء المماليك، وبهذه الطريقة أراد أن يكسب مقاماته رداء من الطرافة والجدة، وهدفه انتقاد النظام السياسي القائم وطَرْحُ بديلٍ له.

وكان هدف السيوطي من مقاماته النقد: نقد الحكم والقضاء والعلماء والعامة المتصوفة، وهدف أيضاً إلى تصوير عصره وبيئته والى الإصلاح الاجتماعي، والطريقة التعليمية التي وجدت في مقامات السيوطي يقول زكي مبارك عنها:((حتى الطريقة التعليمية التي عرفت في مقامات السيوطي وابن الجوزي(ت٥٩٧هـ) والقلقشندي هي أيضاً مما ابتكرها بديع الزمان، والفرق يرجع إلى صورة الثقافات في مختلف العصور، فبديع الزمان صوّر مشكلات عصره والحريري مثل معضلات زمانه، والسيوطي فصل أوهام الناس وعلومهم في أيامه))[٧٠١]، ولا ننكر وجود الطريقة التعليمية قبل السيوطي، لكننا وجدناه يحشد في بعض مقاماته حديثاً وفقهاً و طباً وشعراً، فهو يقوم بالتعليم في إطار الهدف العام لكل مقامة من مقاماته، وفرق آخر هو التوسع في الطريقة التعليمية، ومحاولة الإلمام بالموضوع من مختلف الزوايا.

وكذلك نجد في المقامات أيضا ابتكار عنصر جدي وهو(التشخيص)في فن المقامات الذي أخصب مادته وزادها غنى، وعلى الرغم من معرفة الأدب العربي هذه الفكرة بحد ذاتها، منها إجراء حوار على ألسنة الحيوان

([٧٠٠]) ينظر: عصر سلاطين المماليك:٥/٣٨٠.

([٧٠١]) النثر الفني في القرن الرابع:١/٢٤٧

كما نجده في كليلة ودمنة لعبد الله بن المقفع[٧٠٢]، ويتبين أن هذه الفكرة التي أقام عليها السيوطي الحوار بين الرياحين والزهور، ووصف الخضر والنباتات مبيناً منافعها أدق وأعمق وأجل فكرة عرفتها المقامة العربية؛ لأن هذه المفاخرة وهذا الحوار كان إطاراً للنقد السياسي الذي رمى إليه السيوطي في المقامة[٧٠٣].

ونجد السيوطي في(المقامة اللاّزُوَرْدِيَّة في التعزية عن فقد الذُرية) كان ذكياً في مخاطبة المتلقي، وكان عرضه للموضوع مقبولاً إذ أنه لم يواجه القارئ بحقيقة النفع الذي يجلبه فقد الولد؛ لأن ذلك سيدفع القارئ إلى المعارضة ولأجل هذه الاعتبارات السياقية، مهد لإقناع المخاطب فيما يمكن أن يختلج فؤاده إذ يقول:((**يا له من صدع لا يشعب، وشعب لا يرأب، يوهي القوى،... ويوهي العظم، ويعظم الوهن ويرهن الأغلاق...**))[٧٠٤]،وليجعل موضوع المقامة أكثر مقبولية من قبل القارئ فقد استدل على ذلك بأدلة من القرآن الكريم، فيقدر مرارة الأمر يكون جزاء الصبر فيقول:((**لا جرم أن الله تعالى حث فيه على الصبر الجميل ووعد على ذلك بالأجر الجزيل، قال الله تعالى فيما ثبت من الأحاديث القدسية وصحيح السنة، ما لعبدي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلّا الجنة...**))[٧٠٥]، وليكون الموضوع أكثر مقبولية من قبل القارئ والمتلقي نوّع الأدلة الإقناعية ليخفف من حدة الموضوع وليصل إلى النفع الخفي في فقد الولد،ومع هذا التكثيف تزداد الفائدة وتتضافر المعاني، ومن الأدلة التي اعتمدها هي القصص، والقرآن الكريم قد أتخذ من القصص سبيلاً للإقناع والتأثير والمقبولية لدى القارئ والمتلقي، ومن هذه القصص التي ساقها في المقامة، قصة ذي القرنين وما كتبه لأمه حين حضرته الوفاة مرشداً ومعزياً، ومن القصص التي ذُكرت في مقامة((فقد الذرية)) قصة سليمان عليه السلام ومحاجة الملكين له إذ شبها الولد كالزرع على الطريقة العابرة كالآتي:((**نزل إليه الملكان، وبرزا في صورة أخصام، فقام أحدهما: إني بذرت بذراً لأحصده، فلما اشتد مرّ به هذا فأفسده، فقال الآخر: إنه بذر على الطريق، فأخذت عليه، ففسد المضيق ، فقال سليمان: أما علمت أنّ مأخذ الناس على الريق العابرة؟ فقال: يا سليمان، فَلِمَ تحزن على ابنك وأنت تعلم أنك ميت، وأن سبيل الناس إلى الآخرة...**))[٧٠٦]، وفي هذا الأسلوب استطاع السيوطي أن يجعل النصَّ مقبولاً من قبل القارئ والمتلقي، ويجعلهما أيضاً قريبين من طبيعة الموضوع أوّلاً، وبسبب كثرة الأدلة والقصص الإقناعية ذات الحمولة الدلالية أو الجمالية المنتقاة بعناية ثانياً، إذ أنه يرى أن فقد الولد يجلب لوالديه الأجر العظيم مما يدفع الوالد إلى عقد مقارنة بين الحياتين فيتبيّن له أنّه((**صار إلى ماهو خير له وأحبّ إليه**))[٧٠٧]، وعلى هذا يمكن أن نتوصل إلى النتيجة من فقد الولد وهي

([٧٠٢]) ينظر: فن المقامات في الأدب العربي:٥٠٢-٥٠٣.

([٧٠٣]) ينظر: عصر سلاطين المماليك:٣/٣٨٠-٣٨١، ٥/٤٢٧-٤٢٨.

([٧٠٤]) المقامات:٢١٨.

([٧٠٥]) نفسه :٢١٩.

([٧٠٦])المقامات:٢٢٥-٢٢٦.

([٧٠٧]) نفسه :٢٣٠.

النفع الخفي، وذلك بتنوع الأساليب الاستدلالية التي تخاطب العقل والوجدان معاً مما يمكّنُهُ التوصل إلى النتيجة المرجوة.

والدارس للمقامات العربية يلاحظ أن كثيراً من المقاميين في مختلف العصور قد تعاوروا على موضوع الوصف، فمنهم من جاء عنده عرضاً في السياق، ومنهم من قصد إليه قصداً في مقامات خاصة، ومنهم من جمع بين الحالين، فبديع الزمان الهمذاني أدار ((المقامة الخمرية)) في وصف الخمر،و((المقامة الحمدانية)) في وصف الفرس[٧٠٨]، وعمر ابن الوردي وصلاح الدين الصفدي وصفا في مقامتين الحريق الهائل الذي كاد أن يأتي على مدينة دمشق سنة٧٤٠هـ[٧٠٩]،أما السيوطي فنجده أفرد لموضوع الوصف أربع مقامات هي (المقامة التفاحية، والمقامة الفستقية، والمقامة الزمردية، ومقامة بلبل الروضة)[٧١٠]، فقد وصف في التفاحية: الرمان والأترج والسفرجل والكمثرى والنبق والخوخ، ووصف في المقامة الفستقية: الفستق واللوز والجوز والبندق والشاه بلوط وحب الزلم وحب الصنوبر، ووصف في المقامة الزمردية الخضروات: القرع والهندباء والرجلة والبامية والملوخيا والخبازى، ولم يقتصر في وصفه على المحاسن الظاهرة، بل تعدى إلى بيان منافعها الطبية ومالها من قيمة في العلاج وأورد ما وصفتها به الشعراء، وما قيل فيها من الأحاديث، ويلاحظ أيضاً أن أغلب هذه الموصوفات مما تبين بيئته فهو مرتبط بأرض مصر أشد ارتباط، وهذا ما جعل كل هذه المقامات أكثر قبولاً من قبل القارئ والمتلقي لما فيها من وصف لأمور لا تقتصر على المحاسن فقط .

والمكان في المقامات لم يغب عن الوصف فنجد السيوطي في (مقامة بلبل الروضة)[٧١١]، قد تألق في وصفها، ويبدو أن الدافع النفسي المتوافر لديه هو الذي جعله يسترسل في وصفها منساقاً مع طبعه؛ لأنها المكان الأثير لديه ومحل سكناه لذلك عندما وصفها قدم لنا صورة مقبولة ونابضة بالحياة عن هذه الجزيرة، فوصف أزهارها وأطيارها، ورياضها، وحياضها، فهي عنده ملكة المتنزهات، ووصف لنا أهلها فمنهم من قاده الهوى وصرف همته لقضاء الأوقات، ومنهم من سلك طريق العمل الصالح ،ووصف لنا يوم عيد الروضة وهو يوم وفاء النيل إذ كانت الروضة مكاناً للقياس، وأن هذه الروضة كانت تلبي حاجة نفسية لدى السيوطي، ولذلك نجده يقول فيها:((**وتشاهد وأنت معتزل من كان في انحدار أو صعد، وأنت متحصن من الثقلاء بقلعة حولها من الماء والخنادق، ومن تمام حسنها تعداد أبواب بيوتها، ففيها مخلص عند مجيء الطارق**))[٧١٢]، ونجد أن هذه المقامة كانت خلجة من خلجات نفسه ونبضة من نبضات قلبه، ونجد بأن هذا الوصف أكتسب المقبولية؛ لأنه كان يسرد الكلام، والوصف كان مقصوداً لذاته، على خلاف الوصف الذي جاء عنده في سياق مقامات أُخر

([٧٠٨]) مقامات بديع الزمان:٣٢١-٣٢٤.

([٧٠٩]) ينظر: عصر السلاطين والمماليك:٥/٣٧٩-٣٨٠.

([٧١٠]) ينظر: المقامات:٧٦، ١٠٥، ١٢١، ١٨١.

([٧١١]) ينظر: المقامات:١٨١.

([٧١٢]) نفسه:١٩١.

مثل(مقامة الرياحين، والمقامة الياقوتية، والمقامة المسكية)[٧١٣]،وقد أظهرت لنا مقاماته جوانب عدة من سيرته الذاتية، ولعل السبب يعود إلى خصوماته الكثيرة مع علماء عصره، ومواقفه من الخلفاء والسلاطين والعامة، مما يعطي مقاماته أهمية كبيرة من المقبولية في الكشف عن شخصيته وعصره، ومن المقامات التي تتضح لنا فيها سيرته الذاتية((المقامة اللؤلؤية في الاعتذار عن ترك الفتيا والتدريس))،إذ يبين لنا فيها سبب تركه الإفتاء والتدريس بقوله:((**قد مرجت الأمانات والعهود، وكثر القائلون بالزور، والشهود، وجم الاختلاف، وقل الائتلاف، وكذب الصادق، وصدق الكاذب، المائق، وخون الأمين...وتكلم الرجل التافه في أمر العامة، وتعلم المتعلم لغير العمل، وكان التفقه للدنيا... واستعلى الجهال على العلماء... وولي الدين غير أهله...**))[٧١٤]، ويتبين من هذا الوصف والأسباب التي جعلته يعزف عن الإفتاء والتدريس، وكما تدل على فساد ذلك العصر واختلال موازينه، وهذه المقامة وجدت القبول مع أنه كتبها واصفاً أهل عصره، إلّا إننا نجد كثيراً من هذه الأوصاف في عصرنا، فما أكثر من يتصدون للعلم بالجهل، وما أكثر الذين يتعلمون للارتزاق، وما أكثر الذين ينطقون باسم الدين وهم منه براء، فكأن السيوطي نظر بنور الغيب وكشف له حجب الزمان والمكان.

ويبدو لنا أن السيوطي يجمع بين التقليد والتجديد، وبينا سابقاً أنه قلد الحريري في بعض مقاماته، ولكنه لم يجعل نفسه أسيراً لمن سبقه من المقامبين، ولكنه يدور في فلكهم ويعيد مضامينهم، بل استطاع بثاقب نظره وعلمه، وحدة ذكائه، وسعة أفقه، أن يترك أثراً محموداً في المقامة العربية، وأن يضيف لما بدأه السابقون أشياء جديدة، وأشار رياض مرزوقي إلى تجديد السيوطي، بقوله:((وتتجلّى من حين لآخر ومضات، فيخرج بعضهم من جمهور واضعي المقامات بلمحة ذكية أو تجديد شخصي، كالسيوطي مثلاً))[٧١٥]،وجدد في موضوعات المقامة وأهدافها، إذ تناول موضوعات جديدة لم يطرقها مقامي من قبل، مثل: النقد التاريخي، والنقد السياسي، والسيرة الذاتية، إذ أنه في موضوع النقد السياسي استوحى فكرته من صميم عصره، واستمد مادته من التراث العربي في الحديث والفقه والأدب والمصطلحات والطب.

أما هدف المقامة فقد جدد فيه، فبعد أن انحصرت أهداف أغلب المقامبين في إثبات المقدرة أو التعليم أو الوعظ نجده هدف في مقاماته إلى النقد: نقد الحكم والقضاء والعلماء والعامة والمتصوفة، وهدف كذلك إلى تصور عصره وبيئته والى الإصلاح الاجتماعي.

ونرى الطريقة التعليمية قد تطورت عنده عمّا سبقه من المقامبين، إذ نجد في بعض المقامات يحشد فيها حديثاً وفقهاً وطباً وشعراً، فهو يقوم بالتعليم في إطار الهدف العام لكل مقامة من مقاماته، ونجد الرمز له أثر كبير في مقاماته كما وضحنا في المقامة الرياحين والياقوتية والمسكية، ما هي إلا رموز لأمراء المماليك، وكانت مقاماته صورة واضحة لشخصيته وبيئته وعصره، فتم قبول المقامات من خلال التجديد في موضوعاتها وأهدافها

([٧١٣]) ينظر: نفسه:١١، ٥١، ١٣٠.

([٧١٤]) شرح مقامات السيوطي:٩٩٩.

([٧١٥]) بحث بعنوان(تطور المقامة في الأدب العربي شكلاً ومضموناً)ضمن كتاب :قضايا الأدب العربي :٣١٠.

والطريقة التعليمية التي طورها، وملاحظة ما تمتعت به هذه المقامات من أساليب وصور رائعة وهادفة للتغيير في المتلقي والتأثير فيه.

يتضح ممّا تقدم أنّ معيار المقبولية يتحقق من خلال أثر شخصية منتج النص في نصه، فضلاً عن طبيعة النص وصياغته وموضوعه مما يدفع المتلقي إلى الاستجابة والقبول حتى وإن كان النص يحمل بين طياته نغمة التوبيخ والاستهزاء والتقريع والنقد لشخصية المتلقي.

ثالثاً: الإعلامية:

تعد من المعايير السبعة التي وضعها بوجراند، وهي تتعلق بالمعلومات الواردة في النص من حيث توقع هذه المعلومات أو عدم توقعها، أو المعلومات مقابل المجهول[٧١٦]، وتدل على ما يجده مُستقبِلو النص فيه من الجدّة وعدم التوقع، وتختلف درجة الإعلامية من نص إلى آخر وفقاً لنوعه وغايته، ولكن المؤكد أنَّ كلَّ نصٍّ يجب أن يشتمل على قدرٍ من المعلومات الإعلامية[٧١٧]،وهي ترتبط بمدى توقع المتلقي للمعلومات الواردة في النص من عدمها، إذ يمكن أن تقود إلى رفض النص إذا كان لا يتوفر على الكم المناسب من المعلومات[٧١٨]، وإنَّ كُل نصّ من النصوص يهدف إلى أن يقدم بعض المعلومات لقارئيه وسامعيه في مختلف الأماكن في كل العصور، إذ تختلف طريقة وضع المعلومات في النصّ بحسب نوعيته، ويترجمها بعض الباحثين العرب بـ(الإخبارية)[٧١٩]، وبعضهم إلى (المعلوماتية)،أي ما نحصل عليه من معلومات يتضمنها النصّ[٧٢٠]، وتعرف بأنّها:((العامل المؤثر بالنسبة إلى عدم الجزم في الحكم على الوقائع النصيّة، أو الوقائع في عالم نصيّ في مقابلة البدائل الممكنة، فالإعلاميّة تكون عالية الدرجة عند كثرة البدائل، وعن الاختيار الفعليّ لبديل من خارج الاحتمال، ومع ذلك نجد لكُلّ نصّ إعلاميّة صغرى على الأقل تقوم وقائعها في مقابل عدم التوقع))[٧٢١]، ومصطلح الإعلامية يدل على الجدة والتنوّع الذي توصف به المعلومات التي تُشكل محتوى الاتصال في نصّ ما[٧٢٢]، ويتعلق بمقدار التوقع أو عدم التوقع،أو المعرفة أو عدم المعرفة، وتختلف درجتها من نص لآخر، فكلما خرج النص عن المألوف والمتوقع ازدادت درجة الإعلامية، والعكس صحيح[٧٢٣]،ومن ثمَّ؛ فإنّها تشتمل على عامل الجدّة، لذلك أشار دي بوجراند إلى أن:((المدى الذي تكون فيه العناصر/ المعلومات، داخل النصّ، معتادة في معناها، وفي أسلوب التعبير عنها، وطريقة عرضها، فهي عندئذ تمثل كفاية إعلامية منخفضة الدرجة،أو تكون غير معتادة فتمثل كفاية إعلامية عالية الدرجة))[٧٢٤] ،وهي((تتعلق باستقبال الكلام على أنه نص ذو محتوى كما يتعلق بحكم المتلقي على طريقة عرض المحتوى بالجدة وبمدى توقعه لطريقة العرض))[٧٢٥].

([٧١٦]) ينظر: مدخل إلى علم لغة النص:٣٢-٣٣، وعلم لغة النصّ النظريّة والتطبيق:٦٨.

([٧١٧]) ينظر: نظرية النقد الأدبي الحديث:١٠٢، وعلم النصّ ونظرية الترجمة:٥٠-٥١.

([٧١٨]) ينظر: النص والخطاب والإجراء:١٠٤-١٠٥.

([٧١٩])ينظر: نحو النصّ اتجاه جديد في الدرس النحوي:٨٦.

([٧٢٠]) ينظر: أسس لسانيات النصّ:١٥٢، واجتهادات لغويّة:٣٧٩.

([٧٢١]) ينظر: النصّ والخطاب والإجراء:١٠٥.

([٧٢٢]) ينظر: نفسه:٢٤٩.

([٧٢٣]) ينظر: مدخل إلى علم اللغة النصي:٩٤.

([٧٢٤])نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النصّ النثريّ:٦٦.وينظر: النص والخطاب والإجراء:٢٤٩.

([٧٢٥]) في اللسانيات العربية المعاصرة:٢٣٣.

إنَّ المتكلم الذي ينتج نصّاً ينجز نشاطاً خاصاً، أيّ: ممارسة لغويّة أو نشاطاً لغوياً يتبع قصداً أو هدفاً اجتماعياً، فقد ينتج نصاً ليبلغ السامع معلومات معينة، أو ليحصل منه على بعض المعلومات أو ليحفز السامع على عمل فعل، أو ليشجعه على انجاز نشاط، أو ليطلب منه إظهار ردّ فعل محدد[٧٢٦]، فيحقق بذلك من إنتاجه وظائف من قبيل: إبلاغ المعلومات، أو إصدار تعليمات، أو إقناع... الخ[٧٢٧].

وللإعلامية مفهوم يدور حول صفة الإعلامية بمعناها العام، فأيّ نصّ يجب أن يقدم خبراً ما، إذ إنّ الرغبة في الإخبار تمثل غرضاً أولياً لدى أي كاتب، فأيُّ نصٍّ لابدَّ أن يقدم معلومة ما، و النصوص كلّها تشترك في هذه الوظيفة[٧٢٨]،ومفهوم بمعنى الدعاية، إيجاباً أو سلباً، لشخص ما أو فكرة ما أو مذهب ما، وتُوصف الإعلامية في هذه المفاهيم بأنّها(إعلامية منخفضة)؛لأنّ أثرها في النصّ يقتصر على الدعاية والأخبار فحسب[٧٢٩].

ويوجد مفهوم آخر لمصطلح الإعلامية يشير إلى الجدّة في عرض المعلومات بمواقف معينة، وهذه الجدة يحددها المتلقي بمعيار عدم التوقع، ويرسم حدودها الكاتب باختياراته في صياغة النص، ويظهر هذا التحديد للإعلامية مراتب تلكم النصوص، إذ تظهر رغبة بعض الكتاب في التميز، كما يمنح هذه الصفة حكماً قيمياً[٧٣٠]،وفي هذا المفهوم تُوصف بأنّها(إعلامية مرتفعة) ؛لأنها تتعامل مع الجانب الإبداعيّ أو الأدبيّ في النصّ[٧٣١]،والإعلامية تبرز بصفة خاصة في المجاز[٧٣٢].

ومن ثمَّ؛ فصفة الجدة لا تقتصر على صياغة التركيب حسب،بل تمتد لتشمل المضمون و المحتوى أيضًا[٧٣٣]، فيمكن أن يكون لورود عنصر لغوي معين احتمالات مختلفة في النظم بسبب الأغراض المختلفة للاتصال، وكذلك الخروج عن المألوف في التشكيلات الغريبة لأصوات نجدها لا تؤلف كلمات معروفة، مثال على ذلك: الطرائف التي رواها المتقدمون تندُّراً بالنحاة وتقعرهم في الخطاب كما في المثل الآتي[٧٣٤]: ((**فقال له الطبيب: خُذْ خرقعاً، وسلفقاً وجرفقاً، فسأل النحويّ: ويلكَ أيُّ شيءٍ هذا؟ قال الطبيب: وأيُّ شيءٍ ما قلْتُ؟**))[٧٣٥].

---

(٧٢٦) ينظر: مدخل إلى علم اللغة النصي:١١٧.

(٧٢٧) ينظر: نفسه:١١٨.

(٧٢٨) ينظر: نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النصّ النثريّ:٦٦-٦٨.

(٧٢٩)ينظر: نظرية علم النصّ رؤية منهجية في بناء النصّ النثريّ:٧٠،وأصول المعايير النصيّة في التراث البلاغيّ عند العرب(رسالة ماجستير):٦٥.

(٧٣٠) ينظر: نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النصّ النثريّ:٦٧

(٧٣١)ينظر: نفسه:٧٠.

(٧٣٢) ينظر: مدخل إلى علم لغة النص :١٨٦، وعلم لغة النصّ النظرية والتطبيق:٦٨.

(٧٣٣)ينظر: نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النصّ النثريّ:٦٧.

(٧٣٤) ينظر: مدخل إلى علم لغة النصّ: ١٨٤،وعلم لغة النصّ النظرية والتطبيق:٦٩.

(٧٣٥)البيان والتبيين:٢/٢٧٠.

ويمكن أن تقع الإعلامية على مستوى الكلمات فقد يجعل منتج النصّ الكلمات الوظيفيّة كحروف الجر وحروف العطف بعيد كل البعد عن المألوف[٧٣٦]، كما في قول المتنبي:

أمضى عزيمته فسوف له قد واستقرب الأقصى فثم له هنا[٧٣٧]

وبناءً على ما تقدم فـ(إن الإعلامية ترتبط بإنتاج النصّ واستقباله لدى المتلقي، ومدى توقعه لعناصره) [٧٣٨].

الإعلاميّة في مقامات السيوطي:

أوّل ما يواجهنا في مقامات السيوطي من الخروج عن المألوف أنّها لم تكُن منسوجة على غرار المقامات السابقة، فقد جاءت بهيأة تختلف عن المقامات السابقة ، فقد يشكّل هذا الخروج نوعاً من الإعلامية؛ لأنّه شيءٌ غير معتاد عليه في هذا الفنّ فقد يشكل غرابة للمتلقي، إذ أنه طرح موضوعات جديدة لم تدر في خلد من سبقه من المقاميين،فقد حوت أدبًا وتاريخًا،وطبًا وفقهًا، وتفسيرًا وسيرةً ذاتيةً،وسياسة ونقدًا ووصفًا.

إن الإعلامية تتداخل مع المعايير النصيّة الأخرى، إذ لا يمكن الفصل بسهولة بين دقائق الاتّساق والانسجام ومقولاتهما، فهي تتوقف على المعايير السابقة، وإنّ كلّ نصّ إذا أُتقن ماسبق من المعايير يؤدي إلى الإعلامية النصيّة وتمتعه بالقبول، وقد تأتي تراكيب متسقة منسجمة لكنها خالية من الإعلامية[٧٣٩]، فلو نظرنا في مقامات السيوطي نجد أنّ لديه الخروج عن المألوف في بعض المظاهر الشكلية المتمثّلة بـ(الاتّساق) ، والمظاهر الدلالية المتمثّلة بـ(الانسجام) .

نجد السيوطي غير في بعض الصّيغ، من أجل تحقيق السجع والجناس، ويلحظ على سجع السيوطي أنه تراوح بين الطول والقصر، كما في قوله:((**وعجل له اليسيرة من الجزاء ليحميه من العقوبة الشديدة، ونجاة من دسيسة الشيطان، ليسلك به الطرائق السديدة**))[٧٤٠]،وقوله: ((**فسبحانه من لطف بعباده وهدى عبده المؤمن إلى أرشاده، وقربه من أبعاده ليفوز بإسعاده، وصالحه بأمراض الدنيا عن أضرام جهنم في معاه**))[٧٤١]، فنراه قد تصرف في الألفاظ عن طريق السجع الذي كان له وظيفة مزدوجة في كلامه، فهو يضفي على كلامه حسناً وجمالاً، فضلاً عن وظيفته الإعلامية والإقناعية.

---

(٧٣٦)ينظر: علم لغة النصّ النظرية والتطبيق:٦٩.

(٧٣٧)جاء في شرح البيت : ((سوف للاستقبال وقد لما مضى ومقاربة الحال ، يقول : هو ماضي الإرادة فما يقال فيه سوف يكون ، يقال هو قد كان والبعيد عنده قريبٌ لقوّة عزمه فما فيه يُقال ثُمَّ وهو للمكان المتراخي ، قال : هو هنا وهو يستعمل فيما دنا وجعل(قد) اسماً فأعربه ونوّنه)ديوان أبي الطيب المتنبي (شرح الواحديّ):١/٢٣٤.

(٧٣٨) نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي: ٨٥.

(٧٣٩) ينظر : مدخل إلى علم لغة النص:١٨٦.

(٧٤٠) ينظر: المقامات: ١٥٢، ١٨٥.

(٧٤١) المقامات:١٥٢.

ونلحظ في لغة السيوطي تقطيعاً موسيقياً جميلاً ورائعاً يُضفي على المقامات جمالاً يخلق نوعاً من الإعلامية ، أو يثير الغرابة لدى القارئ ، منها قوله:((**روضة أريضة، عيون أزهارها مريضة، وأنواع البركات من نهرها مفيضة**))[٧٤٢]، فالمعنى المتغاير في الكلمات المتجانسة مع تشابهها في المادة الصوتية الذي قد يوحي أنها واحدة، يتناسب مع إقناع المتلقي وإعلامه، وبتصرفه في صيغ الألفاظ، يوضح للقارئ جمال اللغة في حسن التصرف وابتداعه في الكتابة وفنونها، وهذا ما يزيد العمل الأدبي جمالاً ينمّ عن ذوق رفيع في النّثر الفنيّ، ونرى الجناس والسجع يتمركزان في المقامتين((النيلية في الرخاء والغلاء ، والدرية في الطاعون والوباء))،إذ تقوم هذه الكثافة بدور حاسم للإعلامية ، إذ إنها تخبر المتلقي والقارئ من أن شخصياتها تحمل رسالة مشتركة تظهر الحقيقة التي يُراد الاستدلال عليها في شموليتها ، وتدفعها إلى أقصى حدٍّ من الإعلامية (كفاءة إعلامية مرتفعة) وعلى سبيل المثال لا الحصر:

- ((**هذه قضايا مختلطات، ورزايا غير منضبطات**
- **قد ساءت الأحوال واختلطت، ونقصت الأفعال واعتلت**
- **نعوذ بالله من سوء المنقلب ، ومن شر غاسق إذا وقب**))[٧٤٣] .

نلحظ أن وظيفة الأصوات في المقامات، لا تقف عند الجرس الموسيقي الخارجي، إنما تسهم في تشكل الدلالة التي أرادها السيوطي أخبارها (إعلامها) وبلاغها للمتلقي.

وقد كرر السيوطي بعض الألفاظ والعبارات في مقاماته، مثل الإصر، في مقامة روضة مصر، إذ قال:((**أصلَ مَنبعهِ من الجنةِ، وسُمّي في القرآنِ باسمِهِ ونَ غيرِهِ ونطقتْ به السنّةُ، وهو في الجنةِ نهرُ العَسلِ، ويرفَعُهُ جبريلُ عندَ رفعِ القرآنِ ومن لم يعرفْ فليسلْ، وهو الذي كاتَبهُ عُمرُ بن الخطاب ، لما حمل أهلُ مِصرَ الإصر**(*)...))[٧٤٤]، في هذا النص الإعلامية بالاخبار المتضمنة في النص، وقوله في المقامة الدرية في الوباء:((**ثم جاءَ الخَبرُ بوصولِهِ، إلى البلادِ الحلبيةِ بعد شهرينِ، فأرجفَ الناس بدخُوله مصرَ، وتحملوا من خَوفِ هجومهِ عليهم الإصرَ...**))[٧٤٥]، ولفظتا حاصل ومحصول، في المقامة نفسها((... **فوربِّ الليل وما وسق ، والقمر إذا اتسقَ، لئن عطفَ عاماً بعدَ عامٍ على نَسقٍ، ليقطّعنَّ عائدَ كلِّ مُوصُولٍ، وليُذهِبنَّ كلَّ ذي حاصل ومحصول...**))[٧٤٦]، تكمن الإعلامية بالوثوق الغيبي المعبر عنه بالقسم الإلهي.

([٧٤٢]) نفسه:١٨٥.

([٧٤٣]) نفسه: ١٦٩، ١٧٣، ٢١١.

(*) الإصر : العهد الثقيل والضيق والحبس والعقوبة، ينظر لسان العرب مادة(أصر).

([٧٤٤]) المقامات: ١٩٢.

([٧٤٥]) نفسه:١٩٥.

([٧٤٦])المقامات:٢٠٧.

فضلًا عن هذا تحدث الإعلامية قيما تعرف **بالمجاز العقلي**؛ حيث تُعَدُّ الاستعارة والتشبيه من التعابير التي تمثل خروقاً عن السنن والمألوف؛ فهي من الظواهر التي تشكل صدمة لذوق القارئ الذي ألف استعمالات منطقية للغة[٧٤٧] ، فالكاتب عندما يجمع بين عناصر متناقضة، ومتباعدة في العالم الخارجي، فإنه يمارس خرقاً للغة، وقد انتزع السيوطي بعض التشبيهات التي أوردها في مقاماته من بيئته التي عاش فيها، كقوله في مقامة وصف روضة مصر تسمى بلبل الرّوضة:((**كأنها بدر والنيلُ حولها هالَةٌ، أو شمسٌ في وسطِ سماء ليس عليها سحابٌ أو غِلالَةٌ، أو وجهُ دارٍ عليه طيلسانٌ، أو سريرُ ملكٍ نُصِبَ في ميدانٍ، أو قلبُ جيشٍ له مصرُ والجيزةُ جناحان...**))[٧٤٨].

والاستعارة التي يمكن أن تتجسد في خطاب تام مكتمل في المقامات، وردت على لسان شخصيات االمقامتين : النيلية في الرّخاء والغلاء ومقامة الطاعون والوباء[٧٤٩].

ومن الظواهر اللغوية التي تحدث خرقاً لتوقعات القارئ على مستوى البناء اللغوي، توظيف السيوطي للهجة العامية؛ التي تسربت إلى النص ضمن نسق اللغة الفصيحة، إذ نرى أنَّ السيوطي قد استعمل بعض الألفاظ العامية، ولكنها قليلة، مثل: فشار، الاقذار، الكيمان والبرور، بهدل ، الوسلية.... الخ، وهذا ما جاء في قوله:((**ويشربُ فيها الماءُ من شَوائبِ الأقذار عرياً، ويمر من فيها النسيمُ صحيحاً عليلاً، يبرئ من الأسقام عليلاً، ويشفي من الأورام غليلاً، ساكنها قد وُقي السّموم والحرور، وأعفى من شعثِ الكميانِ والبرور...**))[٧٥٠]،ونجد هذه الكلمات العامية تُثير دهشة القارئ، ليس لغرابتها، وإنما لما فيها من الابتذال والإسفاف.

وقد تظهر الإعلامية على **مستوى البناء الشكلي** للنص الروائي، فالقارئ وهو يلج عتبات النص المقامي وتحديداً افتتاحيته، يبني جملة من الافتراضات المسبقة، والتوقعات الأولية لما سيكون عليه البناء الفني للمتن، وقد أجاد السيوطي في هذا نوع من البناء الشكلي لنص المقامات، إذ إن كثيراً من ابتداءاته جاءت آيات قرآنية ذات صلة قوية بموضوعات مقاماته، فهو يستهل مقامة الدوران الفلكي،بقوله تعالى:﴿ **و إذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسناً . . .** ﴾**البقرة** :٨٣،والقارئ لهذا الاستهلال يفهم أنه يقصد بذلك رجلاً يهودياً أو من أصل يهودي، في

([٧٤٧])ينظر: المتوقع و اللامتوقع، دراسة في جمالية التلقي، مجلة أبحاث اليرموك مج١٥العدد٢،موسى ربابعة:٦٥.

([٧٤٨]) المقامات:١٨٧– ١٨٨.

([٧٤٩]) نفسه :١٦١– ١٩٤.

([٧٥٠]) نفسه: ١٩١.

مقامة روضة مصر [٧٥١]، يستهل المقامة بقوله تعالى:﴿**وآويناهما إلى ربوةٍ ذاتِ قرار ومعين**﴾**المؤمنون :٥٠.**

ولا تقتصر الإعلامية على مستوى البناء اللغوي، والبناء الشكلي، بل تتجاوز ذلك إلى المحتوى السردي في المقامة؛ وذلك من خلال **المفارقات** التي فيها ((الأنماط المعروضة من النص غير مواكبة للأنماط المعرفة المختزنة))[٧٥٢].

والمفارقة في ابسط تعريف لها هي " فن قول شيء ما دون قوله بشكل فعلي وصريح يكتسب سمة عمق الفن العظيم الذي يقوم بنجاح وفعالية أكثر مما يبدو أنه يقول"[٧٥٣]، وهذا النوع نجده في مقاماته، إذ إنَّ السيوطي تناول في المقامات (الرياحين)و(المسكية) و(الياقوتية)[٧٥٤] موضوع النقد السياسي إذ عمد فيها إلى الرمز، ولم يكن التعبير عن السلاطين في هذه المقامات خوفاً أو رهبة وإنَّما أراد أن يلبس مقاماته رداء من الجدة، ويزيد طرافتها[٧٥٥] .

ولاشك أن مثل هذه الأمور، والأوصاف تستفز فكر القارئ ، وترفع بذلك الكفاية الإعلامية في النص، وتضفي على المتلقي نوعاً من التشويق" فضعف الإعلامية قد يؤدي إلى الملل، بل إلى رفض النص في بعض الأحيان"[٧٥٦] .

مما تقدم يتضح لنا أنّ الإعلاميّة هي مدى الجدة أو عدم التوقع في المواد المعروضة وأن ضوابطها لابد أن تكون عاملاً مهماً لدى تحديد استعمال خيارات خاصة في جميع أنواع السياقات ولدى منح الدافعية لهذا الاستعمال. دون غيره من الاستعمالات المحتملة التي تعمل على خفض درجة الكفاءة الإعلاميّة، بينما يؤدي الاستعمال المطلوب إلى رفع درجة الكفاءة الإعلاميّة لدى المتلقي.

([٧٥١]) المقامات: ١٨٢.

([٧٥٢])مدخل إلى علم لغة النص:١٩٠.

([٧٥٣]) المفارقة والإدب:٨.

([٧٥٤]) المقامات:١١، ٥١، ١٠٥.

([٧٥٥]) ينظر: شرح مقامات السيوطي:٦٤.

([٧٥٦]) علم لغة النص النظرية والتطبيق:٦٨.

المبحث الثاني

معايير تتصل بالمؤثرات الخارجية

من المعايير التي تتصل بالمؤثرات الخارجية للنص (السياق والتناص) وفيما يأتي عرض لدراسة تفصيلية لهذين المفهومين وبيان تأثيرهما في نصوص مقامات السيوطي.

أولاً: السياق (الموقفية):

توطئة

لقد عنى علماء العربية القدماء بالسياق وأطلقوا عليه المقام أو مقتضى الحال في ضوء مقالتهم الشهيرة ((لكل مقام مقال)) [٧٥٧] التي عُدّت مثلاً سائراً، وهذا ما صاغه (مالينوفسكي) تحت عنوان (Context of Situation)[٧٥٨]، يقول القرطاجني (ت ٦٨٤هـ) في منهاج البلغاء: ((وأحسن مواقع التخييل: أن يناط بالمعاني المناسبة للغرض الذي فيه القول كتخييل الأمور السارة في التهاني، والأمور المفجعة في المراثي. فإن مناسبة المعنى للحال التي فيها القول وشدة التباسه بها يعاون التخييل على ما يراد من تأثر النفس لمقتضاه ...، ويحسن موقع التخييل من النفس، أن يترامى بالكلام إلى أنحاء من التعجيب، فيقوى بذلك تأثّر النفس لمقتضى الكلام))[٧٥٩].

أما اللغويون المحدثون، فقد أولوا السياق وأثره في تحديد المعنى عناية كبيرة، ومن أهم المدارس التي أهتمت به المدرسة الإنكليزية بزعامة (فيرث)، التي قامت على أساس المعنى، إذ صرّح (فيرث):((بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة، ويقول أصحاب هذه النظرية في شرح وجهة نظرهم: (معظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات أخرى، وإن معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها)))[٧٦٠].

وخلص (فيرث) إلى أنّ تحديد المعنى يتوقف على الشروط الآتية[٧٦١]:

١- تحليل السياق اللغوي (Verbal Context) صوتياً وصرفياً ونحوياً ومعجمياً.

٢- بيان شخصية المتكلم والمخاطب والظروف المحيطة بالكلام.

٣- بيان نوع الوظيفة الكلامية.

٤- بيان نوع الأثر الذي يتركه الكلام.

([٧٥٧]) الألسنية محاضرات في علم الدلالة، د. نسيم عون: ١٦١.

([٧٥٨]) ينظر: نفسه: ١٦١.

([٧٥٩]) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ٩٠.

([٧٦٠]) علم الدلالة: ٦٨-٦٩.

([٧٦١]) ينظر: أصول تحليل الخطاب: ١/٧٠، الكلمة، دراسة لغويّة معجميّة: ١٥٨.

فهذه الشروط تؤكد بقوة أن المعنى متصل بالسياق اتصالاً كبيراً، إذ يتعذر الفصل بينهما، ولا يتصور أحدهما والآخر ليس متلبساً به[٧٦٢]. وفيما يأتي دراسة لخصائص السياق وضروبه في المقامات:

السياق وخصائصه:

يرى (براون ويول) أن السياق يعد من أهم مبادئ الانسجام؛ لأنه يتحتم على ((محلل الخطاب أن يأخذ بعين الاعتبار السياق الذي ورد فيه مقطع ما من الخطاب))[٧٦٣]. فالسياق لديهما يشمل كلاً من (المتكلم/ الكاتب) و (السامع/ القارئ) و (الزمان والمكان)[٧٦٤]. إذن هما يقصدان السياق المقامي المادي الذي ينشأ فيه الخطاب ويؤدي أثراً مهماً في تحقيق الانسجام؛ لأنه ((يجعل القول الواحد متى ظهر في مقامين مختلفين ذا تأويلين مختلفين))[٧٦٥].

ويشير (هايمز) إلى أثر السياق في الفهم بكونه يحصر من جهة عدد المعاني الممكنة، وأنه يساعد من جهة أخرى على تبني المعنى المقصود[٧٦٦]. ويذكر أن للسياق خصائص واقترح تصنيفها في ضوء العناصر الآتية:

((- المرسل: وهو المتكلم أو الكاتب الذي ينتج القول.

- المتلقي: وهو السامع أو القارئ الذي يتلقى القول.
- الحضور: وهم مستمعون آخرون حاضرون يساهم وجودهم في تخصيص الحدث الكلامي.
- الموضوع: وهو مدار الحدث الكلامي.
- المقام: وهو زمان ومكان الحدث التواصلي، وكذلك العلاقات الفيزيائية بين المتفاعلين من إشارات وإيماءات وتعبيرات الوجه....
- القناة: كيف تمّ التواصل بين المشاركين في الحدث الكلامي: كلام، كتابة، إشارة ....
- النظام: اللغة أو اللهجة أو الأسلوب اللغوي المستعمل.
- شكل الرسالة: ما هو الشكل المقصود: دردشة هي جدال، عظة، خرافة، رسالة غرامية ....
- المفتاح: ويتضمن التقويم: هل كانت الرسالة موعظة حسنة شرحاً مثيراً للعواطف....
- الغرض: أي أن ما يقصده المشاركون ينبغي أن يكون نتيجة للحدث التواصلي))[٧٦٧].

فهذه الخصائص تسهل على الدارس عملية تحليل النصوص المختلفة، فكلما زادت معرفة المحلل أو الدارس بها زادت قدرته على التنبؤ بما يمكن قوله؛ لأن:((النص المنجز لا يتم تحليله لغوياً إلا عن طريق هذا التفاعل بين المبدع والمتلقي، بين جسد النص ومدلولاته الحديثة والزمانية والمكانية، إنه باختصار شديد كائن حيّ يتشكل

([٧٦٢]) ينظر: أصول تحليل الخطاب: ١١٧/١.

([٧٦٣]) تحليل الخطاب: ٣٥، وينظر: لسانيات النص، د. محمد خطابي: ٥٢.

([٧٦٤]) ينظر: تحليل الخطاب: ٣٥، لسانيات النص، د. محمد خطابي: ٥٢.

([٧٦٥]) أصول تحليل الخطاب: ١٥٩/١.

([٧٦٦]) ينظر: الانسجام النصي وأدواته: ٦٥.

(٧٦٧) لسانيات النص، د. محمد خطابي: ٥٣.

مع القراءة الواعية والتحليل الهادف الذي يجعل للسياق والموقف اللغوي دوراً أساسياً عند التحليل، هذا السياق هو الذي يحدد مكونات النص بل ويوجدها))[٧٦٨]، فالسياق له أثر كبير في تحديد معنى النص فـ((النص والسياق يكمل أحدهما الآخر))[٧٦٩] وبانعدام السياق يفقد النص انسجامه، ومن ثم يفقد نصيته.

إن التأمل في مقامات يجعلنا نتلمس خصائص السياق فيها، والغاية من ذلك إظهار مدى التأثير المتبادل بين السياق وبين النص، بما يفسر لنا ذلك النص بشكل موضوعي، عموماً تشترك نصوص والمقامات بأنّ المرسِل هو (السيوطي))، إما المرسَل إليه (المتلقي)، فهو طرف مهم في تماسك النص ((فلا نتصور وجود نص ما مالم يكن هناك متلقٍ له وإلا فقد النص مضمونه))[٧٧٠]، فالمتلقي هو الذي يحكم على ترابط النص وتماسكه.

وانطلاقاً ممّا سبق يتضح أن السياق هو الكُل الذي يحيط بظروف إنتاج النص والأطراف التي سهمت به، من كاتب النص والمتلقي وما بينهم من العلاقات التخاطبية ، وعنـصري الزمان والمكان، وما يحيط بطرفي النص من عوامل اجتماعية، وسياسية، وثقافية ...الخ، وأنوع الأغراض والمقاصد التي ترمي إليها مختلف النصوص، ونحن في مدونتنا(مقامات السيوطي) سنحاول أن نقف على جل النقاط التي تكون السياق، بعدّه معياراً من المعايير النصية الذي يوصلنا إلى أغراض ومقاصد السيوطي ، الذي عاش في مدة زمنية لا تخلو من وجود أوضاع سياسية واجتماعية خاصة، تدفع المرء إلى الإجادة واعتماد مختلف الإستراتيجيات، للتعبير عن مثل هذه الأوضاع، والكشف عن مختلف الوسائل والطرق الممكنة لمحاربتها، من دون المساس بأصحاب السلطة والنفوذ كطرف حساس، عبرّ عنه السيوطي بشكل يكاد يكون واضحاً في مقاماته.

السياق في المقامات :

١- سياق الموقف(*).

([٧٦٨]) نحو النص، د. أحمد عفيفي: ٤٧.

([٧٦٩]) اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز: ٢١٨.

([٧٧٠]) الانسجام في النص القرآني مظاهره وجمالياته: ٣١٢.

يطلق هذا المصطلح على ((الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة))[٧٧١]، ويعد عالم الاجتماع (مالينوفسكي) أول من استعمل مصطلح سياق الموقف للتعبير عن الموقف أو المحيط الذي ينتج فيه النص، إذ أكد أنه من الصعب أن نفهم رسالة ما، إن لم نكن على دراسة بالإداء الصوتي والمرئي المصاحب لها[٧٧٢]، ((ويظهر ذلك في العبارات المصطلحية في الظروف الاجتماعية المعينة مثل تبادل التحية والتعزية في حال الوفاة، والنداء بالألقاب فهذه العبارات لا يمكن فصلها عن ظروفها الاجتماعية التي أتت فيها))[٧٧٣]، إذ إنّ ((ما يؤديه المقام للمعنى من تحديد ومناسبات ظرفية، يتطلب من الباحث الإلمام بالمعطيات الاجتماعية))[٧٧٤]، وقد أشار علماء النص إلى محورين مهمين في حديثهم عن سياق الموقف، هما مجال الخطاب، وأدوار الخطاب[٧٧٥].

ويشير مجال الخطاب ((إلى تلك العناصر التي تكوّن أساس عملية الاتصال. وتتضح هيمنة مجال الخطاب فيما يجلبه من حقل دلالي خاص يحتوي على كلمات هي الأكثر شيوعاً معه))[٧٧٦].

وقد استقرت مقامات السيوطي – على تعدد متلقيها – حول مجموعة معروفة من مجالات الخطاب مثّلت أغراضَ تلك النصوص (الدينية، والاجتماعية، والاقتصاية، والنقد السياسي).

وهذه الأغراض (المجالات) تتناسب مع طبيعة الظروف السياسية والاجتماعية في عصر السيوطي إذ شهدت حياته أحداثاً معقدة ومواقف متعددة، إذ إن لكل موقف، أو حادثة مقامة خاصة، وقد مهدت كتب التاريخ والأدب لهذه النصوص معلومات كثيرة عن سياقها والمواقف التي كتبت فيها والحوادث المحيطة بها[٧٧٧]، بينما يدور موضوع أدوار الخطاب في طبيعة المشاركين في الخطاب وحالاتهم وعلاقتهم، وتباين الأبعاد النفسية للمتخاطبين من حيث السيطرة والمودة ودرجة القرابة والصداقة وهذا كله له أثر بارز على اللغة[٧٧٨].

يتضح إنَّ نصوص المقامات ثّمة بواعث أو ظروف ساعدت على تأليفها، وجاءت هذه المقامات بوصفها ردّ فعل لظروف عامة في مصر والشام والحجاز ذكرها السيوطي، ولظروف أخرى خاصة أحاطت بها.

واتصف الوضع السياسي في دولة المماليك بانعدام الأمن، وفقدان الطمأنينة في كثير من الأحيان، ويعود سبب ذلك إلى بطش المماليك وفتكهم بأهالي المدن والفلاحين، ونجد أن عامة الناس أحياناً كانوا يتكتلون ضد

(*)لقد أطلق علماء النص على سياق الموقف تسمية (المقامية أو الموقفية) التي هي أحد المعايير النصيّة السبعة.

(٧٧١) علم الدلالة: ٧١.

(٧٧٢) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق ، د. عزة شبل محمد: ٢، نظرية علم النص: ٢٤–٢٥.

(٧٧٣) في علم اللغة عند العرب ورأي علم اللغة الحديث، شرف الدين علي الراجحي: ١٣٦.

(٧٧٤) الألسنية محاضرات في علم الدلالة، د. نسيم عون: ١٦٢.

(٧٧٥) ينظر: نظرية علم النص: ٢٥.

(٧٧٦) نفسه: ٢٥.

(٧٧٧) ينظر: شرح مقامات السيوطي:٦٤ومابعدها.

(٧٧٨) ينظر: نظرية علم النص: ٢٨.

المماليك لدفع أذاهم[٧٧٩]، فضلاً عن ذلك الفساد الداخليَّ؛ فإن الكوارث الطبيعية من طواعين جارفة وأمراض فاتكة، وانتشار المجاعة في بعض الأحيان، قد نشر الخوف والاضطراب في حياة الناس[٧٨٠]،وإنَّ المجتمع في دولة المماليك يتكون من خليط من الأمم، فقد ضمت العرب والأتراك والجراكس والأكراد واليهود والنصارى والقبط، وغيرهم[٧٨١]،إلاّ أن السيطرة السياسية كانت في تلك الحقبة بيد الأتراك والجراكس، لكونهم طبقة عسكرية متميزة [٧٨٢]،وقسم المقريزي المجتمع في عصر السيوطي(العصر المملوكي) على سبعة أقسام: أهل الدولة، ومياسير التجار، وأصحاب البز وأرباب المعايش، وأصحـــاب الفلاحة، والفقهاء وطلاب العلم، وأرباب المهن، فضلًا عن ذلك الأجراء، والحمالين، والخدام، والحاكة، وأهل الخصاصة، والمسكنة[٧٨٣]، وحافظ المماليك على مظاهر الحياة الإسلامية؛ لكونهم مسلمين، فاهتموا بكتابة القرآن الكريم، وعلى الرغم من كلِّ عوامل الأزهار إلاّ أن ذلك لم يمنع من حدوث كوارث أثرت في المجتمع بحوٍ أو بآخر، من تفشي الأمراض وكوارث طبيعية من زلازل، وغيرها[٧٨٤].

أما الوضع الاقتصاديّ في عصر المماليك، فقد اتصف بالانحلال الاقتصادي لتطبيق نظام الإقطاع العسكري على الأراضي الزراعية، وأدى هذا النظام الإقطاعي إلى تقليص رقعة الأرض المزروعة بعد أن تركها الفلاحون هرباً من أصحاب الإقطاعات[٧٨٥]، مما أدى إلى انقسام المجتمع على طبقتين طبقة من الحكام العسكريين، لهم كل الامتيازات والحقوق، ويملكون الأراضي الزراعية كلها، في مقابل الرعية التي اقتصر دورها على الإنتاج، ودفع الضرائب، مما انعكس ذلك بصورة طبيعية على الوضع الاقتصادي المصري في ذلك الوقت[٧٨٦].

ومن ثمَّ؛ فالسيوطي قد عاش حقبة حافلة بالتطورات السياسية والاجتماعية ، وشهد تقسيم العالم على كثير من المماليك والإمارات، وشهد آثار الحياة السياسية العاصفة، إذ إنه في مقاماته التي كتبها نجد فيها ما حدث من صراعات بين الأمراء والعلماء أنفسهم، وهذا في المقامات التي يجد فيها القارئ مدلولًا رمزياً يعبر بها عن الأنماط المتصارعة، على السلطة وهي المقامات(الوردية والمسكية والياقوتية)[٧٨٧]، ولم يطرح هذا الموضوع رمزاً خوفاً من بطش السلطان أو الأمير، وإنَّما أراد أن يكسب مقاماته نوعاً من الطرافة والجدة؛لأنه عاش في عصر المماليك التي كانت علاقته بهِم تتميز بالكره والبغض وعدم الاكتراث[٧٨٨]،وهذا ما نراه في المقامات التي

---

(٧٧٩)ينظر: بدائع الزهور ٤: ٤١٥.

(٧٨٠)ينظر: نفسه٣: ٢٨٤.

(٧٨١)ينظر: تاريخ القطبي المسمى(كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام :١٦٩.

(٧٨٢) ينظر: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك:١٠-٥٧.

(٧٨٣) ينظر: إغاثة الأمة بكشف الغمة:٧٢- ٧٥.

(٧٨٤) ينظر: تاريخ الأدب العربي من مطلع القرن الخامس الهجري إلى الفتح العثماني ٣: ٦٠٧-٦٠٨.

(٧٨٥)ينظر: تاريخ القطبي المسمى (كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام): ١٦٩.

(٧٨٦) ينظر: موسوعة الحضارة العربية الإسلامية ٣: ٢٨٦.

(٧٨٧) ينظر:المقامات:١١-٥١-١٣٠.

(٧٨٨) ينظر: المؤرخون في مصر:٦٦-٦٧.

كانت ذات طابع نقدي لنظام الحكم في عصر السيوطي، كما نفهمها من السياق وسبر خفايا هذه المقامات الرمزية ، وبنقده السياسي في هذه المقامات، وضع القارئ أمام صورة المجتمع الذي عاش اضطرابات وصراعات داخلية وخارجية، كما في المقامة الرياحين، إذ يقول: بعد أن يقدم وصف المكان وهو حديقة نضرة((**... فقلتُ لبعضِ مَن عبرَ: إلاّ تُحدّثوني ما الخبر؟ فقالَ: إنّ عَساكِرَ الرياحين قد حَضرتْ، وأزاهر البساتينِ قد نظرتْ لما نضرتْ، وتوعدت على عقدِ مَجلسٍ حَافلٍ ؛ لاختيارِ من هو بالمُلكِ أحقُّ وكَافلّ، وها أكابرُ الأزهارِ قد صعدتِ المنابرَ، ليُبدي كُلّ حُجّتَهُ للناظر، ويُناظِرَ من بين أهلِ المناظرِ، في أنّهُ أحقُّ أن يُلحظَ بالنواظرِ، من بين سائرِ الرياحينِ النواظرِ، وأولى بأن يتأمّرَ على البوادي منها والحواضر، فجلستُ لأحضرَ فَصلَ الخِطابِ، وأسمعَ إلى ما يأتي به كلّ من فنونِ الحديثِ المُستطابِ، فهجمَ الوردُ بشوكَتهِ، ونجمَ من بينِ الرياحينِ مُعجباً، بإشراقِ صورتِهِ...**))[٧٨٩]، وبعد أن ينهي الورد حديثه يقوم النرجس فيغض من قيمة الورد، ويذكر محاسن النرجس ومميزاته، ثم يفتخر بنفسه قائلاً:((**لقد تجبست يا جبس، وأكثرك رجس نجس، وأنت قليل الحرمة ، واسمك مشمول بالعجمة، وكيف تطلب الملك وأنت بعد قائم مشدود الوسط في الخدمة**))[٧٩٠].

تستمر المناظرة، فيتحدث البان، ويهاجم الياسمين، ثم يأتي دور النسرين فينتصر الأخيهِ الياسمين على البان، ثم يقوم البنفسج ملتهباً قد بدت عينه زرقة الغضب، فيحيط من شأن النسرين، ويفتخر بنفسه، وبما له من فائدة، ثم يقوم النيلوفر، ويحشد الجيوش قائلاً للبنفسج: ((**بأي شيء تدعي الإمارة وتطاوع نفسك والنفس أمارة**))[٧٩١].

والمناظرة تستمر بين الآس والريحان وكل منهما يدعي بأنه أهل للملك، وتنتهي المناقشة بين الرياحين، فيتفق أهل الرأي على اختيار حكم عدل، فيختارون رجلاً عالماً بالأصول والفروع، محيطاً بأغلب الفنون، ويذكرون له قضية النزاع، فكان النزاع، فكان جوابه:((**ليس أحد منكم مستحقاً عندي للملك**))[٧٩٢]، ويرى أن الفاغية(الحناء) هي الصالحة لهذا الأمر؛ لأنها كانت أحبَّ إلى سيد البشر محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)،ويشير بذلك إلى أن اختيار الأمير يجب أن يقوم على أساس ديني، وأن هؤلاء الأمراء لا يصلحون لهذا الأمر، ولعله يُشير إلى أحقيته بهذا الأمر؛ لأنه مجدد الدين على رأس المائة التاسعة كما يقول.

وفي المقامة المسكية قد اختار أربعة من أمراء الطيب: المسك والعنبر والزعفران و الزباد، ويرمز بهذه الأربعة إلى أربعة من أمراء المماليك الذين تنازعوا على الحكم بعد وفاة قايتباي أي من سنة (٩٠٢ هـ -٩٠٦هـ)، نجد السيوطي يقول لرابعهم ((...، **ومتى ادّعيتَ أنكَ رابعُهُم قِيلَ لكَ: اخساً، ومتى جاريتهُم في مَيدانِ السّبقِ فكبّاً لكَ وتعْساً، وأُخرى أنبئك بها: من الفُقهاءِ من قرّرَ نجاستك، وذلك ممّا يسقطُ في سوق الطيبِ في سوق**

([٧٨٩])المقامات:١٢-١٤.

([٧٩٠]) نفسه:٢٤.

([٧٩١]) نفسه:٣٦.

([٧٩٢]) نفسه:٤٦.

الطيبِ نفاستَكَ، وقُصارى أمرِكَ أنكَ عِرقُ هُرّ برَري أو لبنُ سَنّورٍ بَحري، فلا نسب لك ولا حسب، ولا سَلفَ ولا خَلفَ، وأنت أقلُّ شرفاً، وأذلُّ سَلفاً ...)[٧٩٣].

أما الظروف الاجتماعية التي صورها السيوطي في مقاماته سنشير إلى بعض منها، ففي((المقامة البحرية)) تناول فيها موضوع الرخاء والغلاء، حيث نقص النيل في سنة ٨٩٧هـ فكان حال الناس كما يقول السيوطي:((**وأصبحوا في أمرهم حيارى وانهمك على شراء القمح المسلمون واليهود والنصارى، وترى الناس سكارى، كأنما قامت عليهم القيامة، أو سقطت عليهم الغمامة، وكل من ورد في البحر أو صدر يقول في الشوارع: يا الله السلامة، وعاد بعض الناس على بعض بالملامة، وعض المتأخر عن شراء القوات على يديه من الندامة....**))[٧٩٤].

وفي(المقامة الدرية) عندما تفشى وباء الطاعون في مصر والشام سنة ٨٩٧هـ– ٨٩٨هـ، كتب السيوطي هذه المقامة فوصف لنا أهل عصره عندما استحر فيهم الطعن وعجزوا عن علاجه:(**وأكثر ناس من أشياء لا تغنيهم من ذلك استعمال مأكولات قوابض، ومجففات وحوامض، وتعليق فصوص، لها في كتب الطب نصوص، وهذا باب قد أعيا الأطباء، واعترف بالعجز عن مداواته الألباء، وأناس رتبوا أدعية لم يرد بها حديث ولا أثر، وابتدعوا أذكاراً من عند أنفسهم ونسوا أين المفر...**))[٧٩٥].

ويمكن القول إنَّ مقامات السيوطي كأنها سجلٌ تاريخي وسياسي لبعض الحوادث المهمة التي عترت عصر المماليك والتي أوصلها لنا بنحوٍ رائع من التعبير، ومثل هذه الأحداث التي مرة ذكرها، ومنها كذلك يوم الوفاة للنيل وهو الاحتفال الرسمي الذي يحتفل به أهل مصر، وعبر محمد سليم عن المقامات إذ قال قامت المقامات بدور الشعر في العصور السابقة[٧٩٦]،كما اطلعنا على الصراعات التي حدثت بين الأمراء والعلماء أنفسهم، كما عبر عن جمال الطبيعة، سواء بالوصف الجزئيّ، أو كغرض رئيس في وصف الطبيعة الساكنة والمتحركة.

٢– السياق الثقافي:

يشتمل السياق الثقافي على "" الاعتقادات المشتركة بين أفراد البيئة اللغوية والمعلومات التاريخية، والأفكار والأعراف المشاعة بينهم ، فهذا السياق هو المعين على فهم عبارات مثل " فلان جبان "وتجمد بينهم الجليد"، ونحو ذلك مما هو مرتبط بالحياة الاجتماعية أو له صلة بثقافة المجتمع الدينية، أو السياسية، أو الاجتماعية بوجه عام"[٧٩٧].

([٧٩٣]) المقامات:٧١–٧٤.

([٧٩٤]) نفسه:١٦٤–١٦٥.

([٧٩٥]) نفسه:١٩٨–١٩٩.

([٧٩٦]) الأدب في العصر المملوكي:١٠٢/٢.

([٧٩٧]) ينظر: المعنى وظلال المعنى:١٦١.

يولي مالينوفسكي Malinwiski اهتماماً واضحاً بالخلفية الثقافية للنص، لأن الكشف عن هذه الجوانب الثقافية يمنح النص قيمة خاصة من ناحية، كما يساعد على فهمه، وتأيله من ناحية أخرى[٧٩٨].

وتعدُّ عادة المتكلم التي عرف بها وسيلة مهمة من وسائل توجيه المعنى في موضوعات متعددة، وهي جزء لا يتجزأ من نظرية السياق عند "فيرث" ؛ لأن الواقع يدلُّ أن القرائن الخارج المؤثرة أكثر عدداً، وأشد اتساعاً من أن تحصر و توضع لها المعايير الثابتة، ولذا هي متروكة لتقديرات المتخاطبين بعدِّهم ينتمون إلى بيئة لغوية واحدة، ويتقاسمون الاعتقادات والتخمينات نفسها المرتبطة بالسياق[٧٩٩]. وبرهن الأدباء في هذا العصر على تفوقهم ومدى قدراتهم الأبية واللغوية، فعرضوها في النص المقامي وضمنوه معلومات أدبية ونقدية ووصفية في مجالات شتى، فضلاً عن استيعاب النص المقامي لثقافة الأديب المتنوعة في مختلف العلوم التي انتشرت في تلك الحقبة، فنجد مقامات السيوطي بمنزلة موسوعة تضمُّ مختلف العلوم والفنون من (معارف دينية ودنيوية)، فلم يترك علماً إلاّ وكتب فيه، فأورد معلومات طـبية وأدبية وفـقهية، ومقامـات سياسية على لسان الأزهار والبواقيت يرمز بها لصراع المماليك على الحكم والسلطة، إذ أخبر عن نفسه بقوله:((**رزقت ولله الحمد التبحر في سبعة علوم، التفسير، الحديث، اللغة، النحو المعاني، البيان،البديع على طريقة البلغاء لا على طريقة المتأخرين من العجم وأهل الفلسفة، ودون هذه السبعة في المعرفة أصول الفقه والجدل والتصريف، ودونها الإنشاء والترسل ودونها الطب**))[٨٠٠].

أنشأ السيوطي لغة مقاماته على طريقة الأسلوب البديعي الذي ورثه العصر الذي عاش فيه السيوطي عن القرون التي سبقته، فالذوق الأدبي العام في عصر السيوطي يميل إلى الأسلوب البديعي، ويفضله على الترسل؛ لذلك فإن السيوطي كتب مقاماته تبعاً لأسلوب البديعيين، فاستخدم الأساليب البديعية ، من جناس ، وطباق، وسجع، وغيرها من الوسائل التنغيمية ، وضمن هذه اللغة المثقلة بحلل البديع كثير من الأمثال المستقاة من واقع البيئة العربية، والاقتباس من القرآن الكريم، والشعر والإشارة إلى بعض الجوانب التأريخية، وهذا ما نحاول الكشف عنه لاحقاً في التناص .

ويحقق السجع في مقامات السيوطي دوراً في اتساق النصوص المقامية، وكثر في المقامات بشكل كبير، إذ لا تكاد تخلو منه مقامة نذكر من أمثلته في:

ـــ المقامة المسكية في أنواع الطّيب((حَضَرَ أُمَرَاءُ الطاّيب بين يدي إمامٍ في البلاغة خطيب؛ فقالوا: أيدَ اللهُ مولانا وتولاه، وأمدّه بالمكارمِ وولّاه، وأولاه من نعمه، وما أجَدَره بذلك وأولاه، وحرسه من المكاره ووقاه، وأصعده إلى ذروة المجد ورقاه، إنا معشر إخوان، وعلى الخير أعوان، نرصد للخيرِ، ونقصد لدفع الأذى والضيرِ)) [٨٠١].

([٧٩٨]) ينظر: نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري:٢٩.

([٧٩٩])ينظر: المعنى وظلال المعنى:١٦٠-١٦١.

([٨٠٠]) الاقتراح:٩، وينظر: حسن المحاضرة ١: ١٩٠.

([٨٠١]) المقامات:٥٢.

ـــ المقامة التفاحية في أنواع الفواكه((سألت طائفة فاقهة، عن مناقب الفاكهة، وصفاتها المشاكهة، وما ضرب لها من الأمثال والمشابهة، وما قاله فيها كل طبيب أريب، وكل شاعر أديب))[٨٠٢].

ـــ المقامة الزمردية في خضراوات السبعة((سأل سائل من أهل الوسائل من يقصد في المسائل، ويرصد لديوان الرسائل عن الخضروات السبعة المنفردة باللواء واللمعة، و أجدر منها نفعه، وأجدر وقعه، وأسرع وضعه، وأوضع سرعه، وأنصع في فن الطب شرعه...))[٨٠٣].

فبالإضافة إلى ماحققه السجع من نغمة موسيقية جميلة، تطرب لها النفوس، فقد حقق ربطاً معنوياً لنص المقامي الواحد.

ومن الألوان البديعية الأخرى التي تزخر بها لغة المقامات، والتي حققت للنص قيمة موسيقية عالية الجناس، ولعل النوع الغالب منه على مقاماته هو الجناس الناقص، ومن أمثلته: قوله:((**وحميتهم بها في الغَيبة عن الغِيبة، التي هي من الأسنة من الا سنة**))[٨٠٤]، وأيضاً قوله:((**ومن سلك في جوارهم وسار على جوارهم**))[٨٠٥]، وفي قوله:((**قد ضاقَ النِطاقُ، وجاءَ تكليفُ ما لا يُطاقُ**))[٨٠٦]، ويظهر لنا أن جناس السيوطي في مقاماته، ساعده عليه محصوله اللغوي الواسع.

ومما يكشف عن السياق الثقافي في مقامات السيوطي، ثقافة العصر الواسعة الذي عاش فيه، لذكره مختلف أنواع الفنون، وعلماء هذه الفنون التي ذكرها في مقاماته، إذ يذكر المقرئ، والمحدث، والفقيه، والأصولـــي، والنحوي، والبليغ، يصورون بمصطلحات علومهم الخوف من عودة الطاعون الذي رحل فأنشأ كل واحد منهم أيضاً صورة أدبية رائعة صاغها بمصطلحات فنه تورية عن الفرحة برحيله، وشكر الله على زوال همه وغمه ونستدل على ذلك بشاهد قول الصرفي:((**قد زلزل الطاعون الناس زلزلة وزلزالا وقلل الجلاس قلقة وقلقالاً، وصلصل أصوات الناعيات صلصلة وصلصالاً، وأدرج كل ميت في أكفانه إدراجه...**))[٨٠٧]، وقال عند رحيل الوباء((**قد حصل النجاح، واتسع المراح، ونادى داعي الفلاح، ووقع الاعتدال، وانفك القلب من الاختلال، فالحمد لله على السلامة من الاعتلال**))[٨٠٨]،والذي يكشف كذلك عن ثقافة المجتمع ؛إذ إنّه أدار الحوار في بعض مقاماته على لسان عشرين عالماً، وذلك في المقامة الدرية أو الطاعونية، وفي المقامة النيلية أو البحرية، إذ وصف كل واحد منهم الحال بألفاظ أو مصطلحات علمه، من دون أية مناقشه أو سؤال، وفي مقامة الرياحين يدور نقاش حاد بين سبعٍ من الرياحين، التي يرمز بها لنظام الحكم والصراع بين الحكام المماليك، واكتفي بإيراد جانب من هذا الحوار الذي يدور بين البنفسج والنيلوفر والنسرين((**فقام البنفسج وقد التهب ولاحت عليه زرقة**

([٨٠٢]) نفسه:٧٧.

([٨٠٣]) نفسه: ١٠٦.

([٨٠٤]) نفسه: ٢٣٥.

([٨٠٥]) نفسه:٢٣٦.

([٦]) نفسه:١٦٨.

([٨٠٧]) نفسه :٢٠٨.

([٨٠٨])المقامات: ٢١٥.

الغضب، وقال: أيها النسرين، الست عندنا من المعدودين، ولا في العلاج من المحمودين لأنك حار يابس إنما توافق بين المبرودين، ولا تصلح إلاّ للمشايخ والمبلغمين، وأنت كثير الإذاعة فلست على حفظ الأسرار بأمن،.. فقال النيلوفر على ساق وحشد الجيوش وساق وأنشد بعد إطراق:

بنفسج الروض تاه عجباً وقال طيبي للجو ضمخ

فاقبل الزهر في احتفال والبان من غيظه تنفخ

ثم قال: أيها البنفسج، بأي شيء تدّعي الإمارة وتطاوع نفسك والنفس أمارة...))[٨٠٩]، وهكذا يدور الحوار بين الأنواع السبعة، بجانب من النقد اللاذع للآخر، وهذا ينم عن عبقرية وثقافة السيوطي اللامعة والفذة، فإذا لم يستطع ذكر الأسماء صراحة والتعبير عما في داخله، فإنه من خلال الرمز وذكر كل شيء مناسب لنوع الزهر الذي يدور الحوار عليه أي بالمصطلحات المناسبة.

ومن المقامات التي تعبر عن ثقافة العصر، ما ذكره من الألفاظ في المقامة الزمردية في وصف بعض أنواع الخضروات منها:((**القرع، والهندباء، والخس، والرجلة، والبامية، والملوخيا، والخباز، منها قوله في القرع: القرع وما أدراك ما القرع ؟ ذو الفضل الذي انتشر والذي كان يحبه سيد البشر، كم فيه من حديث ورد، وخبر مقبول ورد،... بارد ورطب في الدرجة الثالثة، دواء نافع من الأدوية العائثة العابثة، وهو أقل الثمار لصيفية كلها مضرة وأيسرهم في المعدة لابثة...)**[٨١٠]،فستعمل بعض الألفاظ منها(العائثة: أيّ تعيش بالجسم فسادًا، والعابثة: من العابث: أيّ الهَازِل المستخف بأمور الناس وأرد به هنا العبث بصحة الأنسان)[٨١١]، وفي المقامة الفستقية وهي:((**الفستق، واللوز، والجوز، والبندق، والشاه بلوط، وحب الزلم، وحب الصنوبر، منها ما قاله في البندق: وأمّا البندق فأغلظ وأغذى من الجوز، وفي الحرارة دون اللوز، لفظه فارسي واسمه العربي جلوز، وهو إلى حرارة ويبوسة قليلة، وفيه خواص ومنافع جليلة، منها أنه يزيد أكله في الدماغ، ويتفع من السموم ولدغ العقرب اللداغ، ويقوي المعى المدعو بالصائم، وينفع السعال المزمن ومن النفث الحادث من الرثة والصدر**))[٨١٢]، ومن الألفاظ (النفث: ما يلقى من الفم من البصاق)[٨١٣]، ويلحظ أيضًا أن أغلب هذه الأنواع والألفاظ التي ذكرها تعبر عن بيئة وثقافة العصر الذي عاش به السيوطي، وخير تصوير عبر عنه السيوطي في المقامة الطاعونية، أو المقامة الدرية في الطاعون والوباء، فقد اجتاح مرض الطاعون مصر سنة (٨٩٧هـ)،إذ إنَّه صور الطرق والوسائل والعادات والتقاليد التي كان يسلكها أهل البلاد لعلاج المرض والوقاية منه، كي ينجو بحياتهم من شر هذا الوباء، فقد عكفوا على قراءة كتب الطب، وألزموا أنفسهم بأنواع محدد من الأطعمة والأشربة، وابتعدوا عن أخرى، ويكشف عن بعض التقاليد والأفكار التي كانت متغلغلة في عقولهم،

([٨٠٩]) المقامات:٣١-٣٢.

([٨١٠]) نفسه:١٠٧، ١٠٨.

([٨١١]) المعجم الوسيط:٣٤٧.

([٨١٢]) المقامات:١٢٧.

([٨١٣]) المعجم الوسيط:٥٨٥.

وبخاصة عندما ذكر أنهم علقوا الفصوص، ورتبوا أدعية لم ترد في الكتاب والسنة، وذكر ذلك في قوله:((**وأكثر الناس من أشياء لا تغنيهم، وأمور لا تعنيهم، من ذلك استعمال قزابض، ومجففات وحوامض، وتعليق فصوص، لها في كتب الطب نصوص، وهذا باب قد أدعيا الأطباء، واعترف بالعجز عن مداواته الألباب:**

لكل داء دواء يستطب به إلا الحماقة والطاعون والهرما

وأناس قد رتبوا أدعية لم يرد بها حديث ولا أثر، وابتدعوا أذكارًا من عند أنفسهم))[٨١٤] .

ويكشف السيوطي عن ثقافة العصر الواسعة، وذلك بذكر العلماء الذين اشتهروا في عصره، ومصطلحاتهم، وهم: المقرئ، والمحدث، والفقيه، والأصولي، والنحوي، والبليغ ، يصورون بمصطلحات علومهم،خوفهم من عودة الطاعون الذي رحل؛ فأنشأ كلّ واحد منهم أيضًا صورة أدبية رائعة صاغها بمصطلحات فنه تورية عن الفرحة برحيله، وشكر الله على زوال همه وغمه، وعن روح الفكاهة للمجتمع المصرية في استخدام التورية، ونستدل بشاهد قول المُقرئ:((**تبارك الذي بيده الملك، وتعالى مُسَيّر الفلك ومسخر الفُلك، الحمدُ لله الذي رفع الطاعون، وجنبنا الذين يراءون ويمنعون الماعون، ونعوذ بالله من سوء المنقلب، ومن شر غاسق إذا وقب، فطوبى لمن عقد توبة تنقذه يوم الحشر، وملأ صحيفته حسنات تكون عند نشوه طيبة النشر))**[٨١٥].

والسيوطي عندما أجرى الحديث على لسان كل واحد منهم؛ فأراد تصوير للقارئ والمتلقي ثقافة المجتمع وحال الناس قبل حدوث الأمر وبعده، فيقول في المقامة البحرية أو النيلية:((**وما زال بحره البسيط المديد))**[٨١٦]، فهو يوجه بمصطلحات علم العروض، ومن ذلك قول النحوي في نقص فيضان النيل موجهًا: ((**وأصبح النحوي يلتقط الحب كأنه ابن عصفور، ويقول: السعر ممدود والمال مقصور، وأنا وكتبي للبيع جار ومجرور، قد كسر باب الإنافة، ورفع باب الإضافة، لقد لقينا أمرًا إمرا، وضرب زيد عمرا))**[٨١٧] فألفاظ (ممدود ومقصور وجار ومجرور وإضافة) كلها من المصطلحات علم النحو التي كانت تستخدم بكثرة، كما أنه استخدم التوجيه باسم عَلَم من أعلام المدرسة المصرية النحوية وهو ابن عصفور(*)، دلالة على ثقافة المجتمع الذي عاش به السيوطي.

وفي المقامة المصرية، يورد كم هائل من المفردات اللغوية، ذات معانٍ متعددةٍ، وممّا جاء به قوله:((**تمهل قليلاً واسمع إلى بيتين كالسلسبيل ليس إلى ثالث لهما من سبيل، فقلت: هات يا بارقة المزن، وباقعة الزمن، فقال عند ذلك منشداً:**

منبري طاب سره لو يكُ الوعظ من بري

([٨١٤]) المقامات:١٩٨، ١٩٩.

([٨١٥]) نفسه :٢١١.

([٨١٦]) نفسه:١٦٢.

([٨١٧]) المقامات:١٦٩.

(*)هو: علي بن مؤمن بن محمد بن عصفور الإشبيلي الأندلسي النحوي (ت ٦٦٩هـ) وهو صاحب((المقرب، وضرائر الشعر)، ينظر: بغية الوعاة ٢: ٢١٠.

عنبري ضاع نشره لـو رويناه عن بـري[٨١٨].

وقد أورد السيوطي هذا في كتابه بغية الوعاة ، قائلاً: ((وقد نظمت أنا في مقاماتي بيتين ولا أظن أن لهما ثالثًا وهما...))[٨١٩]، ثم ذكر البيتين، والسيوطي يعجب بهذا الجناس الوارد في البيتين وهو يعرف بجناس رد العجز على الصدر، أو جناس التركيب، ففي البيت الأول: منبري، ومن بري، بمعنى بريء النية، وفي البيت الثاني: عنبري، وعن بري، بالمعنى نفسه، وفيها تكلفًا واضحًا.

ويتضح لنا مما تقدم إنَّ العصر الذي عاش فيه السيوطي شهد حركة علمية نشطة وازدهارًا ثقافيًا في مختلف أنواع الفنون، كما هو بين في المقامات السيوطي، على عكس ما أشيع في أوساط الباحثين في عصرنا الحالي من أن هذا العصر هو عصر تخلف وجمود فكري، إذ إنَّه عصر تكالبت فيه الأمم والمحن على الأمة الإسلامية، فكان لابد لهذه الأمة من أن تتمسك بأسباب وجودها وأن تتشبث بحضارتها وثقافتها، كما كان عصر المماليك بمثابة الوعاء الذي وسع تأليف أكثر الموسوعات والمراجع في مختلف العلوم والفنون، فلولا نتاجه العلمي والأدبي، لما كان من الممكن وصل تيار الأدب عند العرب قبل هذا العصر بالتيار نفسه بعده، وتعويض الخسارة التي لحقت هذه الأمة على أيدي التتار والصلبيين والفرنجة في المشرق، أو المغرب[٨٢٠]، وكلّ هذا بالإضافة إلى الكم الهائل من الموسوعات في مختلف العلوم والمجالات، حيث نشطة حركة التأليف وتفرغ أهل العلم لهذا العمل، وأبدعوا في هذا العمل، ومن ذلك موسوعة صبح الأعشى في صناعة الإنشاء للقلقشندي، أيضاً عصر عاش به ابن خلدون، والمقريزي وغيرهم، ويطلق عليه شوقي ضيف عصر أحياء التراث وتجديده[٨٢١].

([٨١٨]) المقامات:١٨٤.

([٨١٩]) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: ٢/٢٥٩.

([٨٢٠]) ينظر: الحركة الشعرية زمن المماليك في حلب الشهباء أحمد فوزي الهيب:٧٣.

([٨٢١]) ينظر: عصر أحياء التراث العربي وتجديده، شوقي ضيف، مجلة المجلة، العدد١٢٢، سنة١٩٦٧م:٦-١٨.

ثانياً: الشاص:

مصطلح نقدي حديث لم يعرف في الدراسات النقدية العربية إلا في العقود المتأخرة، وهو وليد الدراسات اللغوية والأدبية والنقدية الحديثة ودخل الأدب العربي عن طريق الترجمة للكلمة الفرنسية(Intertex)[٨٢٢]، وتعني التبادل النصي، ويرى بعض الدارسين أن لهذا المفهوم جذوراً في التراث العربي، إذ يتمثل بمصطلحات أخرى وهي(الاقتباس، والتضمين، والسرقات الأدبية، والاقتصاص)[٨٢٣]، وتناوله علماء البلاغة والنقد العربي بدراسات موسعة من خلال العناية بالمعارضات الشعرية، والسرقات الأدبية، والاستشهاد والاقتباس، وهو من سمات ومعايير النصية[٨٢٤].

ولم يتفق المترجمون العرب المعاصرون على تعريب المصطلح، فبعضهم ترجمه إلى التناص ، وآخرون إلى التناصية، وفريق آخر إلى النصوصية، وفريق رابع إلى تداخل النصوص، ومع ذلك فإنَّ المصطلح الأول هو الذي شاع وانتشر[٨٢٥]، إذ تستعمل الدراسات مصطلح التناص وحده، بل مصطلحات مرادفة مثل التناصية والنصوصية[٨٢٦]، والتعالق النصي[٨٢٧]، وتداخل النصوص والحوارية[٨٢٨]،والنص الغائب[٨٢٩]،ومع اختلاف هذه المصطلحات إلا أنَّ هناك جامعاً يجمعها ويربطها، وهو الكشف عن حالة من العلاقات القائمة بين نص ونصوص أخر مرتبطة به، وقعت في حدود تجربة سابقة.

ويرى رولان بارت أن الأدب نصاً واحداً؛ لأنَّ جميع الأعمال الأدبية من صنع كاتب واحد غير زمني، وغير معروف، فكل نص تناص[٨٣٠]،ولذلك يقول:((التناص ليس دائماً سرقة، بل قراءة جديدة، أو كتابة ثانية ليس لها المعنى الأول نفسه، ومن ثَّم، كان االتناص صورة تضمن للنص وضعاً ليس للاستنساخ وإنما للإنتاجية)) [٨٣١]،وعلى هذا؛ فإنه يرى أن النص عبارة عن نسـيج من الاستشهادات والكتابات المضاعفة[٨٣٢]،وميدان لتداخل ثقافات متعددة في حوار ومحاكاة ساخرة[٨٣٣].

([٨٢٢]) ينظر: النص الغائب تجليات التناص في الشعر العربي:٢٨.

([٨٢٣]) ينظر: المعايير النصية في القرآن الكريم :١٧٥.

([٨٢٤]) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق:٧٤- ٨٠.

([٨٢٥]) ينظر: قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني:١٣٧،والنص الغائب:٤١.

([٨٢٦]) ينظر: آفاق التناصية المفهوم والمنظور:٦٠،واللسانيات وآفاق الدرس اللغوي:١١٨،ونظرية النص الأدبي:٥٥.

([٨٢٧]) ينظر: التعالق النصي في الشعر السعودي الحديث:٢١.

([٨٢٨]) ينظر: الخطيئة والتكفير:٢٨٨ومابعده.ا

([٨٢٩]) ينظر: ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب العربي مقاربة بنيوية تكوينية:٢٥١.

([٨٣٠]) ينظر: سيميائية النص الأدبي:٤٥.

([٨٣١]) لذة النص عند بارت:٢٩- ٣٠.

([٨٣٢])ينظر: قضايا الحداثة عند عبد القاهر االجرجاني:١٤٩، ونظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال:٢٥٣.

([٨٣٣])ينظر: موت المؤلف...نقد وحقيقة:١٩.

وقدرة الكاتب على التفاعل مع نصوص غيره من الكتاب لا تأتي إلاّ بامتلاء خلفيته النصية بما تراكم من تجارب نصية، وقدرته على تحويل تلك الخلفية إلى تجربة جديدة تسهم في التراكم النصي القابل للتحول والاستمرار بنحوٍ دائم[٨٣٤]؛لأنَّ التناص يعدّ معياراً أساسياً في نصية النص، ويبرز ذلك من خلال كونه ممارسة تتجسد منها مقدرة الكاتب على التفاعل مع النصوص الأخرى من نصوص غيره من الكتاب لينتج نصّاً جديداً؛ لذلك فهو يرى حتمية التناص في كلِّ نص مهما كان جنسه[٨٣٥].

ويختار جيرار جنيت تسمية مغايرة لمصطلح التناص فيسميه التعالي النصي أو عبر النصية، وهو ما يجعل النص في علاقة خفية أو جلية مع غيره من النصوص[٨٣٦]،ويركز في التمظهر الشكلي للتناص.

والتناص هو:((العلاقة بين نص ما ونصوص أخرى مرتبطة به، وقعت في حدود تجربة سابقة قد تكون بوساطة أو بدون[*] وساطة، والملخص الذي يُذكّر بنص مبعد قراءته مباشرةً يُمثل تكامل النصوص بلا واسطة))[٨٣٧].

وظهر التناص لدى ميخائيل باختين مفهوماً لا اصطلاحاً، وأطلق عليه اسم الحوارية– Dialogisme) أي حوار النصوص، وصيغ تعالق بعضها مع بعض[٨٣٨]،واستفادت الباحثة " جوليا كرستيفيا" من المفهوم السابق فقدمت مصطلح التناص في عدة بحوث كتبتها بين سنتي(١٩٦٠–١٩٦١)مستنبطته من حوارية باختين[٨٣٩]،وترى بأن التناص هو ترحال النصوص وتقاطعها في فضاء نص معين جديد، فتظهر عدة ملفوظات مقتطعة من نصوص أخر، لتخلق نصاً جديداً[٨٤٠]،أي إنَّ هناك تداخلاً، وتعالقاً بين النصوص؛ لأنَّ النصَّ ليس ذاتاً مستقلة، أو مادة موحدة، ولكنه سلسلة من العلاقات مع النصوص الأخرى[٨٤١]،أو ترى أن كل نص هو عبارة عن لوحة فسيفسائية من الاقتباسات التي تنحدر من منابع ثقافية متعددة، وكلُّ نص هو تشرب، وتحويل لنصوص أخر [٨٤٢]، وعلى هذا؛ فإنها تجعل من التناص قراءة متعددة في نص واحد، تحيلنا إلى نصوص وخطابات أخرى متعددة، يمكن أن تتطابق مع النص المتعين.

([٨٣٤])ينظر: الرواية والتراث السردي :١٠–١١.

([٨٣٥])ينظر: نظرية النص، ضمن آفاق التناصية:٤٣.

([٨٣٦])ينظر: مدخل النص جيرار جنيت:٩٠.

(*) بدون: والصوب (من دون).

([٨٣٧]) النص والخطاب والإجراء:١٠٤.

([٨٣٨]) ينظر: نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال:٢٥٣.

([٨٣٩]) ينظر: قضايا الحداثة عند عبد القاهر االجرجاني:١٤٧، ودراسات في تعدي النص:٨،وانفتاح النصّ الروائي(النص والسياق):٩١.

([٨٤٠]) ينظر: علم النص :جوليا كريستيفا:٢١.

([٨٤١])ينظر: الخطيئة والتكفير:٣٢١، والنص الغائب:٢٨.

([٨٤٢]) ينظر: الأسلوبية وتحليل الخطاب(تحليل الخطاب الشعري والسردي):٩٦،وتحليل الخطاب الشعري(استراتيجية التناص):١٢١،وفي نظرية الأدب وعلم النص:١٩٨.

ويرى تودوروف أنَّ كلَّ ما يوجد هو تحويل من الخطاب إلى آخر، ومن نص إلى نص، وهو يقترب من مفهوم كريستفيا لنشوء النصّ[٨٤٣]،وعلى الرغم من تعدد تعريفات التناص عند اللغويين؛ فإنَّها تُظهر نوعاً من التعالق أو التبادل، أو التداخل (اللفظي أو المعنوي) بين نص ما ونصوص سابقة له[٨٤٤]؛لذلك يرى كثير من العلماء أنَّ صفة التناص ملازمة للنصوص، ولا يخلو نصٌّ من حضور أجزاء من نصوص أخرى[٨٤٥]، فالكتَّاب لا يخلقون نصوصهم من عقولهم المبدعة، وإنّما يقومون بتجميعها من نصوص موجودة مسبقاً، فالنصّ بهذا تجميع لنصوص عدة ثقافية، فهو ليس كياناً معزولاً عن النصوص[٨٤٦]،ويمكن تقسيم التناص من حيث المنتج(الكاتب) على[٨٤٧]:

١-الداخليّ:وهو الذي تتفاعل فيه نصوص المؤلف مع بعضها.

٢-الخارجي: وهو الذي يتمثل بتفاعل نصوص الكاتب مع نصوص غيره سواء مع كتّاب عصره، أم مع نصوص في عصور بعيدة.

ومن حيث النصّ المتناص معه يُقسّم على[٨٤٨]:

أ-التناص المباشر: هو الذي يتمثّل بأخذ النص أخذاً مباشراً، ووضعه في النصّ الجديد. ب-التناص غير المباشر: وهو الذي يُستنبط من النص استنباطاً، وهو الذي تذوب فيه عبارات الآخرين في شكل عبارات الكاتب.

ويحدُث التناص بكيفيّات مختلفة حدّدها الدكتور محمد عبد المطلب في نمطين أساسيين[٨٤٩]:

النمط الأول: يقوم على العفوية وعدم القصد، إذ يتم التسرب من الخطاب الغائب إلى الحاضر في غيبة الوعي، أو يتم ارتداد النصّ الحاضر إلى الغائب في الظرف الذهني نفسه.

النمط الثاني: يعتمد القصد والوعي، أي إنّ الصياغة في الخطاب الحاضر تشير إلى الأنحاء إلى نص آخر وقد تكاد تحدده تحديداً كاملاً يصل إلى التنصيص.

وأهميته لا تكمن في استرجاع للمخزون الثقافي، أو استعادة للذاكرة الثقافية، إنّما هو عملية مقصودة لأهداف أهمها تحقيق العملية الأدبية للتواصل الناجح بين المبدع والقارئ، وهو سياق أدبي خلاق، تُلغى

فيه الحدود بين الماضي والحاضر في سبيل تجديد الأدب وتطويره[٨٥٠]،لهذا فالتناص يُعد بمنزلة الهواء، والماء، والزمان، والمكان للمؤلف أو الكاتب، فلا حياة له من دونها، ولا وجود له خارجها[٨٥١]

---

(٨٤٣) ينظر: الشعرية: ٧٦.

(٨٤٤)ينظر: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه:١٠٠،و بلاغة الخطاب وعلم النص:٢٢٩.

(٨٤٥) ينظر: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقة:١٠٠.

(٨٤٦) ينظر: نظرية التناص:٥٥

(٨٤٧)ينظر: علم النص:٢٤٧،وسورة البقرة دراسة في ضوء علم لغة النص(رسالة ماجستير):٥٣.

(٨٤٨)ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق:٧٩-٨٠،وسورة البقرة دراسة في ضوء علم لغة النص(رسالة ماجستير):٥٤.

(٨٤٩)ينظر: قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني: ١٥٣.

التناص في مقامات السيوطي:

إنتاج الكاتب لنص ما ليس نشاطاً إبداعياً منفرداً، بل يكون الكاتب على معرفة بعدد كبير من النّصوص التي تؤثر بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في إنتاجه [٨٥٢].

يتنوع التناص في مقامات جلال الدين السيوطي بما يكشف عما تختزنه ذاكرة الكاتب من موروث ثقافي كبير وسعة محفوظة من شعر والفقه والنحو والطب والتاريخ... الخ، فضلاً عن أن كثرة الاستمداد ممن سبقه من الأدباء والشعراء والعلماء ضرب من التواصل بينه وبين من تقدمه من علماء العرب وشعرائهم في مختلف العصور، والناظر في المقامات يلحظ كثرة التناص مع القرآن الكريم، والحديث الشريف، ومؤلفات الآخرين، وكثرة التمثيل والاستشهاد بشعر من سبقه من الشعراء، ومن الطبيعي أن يكون هذا التنوع في التناص عند السيوطي فهو إمام في التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البلاغة، وهو إمام عصره؛ لذلك انعكست هذه الدراسة أو الثقافة الواسعة التي ألمّ بها على نصوص في المقامات:

التناص مع القرآن الكريم:

يقوم هذا النوع من التناص على ذكر السيوطي لعددٍ من آيات القرآن الكريم وتضمينها في المقامات، وهذا التناص منه ما كان مباشراً، ومنه ما كان غير مباشر.

فمن التناص المباشر قوله في مقامة الرياحين:((**أنا الوَردُ مَلِك الرياحين، والواردُ مُنْعِشاً للأرواحِ ومِتاعاً لها إلى حين، ونديم الخلفاء والسلاطين**)) [٨٥٣]،تناص مع قوله تعالى:﴿**ولكم في الأرض مستقرٌ ومتاع إلى حين**﴾ **البقرة (٣٦)** .

وقوله في موضع من المقامة:((**أيّها البَنفْسَج؛ بأي شيء تَدّعي الإمارةِ؟ وتطاوعُ نفسَك، والنفسُ لأمّارة**))[٨٥٤]، تناص مع قوله تعالى: ﴿ **وما أبرئ نفسي إنّ النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي**﴾(يوسف:٥٣)، وفي موضع آخر يقول:((...**ولما سمعت الرياحين هذه الأحاديث في فضله أطرقوا رؤوسهم خاشعين وظلت**

([٨٥٠])ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق:٧٧.

([٨٥١])ينظر: تحليل الخطاب الشعريّ (استراتيجية التناص):١٢٥.

([٨٥٢])ينظر: علم لغة النصّ النظرية والتطبيق:٨٢.

([٨٥٣]) مقامات :١٥.

([٨٥٤]) نفسه:١٩.

أعناقهم لها ودخلوا تحت أمره سامعين طائعين))[٨٥٥]، تناص مع قوله تعالى:﴿**فضلت أعناقهم لها خاضعين** ﴾(الشعراء:٤).

وفي قوله:((**ومدوا يديهم له مبايعين بالإمرة ومتابعين، وقالوا: لقد كنا في غفلةٍ من هذا إنا كنا ظالمين وتواصوا على إشاعة ما فضله الله به وقالوا: لا نكتم شهادة الله إنا إذاً لمن الآثمين، و قضى بينهم بالحق وقيل: الحمد لله رب العالمين**))[٨٥٦]، تناص مع ثلاث آيات من سور مختلفة من القرآن الكريم هي :قوله تعالى:﴿**يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين**﴾(الأنبياء : ٩٦)، وقوله تعالى: ﴿**ولا نكتم شهادة الله إنا إذاً لمن الآثمين** ﴾(المائدة :١٠٦)، وقوله تعالى﴿**وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين**﴾ (الزمر:٧٥) .

وقوله في المقامة المِسْكِيَّة: ((**فتواصينا على حسن السير، وتواطأنا على الصّلح- والصلح خير- واصطلحنا على ترك الجدال والجلاد، وضربنا إليك أكباد الإبل من أقصى البلاد**))[٨٥٧]، تناص مع قوله تعالى:﴿**وَإِنِ امرأة خافَت مِن بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلحاً وَالصُّلْحُ خَيْرٌ**﴾ (النساء:١٢٨) .

وقوله في المقامة الياقوتية:((**الحمدُ لله الذي خلقني في أحسن تقويم، وجعلني أبهى في العين من الدّرّ النظيم**))[٨٥٨]، تناص مع قوله تعالى:﴿**لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم**﴾ (التين :٤).

وفي المقامة البحرية:((**وقيل: يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي، ويا زيادة النيل من حيث جئت فأرجعي، وغيض الماء وانقشعت السماء، وقضى الأمر، واستوت القلوب على أحرّ من الجمر**))[٨٥٩]، **تناص مع قوله تعالى:**﴿**وَقِيلَ يَا أَرضُ ابلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقلَعي وَغِيضَ الماءُ وَقُضِيَ الأَمرُ وَاستَوَت على الجُودِيّ وَقِيلَ بُعداً لِلقَومِ الظَّالِمِينَ**﴾(هود:٤٤)، وفي مقامة الروضة:((**روضة ذات محاسن، فيها أنهار من ماء غير آسن،**

---

(٨٥٥) المقامات:٥٠.

(٨٥٦) نفسه:٥٠.

(٨٥٧) نفسه:٥٣.

(٨٥٨) نفسه:١٣١.

(٨٥٩) نفسه:١٦٤.

وأشجار تُنْبتُ أفانين الأحاسن، وأزهار مابين مفتوح العين ووَسِن، وأطيار ترنمت بلغات يعجب منها كل فصيح ولَسِن))[٨٦٠]، تناص مع قوله تعالى ﴿**مَّثَلُ الجَنَّة الَّتِي وُعِدَ المُتَّقُونَ فِيهَا أَنهَارٌ مَن مَّاءٍ غَيرِ ءاسنٍ وَأَنهارٌ من لَّبَنٍ لَّم يَتَغَيَّر طَعمُهُ**﴾(محمد: ١٥).

وفي قوله:((**روضة هي مجمع البحرين، ومختار تقابل مطلع البدرين، ومنهاج يسير فيه كل فلك من النواعير وبدر، فهي على كل الأحوال ذات النورين))**[٨٦١]، تناص مع قوله تعالى: ﴿**وَ إذ قال مُوسَى لِفَتَاهُ لا أبرَحُ حَتَّى أبلغَ مجمَعَ البحرين أو أمضي حُقباً**﴾(الكهف :٦٠) .

وقوله في روضة مصر ملكة المتنزهات بأنها:((**لم يفزع غيرها بحسن إلا وكان لها منه قسم قسيم، ولم تتقابل وجوه المناظر إلا وكان وجهها وسيم، فلا غرور أن كانت ملكة المتنزهات؛ فإنها أوتيت من كُلِّ شيء ولها عرش عظيم))**[٨٦٢]، تناص مع قوله تعالى: ﴿**إنِّي وَجَدتُّ آمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيءٍ وَلَها عَرشٌ عَظِيم**﴾(النمل :٢٣) .

وكذلك قوله في وصف روضة مصر:((**كُلُّ نفس بما كسبت رهينة، وعلى ما حملت من أمانة دينها أمينة، فهذا يسعى في خلاص ذمته، وأداء أمانته وهذا يوقعه القدر في حبائل جنايته بخيانته))**[٨٦٣]، تناص مع قوله تعالى: ﴿**كُلُّ نَفسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ**﴾ (المدثر :٣٨) .

وقول في المقامة الدّريّة في الطاعون والوباء:((**تبارك الذي بيدهِ المُلك، وتعالى مُسَيّر الفلك ومسخر الفُلك، الحمد لله الذي رفع الطاعون، وجنبنا الذّين يراءون ويمنعون الماعون، ونعوذ بالله من سوء المنقلب، ومن شر غاسق إذا وقب))**[٨٦٤]، في هذا النص تناص مع ثلاث سور من قوله تعالى الأولى: ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ المُلكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ**﴾(الملك:١)،والثانية قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ هُم**

---

(٨٦٠) المقامات:١٨٣.

(٨٦١) نفسه:١٨٥.

(٨٦٢) نفسه :١٨٦.

(٨٦٣) نفسه:١٨٩.

(٨٦٤) نفسه:٢١١.

﴿يُرَآءُونَ (٦)وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ(٧) ﴾الماعون :٦و٧،والثالثة قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾(الفلق :٣) .

ومنه ما كان تناصاً غير مباشر، كما في المقامة المسكية:((**وقد كاد يحصلُ بيننا نزاع، أينا أجلّ في المرتبة الطبيّة وأحل في مواطن الانتفاع؟**))[٨٦٥]،إذ فيه تناص مع قوله تعالى: ﴿**الذي أَحَلَّنَا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب**﴾(فاطر :٣٥) .

وفي المقامة نفسها يقول:((**وضربنا إليك أكبادَ الإبل من أقصا البلاد، وقطعنا أليك كل بحر وواد، وقصدناك ونحن أكرم رُوّاد ورُوَّاد**))[٨٦٦]،إذ فيه تناص مع قوله تعالى: ﴿**وَجَاءَ مِن أَقصا المَدِينَةِ رَجُلٌ يَسعَى قَالَ يـقَومِ اتّبعُوا المُرسَلِينَ**﴾(يس :٢٠) .

وقوله:((**أما بعد .. أيها الناس: فإن الله أتى أنواعَ الطّيبِ شرفاً عميماً، وجعل لها في الدنيا والآخرةِ والبرزخ فضلاً عظيماً**))[٨٦٧]، فيه تناص مع قوله تعالى: ﴿**لَعَلي أَعمَلُ صَلِحاً فِيمَا تَرَكتُ كَلّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرزَخٌ إلى يَومِ يُبعَثُونَ**﴾(المؤمنون:١٠٠)،وقوله في المقامة النيلية:((**وكاد أن يجف الخليج،وصار الناس في أمر مَّرِيج،وقالوا:قد شرقت البلاد،وغربت العباد،وشرقت الصدور حين شرقت...**))[٨٦٨]،وفيه تناص مع قوله تعالى: ﴿**بَل كَذَّبُوا بِالحَقّ لَمَّا جَاءَهُم فَهُم فِي أَمرٍ مَّرِيجٍ**﴾ق:٥ .

ومنه قوله في المقامة الدّريّة في الطاعون والوباء:((**وتحملوا من خوف هجومه عليهم الإصر**))[٨٦٩]، فيه تناص مع قوله تعالى: ﴿**لاَ يُكَلِفُ اللهُ نَفساً إِلاّ وُسعَهَا لَهَا مَا كَسَبَت وَعَلَيهَا مَا اكتَسَبت رَبَّنَا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به وأعف عنا وأغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين**﴾البقرة:٢٨٦ .

([٨٦٥]) المقامات :٥٣.

([٨٦٦]) نفسه :٥٤.

([٨٦٧]) نفسه:٥٨.

([٨٦٨]) نفسه:١٦٥.

([٨٦٩]) نفسه:١٩٥.

ويرى الباحث أن التناص مع القرآن الكريم له غاية أدبية جمالية؛ لأنّ أسلوب القرآن الكريم أرقى أساليب اللغة العربية؛ بل يُمثل الأسلوب الأمثل لها، وذلك بما يضيفه على الصياغة الأدبية من صور وأساليب تزيدها رونقاً وجمالاً[٨٧٠]،((وتبرز إلى جانب الغاية الأدبية الجمالية غاية دينية تُبرز كثيراً من المواقف في النص))[٨٧١]،ويتضح مدى عناية وحرص السيوطي بالتأثر بالقرآن الكريم ومعانيه، وإيرادها في مقاماته، ولا يرى الباحث في ذلك تكلفاً بل جاءت منقادة من المخزون الدينيّ في قلب الكاتب ووجدانه، فأدى التناص بالقرآن الكريم غرضه وأعطى دلالات للنصوص المتأثرة به سواء أكان ذلك التناص مباشراً، وهو ذكر النص القرآني كما هو، أو بذكر ألفاظ ومعينة، يمكن القول بسيطرة النص القرآنيّ على النصوص المقامية.

التناص مع الحديث الشريف:

يقوم هذا النوع من التناص على استحضار الحديث الشريف أو جزء منه في النصّ، ورد هذا التناص في مقامات السيوطي، وهذا يدلُّ على أنَّ السيوطي كان ممن يدافعون عن حجية السنة، ومن الضروري الرجوع إليها في الاستنباط ؛لأنه المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي التي يأخذ بها المسلمون في حياتهم، ويُقرّون بما جاء به، وذلك؛ لأن الرسول محمد- صلى الله عليه وآله وسلم-، قد وضع للناس ما فيه من فضائل وشمائل، وسلوكيات، وتشريعات إسلامية كثيرةٍ، أجملت ولم تُبنْ في القرآن الكريم .

وورد بنحوٍ مباشر إذ استحضر السيوطي في أغلب مقاماته عينة الدراسة حديثا شريفاً، وقد نقله نقلاً حرفياً، كما في مقامة الوردية[٨٧٢] يقول: قال النبي(صَلّى الله عليه وآله وسَلَّم):((**إنّ الشيطانَ يُحبُّ الحُمرةَ فإيّاكم والحُمْرَةَ، وكلَّ ثوبٍ ذي شُهرةٍ**))[٨٧٣]، ويذكر في المقامة نفسها روى فيّ حديثٌ راويهِ غيرُ مُقِلّ ولا مُفلسٍ[٨٧٤]:((**شُموا النّرجِسَ فإنّ في القلبِ حبةً من الجُنونِ والجُذامِ والبرصِ لا يقطعُها إلا شُم النَّرجسِ**))[٨٧٥]، وأيضاً قوله عن الآسُ[٨٧٦]، أخرجَهُ ابنُ السُّنيّ(*) وأبو نُعيم(*)عن ابن عباس(رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله(صَلّى الله عليه وآله وسَلَّم):((**أُهبط آدم من الجنةِ بيدهِ ريحانِ الدُّنيا الآسِ**))[٨٧٧].

([٨٧٠])ينظر: نظريّة علم النصّ رؤية منهجيّة في بناء النصّ النثريّ : ٢١٩.

([٨٧١])لسانيّات النصّ بين النظريّة والتطبيق مقامات الهمذانيّ انموذجًا : ١٨٣ .

([٨٧٢]) المقامات:٢١.

([٨٧٣]) الجامع الصغير:٢/ ٥٤.

([٨٧٤]) المقامات:٢٣.

([٨٧٥]) حسن المحاضرة: ٢/ ٤٠٨.

([٨٧٦]) المقامات:٤٠.

(*)وهو أبو بكر أحمد بن محمد، المعروف بأبن السّنيّ، من حفاظ الحديث، وصاحب((عمل اليوم والليلة)) وراوي ((سنن النسائي))، (ت ٣٦٤هـ)، ينظر: طبقات الحفاظ:٣٧٩.

(*)وهو عبد الملك بن محمد بن عدّي المعروف بأبي نعيم الاستراباذيّ(ت ٣٢٣هـ)،ينظر: طبقات الحفاظ:٣٤٠.

([٨٧٧]) حسن المحاضرة: ٢/ ٤١٧ .

(*)وهو أبو بكر أحمد بن عبد الخالق البصري، البزار من حفاظ الحديث (ت٢٩٢هـ)،ينظر طبقات الحفاظ:٢٨٥.

ورَوى البزارُ *حديثَ[٨٧٨]: ((**اختضبوا بالحناءِ فإنّه يَزيدُ في شَبابِكم ونَكاحِكُم**))[٨٧٩]،وروى ابنُ السُّنيِّ حديثَ: ((**عليكم بسيدِ الخِضابِ الحناء يطيبُ البشرةَ ويزيدُ في الجماعِ**))[٨٨٠].

ومن التناص المباشر في المقامة المسكية[٨٨١]،ما رواهُ الحَاكِمُ في المُسْتدركِ وصحّحَهُ إذ رواهُ ، عن أنسِ بنِ مَالك خَادِمِ المُصطَفى ومولاهُ، قال: قال رسول الله (صَلّى الله عليه وآله وسَلّم)، وشرف وكرم وزاد علاه:((**حُبّبَ إليَّ من دُنياكُم النّساءُ والطّيبُ وجُعِلتْ قُرّةُ عيني في الصلاةِ**))[٨٨٢]، وفي حديثٍ آخر[٨٨٣] رويناهُ في الصّحاحِ:((**أربعٌ من سُنَنِ المُرسلينَ: السَّواكُ والتعطُر والحناءُ والنكَاحُ**))[٨٨٤]،وفي الحديثِ:((**مَن عُرِضَ عليهِ طِيبٌ فلا يردهُ فإنهُ خَفِيفُ المحمَلِ طَيِّبُ الريحِ**))[٨٨٥]، وعن أنس{ رضي الله عنهُ} أن رسولَ اللهِ (صَلّى الله عليه وآله وسَلّم):(**كانَ لا يردُّ الطيبَ**)[٨٨٦]رواهُ البخاريُّ في الصحيح، وفي المقامة نفسها[٨٨٧]، وروى ابنُ أبي الدُّنَيا*من حَديثِ أنس عن أعظمِ نبيّ صَعدَ المِنبَر: ((**خَلقَ اللهُ الجنةَ مِلاطُهَا المسكُ وحَشيشُهَا الزّعفرانُ وحَباؤها اللُّؤلؤ وترابُها العنبرُ**))[٨٨٨]،وقد ورد التناص المباشر مع الحديث النبوي الشريف بصورة كبيرة في مقامات السيوطي؛ ويعود ذلك إلى نشأة السيوطي الدينيّة، وفيما يأتي جدولٌ يتضمن الأحاديث النبوية الشريفة التي ضمنها السيوطي في مقاماته:

الحديث النبوي الشريف	المقامة	الصفحة
قال رسول الله(صَلّى الله عليه وآله وسَلّم)(مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأتُرجّة طعمها طيب وريحها طيب)[٨٨٩]	التفاحية	٨٦

([٨٧٨]) المقامات:٤٩.

([٨٧٩]) الجامع الكبير: ١/ ٢٧.

([٨٨٠]) نفسه ١: ٥٨٠.

([٨٨١])المقامات:٥٨.

([٨٨٢]) المستدرك على الصحيحين في الحديث: ٢/ ١٦٠.

([٨٨٣])المقامات:٥٨.

([٨٨٤]) الجامع الصغير:١/ ٢٥٢.

([٨٨٥]) نفسه: ١/ ٣٢٣.

([٨٨٦]) فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ٦/ ١٣٦(باب الهبة).

([٨٨٧])المقامات:٦٠.

(*)عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس القرشي ، مولاهم البغدادي ، المؤدب ، صاحب التصانيف السائرة ، ينظر: سير أعلام النبلاء: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي(الطبقة الخامسة عشر):٢٤٥.

([٨٨٨]) الجامع الكبير: ١/ ٤٠٣.

([٨٨٩]) الجامع الصغير:١٩٨/٥.

قال رسول الله(صَلّى الله عليه وآله وسَلّم)(كلوا السفرجل فإنه يجم الفؤاد، ويشجع القلب، ويحسن الولد)[٨٩٠]	التفاحية	٩١
قال رسول الله(صَلّى الله عليه وآله وسَلّم)(رأيت سدرة المنتهى فإذا نَبِقها كقلالِ هجر)[٨٩١]	التفاحية	٩٩
قال رسول الله(صَلّى الله عليه وآله وسَلّم)(بنى الله جنةَ عدنٍ مِنْ ياقوته حمراء، ولَبِنَةً من زبرجدةٍ خِضراء، ولَبِنَةً من درةٍ بيضاء)[٨٩٢]	الياقوتية	١٣٢
قال رسول الله(صَلّى الله عليه وآله وسَلّم)(الدرجة الثالثة من الجنة دُورها،وبيوتها وأبوابها، وسُرُرُها، ومغاليقها من ياقوت، ولؤلؤ، وزبرجد))[٨٩٣]	الياقوتية	١٣٢
قال رسول الله(صَلّى الله عليه وآله وسَلّم) (درجُها اللؤلؤ والياقوت، ورَضْرَاضها اللؤلؤ، وتُرابها الزعفران)[٨٩٤]	الياقوتية	١٣٢
قال رسول الله(صَلّى الله عليه وآله وسَلّم) (ليس عبد مؤمن يُصَلّي في ليلة من رمضان إلا بنى الله له بيتً في الجنة من ياقوتةٍ حمراء))[٨٩٥]	الياقوتية	١٣٢
قال رسول الله(صَلّى الله عليه وآله وسَلّم)(في الجنة خيلٌ من ياقوت لها من الذهب جناحان، إذا ركبها صاحبُها طارت به في الجِنَانِ)[٨٩٦]	الياقوتية	١٣٢
قال رسول الله(صَلّى الله عليه وآله وسَلّم)(إن في الجنة غُرَفاً من أصناف اللؤلؤ والجوهر))[٨٩٧]	الياقوتية	١٣٧
قال رسول الله(صَلّى الله عليه وآله وسَلّم)(إن أدْنى أهل الجنةِ منزلاً من له دار من لؤلؤةٍ واحدةٍ منها غرفُها وأبوابُها)[٨٩٨]	الياقوتية	١٣٧
قال رسول الله(صَلّى الله عليه وآله وسَلّم)(أنهار الجنة سائحة على وجه الأرض حافاتُها خيام اللؤلؤ وطينها المسك الأذفر)[٨٩٩]	الياقوتية	١٣٧
قال رسول الله(صَلّى الله عليهوآله وسَلّم)(الكوثر شاطئاه اللؤلؤ والزبرجدوالياقوت)[٩٠٠]	الياقوتية	١٣٧

([٨٩٠]) الجامع الكبير: ٦٢٨/١.

([٨٩١]) نفسه : ٨/١.

([٨٩٢]) نفسه: ٨٢/١.

([٨٩٣]) نفسه: ٨٤٣/١.

([٨٩٤]) نفسه: ٨٤٣/١.

([٨٩٥]) نفسه: ٨٥/١.

([٨٩٦]) نفسه: ٧٩٢/١.

([٨٩٧]) نفسه: ٢٥٠/١.

([٨٩٨]) نفسه: ٢٢٣/١.

([٨٩٩])الجامع الكبير: ٦٤١/١.

قال رسول الله(صَلّى الله عليه وآله وسَلّم)(من صام الأربعاء والخميس والجمعة بنى الله له قصراً في الجنة من لؤلؤ وياقوت وزمرد وكتب له براءة من النار)[٩٠١]	الياقوتية	١٤٠
قال رسول الله(صَلّى الله عليه وآله وسَلّم)(في الجنة نهر يقال له: (الريان) عليه مدينة من مَرجان لها سبعون ألف من ذهب وفضة لحامل القرآن)[٩٠٢]	الياقوتية	١٤٢
قال رسول الله(صَلّى الله عليه وآله وسَلّم)(أكبر خرز أهل الجنة العقيق)[٩٠٣]	الياقوتية	١٤٧
قال رسول الله(صَلّى الله عليه وآله وسَلّم)(الحُمّى كِيرٌ من جهنم، فما أصاب المؤمنِ مِنَها كان حظه من النار)[٩٠٤]	الذهبية	١٥٢
قال رسول الله(صَلّى الله عليه وآله وسَلّم) (أتاني جبريل بالحمى والطاعون، فأمسكت الحمى المدينة، وأرسلت الطاعون إلى الشام)[٩٠٥]	الذهبية	١٥٤
قال رسول الله(صَلّى الله عليه وآله وسَلّم)(لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار)[٩٠٦]	اللّازوَرْدِيَّة	٢١٩

يعلق جيرار جينيت على هذا النوع من التناص بأنه يشكل حضوراً فعالاً لنص ما يطلق عليه قديماً بالاستشهادcitation[٩٠٧].

ومن التناص غير مباشر في المقامات كما في المقامة الوردية قوله ((**والأشرف من كل ريحان فخراً بأنّي خُلقت من عرق المصطفى (صَلّى الله عليه وآله وسَلّم)وجبريل، والبراق ليلة الإسراء**))[٩٠٨] إذ إنَّ فيه تناص مع قول الرسول (صَلّى الله عليه وآله وسَلّم) عن أنس قال رسول لله :((**الورد الأبيض خلق من عرق ليلة المعراج، والورد الأحمر خلق من عرق جبريل، والورد الأصفر خللق من عرق البُراق**))[٩٠٩]، وفي نفس المقامة قوله:((**وكفاني شرفاً بين الإخوان ما روي عن سيد ود عدنان :أن دُهني سيد الأدهان**))[٩١٠]، تناص مع قول رسول الله (صَلّى الله عليه وآله وسَلّم): ((**إن فضل البنفسج على سائر الأدهان كفضل الإسلام على سائر الأديان**))[٩١١].

---

(٩٠٠) نفسه:٦٤٤/١.
(٩٠١) نفسه:٧٩٢/١.
(٩٠٢) نفسه :٥٩٢/١.
(٩٠٣)نفسه: ١٣٧/١.
(٩٠٤) نفسه:٧٣٢/١.
(٩٠٥) نفسه: ٨/١.
(٩٠٦) نفسه:٨٣٤/١.
(٩٠٧) ينظر: التعلق النصي:٦٦.
(٩٠٨) المقامات :١٦.
(٩٠٩) الموضوعات :٦٢/٣.
(٩١٠) المقامات:٣٣.
(٩١١) الجامع كبير:٢٤٩/١.

إن استحضار السيوطي لهذه النصوص الدينية (نصوص القرآن الكريم والسنة) بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، يُشير إلى تعدد مصادر بناء هذهِ النصوص، فتصبح بذلك المقامات بنية سردية مفتوحة تتقاطع وتتلاقى فيها نصوص متعددة مقتطعة من نصوص أخر.

التناص مع الشعر:

كان للإرث الكبير للشعر في نفوس العرب وولعهم به أكبر الأثر في تواجده على الساحة الأدبية واللغوية، ليس فقط كنوع منفرد، وهو شكل من أشكال التناص، يتضاعف إذ كان هذا الشعر من إنشاء شاعر أو كاتب آخر، ويشير هذا النوع إلى وجود الحسّ الثقافيّ الخصب لدى السيوطي، وكذلك يحقق للكاتب استمراريّة الماضي مع الحاضر[٩١٢].

والذي ينظر إلى حضور النصوص الشعرية في مقامات السيوطي ووظيفتها يتضح بأنّها من باب الاستشهاد أو التمثيل، فإذا عَدَدْنا هذه النصوص الشعرية الموجودة في المقامات من باب الاستشهاد أو التمثيل فيمكن ذلك؛ ولكن بمجرد حضورها أو استحضارها السيوطي في مقاماته تعدُّ من باب التناص، وهذا ما علق عليه جيرار جنيت قال: إنَّ هذا النوع من التناص يشكل حضوراً فعالاً لنص ما يطلق عليه قديماً بالاستشهاد citation[٩١٣] ، لذلك نرى بأن سلطة النص الشعري وحضورهُ في المقامات كانت لها أثر فاعل في جميع المقامات، وأن التناص مع الشعر يحقق للكاتب استمرارية الماضي في الحاضر ،إذ إنَّ استلهام الشعر في إطار نص نثري يتيح للكاتب دعم نصه بنص، له قبول ثقافيّ واجتماعيّ إلى ابعد مدى، فالشعر ديوان العرب ومبعث فخرهم وولعهم، به ليس لأنه نوع منفرد، بل بعدّه مكوناً أساساً للبنية العليا للأنواع الأدبية الأخرى، والشعر يمثل ثقافة عميقة الجذور في الفكر العربي القديم، والكاتب باختياره الشعر في نصه يعطيه ثقلاً فنياً، ويحوله إلى نص مكتمل الدعائم الأدبية، ومقبول من المتلقي، وبالرجوع إلى المقامات نرى أن السيوطي في مقاماته يلجأ للأشعار، وواضح ذلك التأثر في المقامات بنحوٍ كبير عند صياغة المقامة نثراً، وكان الشعر أداة يؤثر بها الكاتب في القارئ، فأي طريق نثري نجد الشعر مشاركاً له بنحوٍ أو بآخر، إذ يعبر عن الشيء بكلمات قليلة، موزونة تقرع في الأسماع ، ولا تخلو مقامة من ذكر أبيات من شعراء قدامى أو معاصرين للسيوطي، وجاء توظيف التناص من الشعر على شكل التوظيف الكلي، وهو الذي يكون فيه الاستشهاد ببيت أو أكثر، ولا يكون أقل، وسواء كان الشعر الموظف من شعر الكاتب نفسه، أو من غيره، يمكن للكاتب أن يصرح بالقائل بالإشارة في عبارة تمهيدية أو يجعله غفلاً[٩١٤]،ونرى ذلك في المقامة الوردية، حيث يبدأها نثراً في وصف الورد، ثم يأتي بعد ذلك بالوصف والمعنى نفسه في صورتها الشعرية كما يأتي قال الشاعر[٩١٥]:

---

(٩١٢) ينظر: لسانيات النص بين النظرية والتطبيق مقامات الهمذاني أنموذجاً:١٨٥.

(٩١٣) ينظر: التعلق النصي:٦٦.

(٩١٤) ينظر: الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث:٥٤١-٥٤٢.

(٩١٥)القائل هو: أبو الحسن محمد بن عبدالله المعروف بابن سكرة الهاشمي، توفي سنة ٣٨٥هـ، ينظر:(يتيمة الدهر:٣/٣، وفيات الأعيان: ٤ /٤١٠).

للوردِ عِندي محلٌّ لأنهُ لا يُملُّ

كلُّ الرياحينِ جُندُ وهو الأميرُ الأجلُّ

إن جاءَ عزُّوا وتوهوا حتى إذا غَاب ذلوّا

وقال الآخرُ[٩١٦]**:**

مَليكَ الوردِ أقبلُ في جُيُوشٍ من الأزهارِ في حُلَلٍ بهيّه

فوافَتْهُ الأزاهِـرُ طـائعاتٍ لأنّ الوردَ شوكتُهُ قويه [٩١٧]

وفي المقامة المسكية يأتي بذكر وصف وتشبيه الزعفران بعد أن جاء به نثراً في قول الخوارزمي:

أما ترى الزّعفرانَ الغضّ تحسِبُهُ جَمراً بَدَا في رَمَادِ الفحمِ مُضطرِمّا

كـــأنّهُ بينَ أوراقٍ تحـــفُّ بـِه طَرائقُ الخّالِ في خدّينِ قد لُطِمَا

دَمَـاً عـيانـاً ومسكاً نشر رائحـةٍ في طيبِهِ وَكَذاكَ المِسكُ كانَ دما[٩١٨]

وهذه بعض أمثلة على هذا النوع من التناص؛ لأن جميع المقامات قد تضمنت نصوصها أبيات شعرية على نحوِ التوظيف الكلي، وممّا تقدم آنفاً فإنّ الاستشهاد بالشعر في النص المقامي يكسر الرتابة ويضفي عليه جمالاً وروعة، كما يدل على مرونة المقامة وقدرتها على تصور المعاني بجميع أبعادها، قدرة لا تتاح للشعر؛ لارتباطه بقواعد موسيقية من وزن و قافية.

التناص مع مصطلحات العلوم والفنون :

نحو مصطلحات العلوم الأخرى كالعروض، والنحو ،والشريعة، والطب وغيرها[٩١٩]،فذكر السيوطي في مقامة الرياحين المصطلحات الطبية كما في قوله:((**وأقوّي المِعدَ، وأفتحُ من الكَبدِ السُّددَ،...، وأنبتُ اللحمَ في القُروح العميقة، وأقطعُ الثآليلَ كُلّها إذا استعملت أزراري سَحيقةً، وأنفعُ من القُلاعِ والقُروحِ ...**))[٩٢٠]،والمصطلحات

([٩١٦])القائل هو:شمس الدين محمد بن علي النواجي(ت٨٥٩هـ،صاحب،حلبة الكميت)،ينظر:الضوءاللامع:٧/ ٢٢٩.

([٩١٧]) المقامات:٢٠.

([٩١٨]) نفسه :٧٢.

([٩١٩]) ينظر: علم لغة النصّ النظريّة والتطبيق:٨٥،

([٩٢٠]) المقامات:١٧، ١٨.

هي:((**السدد، الثآليل، القلاع**))[*]،وكما في نحو قوله في المقامة الياقوتية : ((**قال الفيروز: الحمد لله الذي فضلني بلونين، وكساني حُلّتين، وجعلني أدخل في الكيمياء وفي أدوية اللعين، وللطف ذاتي تطورت، فإن صفا الجو، وإن تكدّرَ تكدّرْت، وخصني بجبل نيسابور، فلا أوجد فيّ غيره**))[٩٢١] في هذهِ المقامة مصطلحات تمُتّ للطّب بصلة((**الكيمياء، أدوية العين**)) وهذه المصطلحات نجدها في الطّب وغيره، وكذلك نجده قد ذكر اسم مكان وهو(**جبل نيسابور**)) وهو مدينة في خراسان، ومن المصطلحات الطّبية التي ذكرها في المقامة الذهبية في الحمى قوله:((**وذكروا أنها تفتح كثيراً من السدد*، وتنضج من الموادِ والأخلاط* ما فسد، وتنفع من الفالج*و((اللّقوة))*والتشنج* الامتلائي والرمد**))[٩٢٢] والمصطلحات التي وردت في هذا النص من المقامة تدل على الطب وهي(**السدد، الأخلاط، الفالج، اللقوة، والتشنج، والرمد**)) وهذا نابع من عنوان أو موضوع المقامة نفسها، وفي المقامة البحرية : ((**وما زال بحره البسيط المديد، يروى عن ثابت ويزيد، إلى أن زاد من الذراع الثامن عشر سبعة عشر إصبعاً، وذلك إلى الثاني والعشرين من مسرى الموافق ليوم الأربعاء**))[٩٢٣] فكلمة(**البسيط، المديد**) من مصطلحات علم العروض، إذ إنَّ البحر البسيط أحد بحور الشعر، كثيرة الشيوع قديماً وحديثاً، ويؤسس الشعر منه على النحو التالي (**متفاعلن متفاعلن فاعلن**)، والبحر المديد أيضاً بحر من بحور الشعر وزنه(**فاعلاتن فاعلاتن مرتان**) ونجد في النص أيضاً مصطلحات أخرى استعملها وهي (**الذراع ، والإصبع**) مصطلحات هندسية، وفي المقامة نفسها يذكر بعض مصطلحات نحوية في قوله:((**كيف أصبح النحوي؟ وأصبح النحوي يلتقط الحب كأنه ابن عصفور، ويقول: السعر ممدود، والمال مقصور، وأنا وكتبي للبيع جار ومجرور، وقد كسر باب الإنافة، ورفع باب الإضافة لقد لقينا أمراً إمراً، وضرب زيد عمرا**))[٩٢٤] فكلمات((**المقصور والممدود، والجار والمجرور، الإنافة والإضافة، الكسر والرفع**) مصطلحات نحوية، (**والنحوي**) المشتغل بعلم النحو، وهو علم يعرف به أحوال أواخر الكلم إعراباً وبناءً، وأيضاً يقول:((**قال التصريفي: قد ساءت الأحوال وختلت، ونقصت الأفعال واعتلت، وزاد الغم، وفك المدغم، ووقعنا في تعسير، وصار جمعنا تكسير**))[٩٢٥]، استعمل السيوطي في التعبير عن الحالة المصطلحات الصرفية وهي(**نقصت،**

(*):((**السدد:** وهو في الطب جُلْطَةٌ دموية، أو كتلةٌ من البكتريا، أو جسم غريب آخر يسدّ وعاء دموياً، **الثآليل:** جمع ثؤلول زيادة في الجسد،**القلاع:** مرض يصيب الأطفال،ومظهره نقط بيض في الفم(ينظر: مفيد العلوم:٢٨، ٩٩، ١١٥).

([٩٢١]) المقامات:١٤٩.

(*) الأخلاط (في الطب القديم)أمزجته الأربعة وهي :الصفراء، والبلغم، والدم ،والسوداء.

(*) الفالج: شلل يصيب أحد شقي الجسم طولاً.

(*)اللقوة: داء يعرض للوجه يعوج منه الشدق.

(*) التشنج:(في الطب)تقبض عضلي غير إرادي.

([٩٢٢]) المقامات:١٥٧.

([٩٢٣]) نفسه:١٦٢.

([٩٢٤]) المقامات:١٦٩.

([٩٢٥]) نفسه:١٦٩.

واعتلت، وفك المدغم، جمع تكسير)، (والتصريفي): المشتغل بعلم الصرف: وهو علم تعرف به أبنية الكلام واشتقاقاته، ومن المصطلحات التي استعملها أيضاً في مقاماتهِ، الأصولية، واللغوية، والمعنوية، والبيانية والعروضية، والمنطقية، والفرضية، والميقاتية، والكتابية، والفقهية، فالأصولية في قوله:((**قد ضاقَ النِطاقُ، وجاءَ تكليفُ ما لا يُطاقُ**))[٩٢٦]،ومن المصطلحات الأصولية((**التكليف**))،واللغوية قوله:((**رُبَّ عَجَلةٍ تَهَبُ ريثاً، ورُبَّ غَيثٍ لم يكنْ غَيْثاً، ولا يدري مَنْ بُسِطَ له حالٌ مَنْ عليه قُدِرِ، ويَحسَبُ الممطورُ أن كُلاً مُطِر**)[٩٢٧]، والمصطلحات التي جاءت في النص هي((الريث: التمهل، والغيث: المطر الذي يغيث الناس في حال الجدب))،والمعنوية قوله:((**تُرى هل نرى للأرضِ من حَقل؟ ويقول المؤمنُ: أنبت الربيعُ البقلَ، وتمتدُ من خيامِ المَلق الأطنابُ، ويوفي الكيلُ مِن الزرع بالمساواة والإطناب**))[٩٢٨]،فـ(**الإطناب والمساواة**))هما مصطلحان من مصطلحات علم المعاني فالكلام إما أن يكون فيه إيجاز أو إطناب أو مساواة، وعبر السيوطي عن فكرته في مقامة مستعملاً المصطلحات البيانية في قوله:((**ترى هل تظفرُ الجسور بالأحرازِ، ويكونُ للماءِ إلى حقيقةِ المزارعِ مجازٌ**))[٩٢٩]والمصطلحات هي((حقيقة، مجاز))،وأيضاً في قوله:((**قد زال الإبهامُ والإيهامُ، وحَسنُ الترشيحُ والاستخْدامُ، فالحمدُ لله على حُسنِ الخِتامِ**))[٩٣٠] مصطلحات بديعية استعملها في النص وهي :((الإبهام، حسن الترشيح، حسن الختام)، **وكذلك** المصطلحات العروضية الموجودة في المقامة في قوله:((**هذه الفاصِلةُ الكُبرى ،والدائرةُ التي دارتْ على الأنامِ تترى**))[٩٣١]،فاستعمل مصطلحين عروضين هما(الفاصلة: وهي ثلاثة أحرف متحركة يليها حرف ساكن مثل(كَتَبَتْ)وهي الصغرى، والكبرى :وهي أربعة أحرف متحركة يليها حرف ساكن مثل(سِمَعهُمْ)[٩٣٢]،والدائرة :وهي بأن الشعر كلّه أربع وثلاثون عروضاً، وثلاثة وستون ضرباً، وخمسة عشر بحراً، تجمعها خمس دوائر[٩٣٣])،وأيضاً في قوله:((**قد زَحَفَ المَديدُ الوافِرُ، وجرتِ السّفنُ حيثُ يُقرعُ الحَافِرُ، وقُصِّر الطويلُ، وسَكَنَ العَويلُ والزَّويلُ، وَحَصَلَ اللُطفُ المُتدارك، فجل الله وتبارك**))[٩٣٤]، والمصطلحات التي ذكرها هي عن بحور الشعر وهي(المديد، والوافر، والطويل، والمتدارك)،ومن المصطلحات الكتابية التي استعملها في المقامة قوله:((**قد رقتِ الحواشي، وضعُفت المَواشي، والأمرُ محققٌ**

([٩٢٦]) نفسه:١٦٨.

([٩٢٧]) نفسه:١٦٩- ١٧٠.

([٩٢٨]) نفسه:١٧٠، ١٧١.

([٩٢٩]) نفسه:١٧٠.

([٩٣٠]) نفسه:١٧٨.

([٩٣١]) نفسه:١٧٢.

([٩٣٢])ينظر: اصطلاحات الفنون٥: ١١٤٠.

([٩٣٣]) ينظر: الكافي في العروض :٢١.

([٩٣٤]) المقامات:١٧٩.

مُتلاشي، وما تنفعُ الطَوامِيرُ، إن لم يكن معها مَطَاميرُ))[٩٣٥]،فكلمة(الحواشي) جمع حاشية وتكون للكتابة وعبر بها عن الأحشاء وضمورها ورقتها بسبب الجوع، واستعمل في التعبير عن اختلاط الأمور ونزول الرزايا وتفاقم الشر والبلاء مصطلحات منطقية في قوله:((**هذه قضايا مختلطاتٌ، ورزايا غيرُ منضبطاتٍ، ما هذه إلا بليةُ، قد أصبحَ البرُّ من البرِّ سَالبةً كليّةً**))[٩٣٦]،وهي الكلمات(قضايا، سالبة كلية)،ومن مصطلحات علم المواريث في قوله((**قد صَلُحَ الردُّ، وصحّ العَدُّ، وقاسَم الجَدُّ، وصارتِ الأنصباءُ مستغرقةً، وقُسِم الماءُ على الفرضِ طبقةً طبقة**))[٩٣٧] ،وهي الكلمات(الرد ،العد ، الجد، طبقة طبقة)،أما المصطلحات الفقهية التي ذكرها في مقاماته، فمنها قوله: ((**قد جاوز الماءُ القُلَّتينِ، وتلاطمتْ أمواجُ الحَرَّتينِ، وتيممَ الماءُ الصعيدَ الطيبَ، وصابَ على الشرقِ والغربِ منه صيّبّ**))[٩٣٨]، فاستخدم مصطلحات فقهية هي(جاوز القلتين، الحرتين، تيمم لصعيد الطيب)،أكتفي بهذا القدر من الأمثلة التي ورد فيها تناص مع مصطلحات العلوم والفنون، وهناك كثير من مصطلحات العلوم التي مُلِئَت بها مقامة الدّريَّة في الطاعون والوباء، واللّازوَرْديَّة في التعزية عند فقد الذرية،وله أبيات شعرية في مقامة وصف الروضة روضة مصر ،يستخدم فيها المصطلحات النحوية،يقول:

في روضة نصبة أغصانها وغدا ذيل الصبا بين مرفوع ومجرور
قد جمعت جمع تصحيح جوانبها والماء يجمع فيها جمع تكسير
والريح قد أطلقت فيه العنان به والغصــن بين تقــديم وتـــأخير
والريح تجري رخاء فوق بحرتها وماؤها مطلــق في زي مأســـور
والريح ترقم فــي أمواجـــه شبكا والغيم يرســـم أنواع التصاوير
والماء ما بين مصــروف وممتنع والظل ما بين ممدود ومقصور[٩٣٩]

فألفاظ(الرفع والجر وجمع التكسير والتقديم والتأخير والمقصور والممدود والمصروف والممتنع)) كلها مصطلحات من علم النحو، يلحظ أنّ السيوطي أحسن توظيف هذه الألفاظ، فجاءت سلسة ومنسكبة من دون أي ثقل، لكنها تخلو من الشاعرية، ولعل إكثار السيوطي من التوجيه بمصطلحات العلوم يعود إلى استظهاره لكثير من المتون، وسعة معجمه من الألفاظ الاصطلاحية، ، وهذا ما اتضح لنا مما سلف ذكره، وعليه؛ فإنَّ السيوطي عندما نطق هؤلاء العلماء وغيرهم بمصطلحات فنونهم كان طويل النفس، مما يجعلنا نقف وقفة أعجاب أمام هذا المعجم اللغويّ الهائل الذي اتكأ عليه في مقاماته.

التناص مع أسماء الأعلام والشخصيات :

---

(٩٣٥) نفسه: ١٧٣.
(٩٣٦) نفسه:١٧٣.
(٩٣٧) نفسه:١٧٥.
(٩٣٨) نفسه: ١٧٧.
(٩٣٩)المقامات:١٨٤.

ويحدث هذا التناص على المستوى المعجمي للنص من خلال استحضار الكاتب لأسماء بعض الشخصيات التاريخية، والرموز السياسية المعروفة على الساحة العربية، كما جاء في المقامة الوردية((**وقد حماني أميرُ المؤمنينَ المتوكلُ**(*)**حَمى الشقائقَ النعمانُ**(*)**،وهذا تَقليدٌ من الخِلافةِ بالمُلكِ على سَائرِ الريحانِ**))[٩٤٠]،وكذلك في المقامة نفسها في وصف النرجس في قوله:((...**ولهذا قال فيِّ كِسرى أنو شروانِ**(*)**:((النّرجسُ يَاقوتٌ أصفرُ، بينَ دُرّ أبيضَ على زُمرّد أخضرَ**))[٩٤١]، وقال أيضاً في ذكر منافع البنفسج :((وروى ابنُ أبي حاتمٍ(*)وغيرُهُ عن الإمامِ الشافعي(*)صاحب المَذْهب المُذهب، أنه قالَ:((**لم أرَ للوباءِ أنفعَ من البنفسجِ يُدهنُ به ويشربُ**))[٩٤٢]،وذكر في المقامة المسكية أسماء في قوله:((... **ثم رأيتُ بعضَ الشُّعراءِ شبهةُ بالشَّبابِ، وذلكَ يَدلُّ على تميزّهِ عندَ أولِي الألبابِ، وقالَ وجيهُ الدينِ أبو الحَسنِ بنُ عبدِ الكَريمِ المُناوي** (*)))[٩٤٣].

وفي المقامة نفسها يذكر فضل العنبر بقوله:((**فثانِي المِسكِ في الفَضِيلةِ، وتَالِي رُتبتهِ في المِزاج فإنّ الحَرارةَ في العَنبرِ عَدِيلَة، ولكونِهِ أشرفَ من سَائرِ مَا بقي قالَ ابنُ البيطار**(*):((**العَنبرُ سيدُ الطيبِ**))[٩٤٤]، وفي المقامة يذكر قول للجوهري يصف الفيل إذ يقول:((**وقال أبو الحسن الجوهري**(*)**[رحمهُ الله] يصف الفيل**))[٩٤٥]:

متناً كبنيانِ الخَور نقِ مَا يُلاقِي الدهرَ كَدّاً

([٩٤٠]) نفسه :١٩.

(*)المتوكل: هو أبو الفضل جعفر بن المعتصم بن الرشيد، من خلفاء العباسيين، قُتل سنة(٢٤٧هـ)،ينظر: وفيات الأعيان:١/٣٥٠، تأريخ الخلفاء للسيوطي:٥٥١.

(*)النعمان: هو النعمان بن المنذر، من ملوك الحيرة، وهو صاحب النابغة الذبياني، ينظر: المعارف لابن قتيبة:٦٤٩.

([٩٤١]) المقامات:٢٣.

(*) كسرى أنو شروان: من ملوك الفرس(ساساني:٥٣١-٥٧٩هـ) ابن قباذ اشتهر بعدله، ينظر: المعارف لابن قتيبة :٦٦٣.

([٩٤٢]) المقامات: ٣٤.

(*) وهو عبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم الرازي، من حفاظ الحديث، وهو صاحب ((الجرح والتعديل)) توفي سنة٣٢٧هـ، ينظر: طبقات الحفاظ:٣٤٥.

(*)وهو أبو عبدالله محمد بن إدريس أحد الأئمة الأربعة له ديوان شعر ،ينظر: الأعلام للزركلي: ٦/ ٢٦-٢٧، والبداية والنهاية لابن كثير: ١٠/ ٢٥١-٢٥٤.

([٩٤٣]) المقامات:٦٥.

(*)وهو ضياء بن عبد الكريم وجيه الدين المناوي، ينظر:(وفيات الاعيان: ٢/ ١٢٥).

([٩٤٤]) المقامات: ٦٦.

(*)هو أبو بكر بن(بدر الدين)المنذر،المعروف بالبيطار:طبيب بيطري توفي سنة(٧٤١هـ)،ينظر:الأعلام:٢/٧٠.

([٩٤٥]) المقامات :٦٩.

ردفاً كَدكّةِ عَـنبرٍ مُتمايلِ الأوراكِ نـهدا[٩٤٦]

وقال:((... **وليحذر من الإكثارِ منهُ والإدمانِ عَليهِ فإنهُ رديء الأعراضِ، ومن جيدِ التشبيهِ قَولُ الخُوارِزمي**[*] **في الزّعفَرانَ**))[٩٤٧] :

أما تَرى الزّعفَرانَ الغَضّ تّحسِبُهُ جَمراً بَدَا في رَمَادِ الفحمِ مُضَطرِمَا

كـأنّهُ بينَ أوراقٍ تَـحفُّ بِهِ طَرائقُ الخّالِ في خدّينِ قد لُطِمَا [٩٤٨]

وذكر في المقامة نفسها أسماء لشخصيات في قوله:((**ثم رأيتُ في خَيرٍ مُرسلٍ، عن أم حبيبةَ زَوجِ خَير مُرسل أن نِسوةَ النّجاشِي**[*] **أهديْنَ لَهَا من الزَّبادِ الكَثيرَ، وأنّها قَدمتْ بهِ على النبيّ البَشيرِ النذِيرِ(صَلّى الله عليه وآله وسَلّم) فإذن حَصلَ...**))[٩٤٩] .

وفي المقامة اللّازوَرْديَّة في فقد الذرية ذكر السيوطي أسماء أولاد الرسول(صَلّى الله عليه وآله وسَلّم)في قوله التأسي برسول الله (صَلّى الله عليه وآله وسَلّم):((**هذا سيّدُ المُرسلِينَ، وحَبيبُ ربِّ العَالمِينَ، قَبضَ اللهُ أولادَهُ في حياتِهِ، ليُعظّمَ لَهُ الزُّلْفَى في دَرجاتِهِ، فماتَ لَهُ من الأولادِ ستةٌ أو سبعةٌ أو ثمانيةٌ نُجومٌ: القَاسِمُ وعبدُ الله والطّيبُ والطَاهِرُ وإبراهِيمُ وزينبُ ورُقيّةُ وأمُّ كُلثُوم، ولم يتأخرْ بعَدهُ من أولادِهِ إلاّ فَاطِمةُ الزّهرا، ولم تعشْ بعدَهْ إلاّ ستةَ أشهرٍ ولياليَ زُهراً، فكانَ موتُها وموتُ أبيها وأخيها إبراهيم في تسعةِ أشهر أو تنقصُ شَهراً**))[٩٥٠].

وقوله في المقامة نفسها ((**كتبَ الشافعيّ إلى عَبدِ الرّحمنِ بنِ مَهدي**[*]**وأرسل إليه يعزيّه، في ابنهِ وقد جزع...**))[٩٥١] .

وفي مقامة الروضة في والديِّ خير البرية يذكر أسماء لأعلام في قوله:((...**وأخذَ المِيثاقَ على النبيين إن جاءَهم أن يُؤمنوا به وينصروهُ، ولو أدركُوهُ لما وسعهم إلاّ أن يَتّبعوهُ ويُعَزُّروهُ ويُوَقّرُوه، وأرسلَهُ إلى جَميعِ**

([٩٤٦]) نفسه:٦٩.

(*)هو أبو الحسن علي بن أحمد الجوهري، من ندماء وشعراء الصاحب بن عباد، ينظر: يتيمة الدهر:٤/ ٢٧.

([٩٤٧]) المقامات:٧٢.

(*)هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي الشاعر المشهور، وهو صاحب المناظرة المشهورة مع بديع الزمان الهمذاني، توفي بنيسابور سنة٣٨٣هـ، ينظر: يتيمة الدهر: ١٩٤/٤،وفيات الأعيان:٤٠٠/٤.

([٩٤٨]) المقامات:٧٢.

(*)النجاشي: أسم ملك الحبشة، ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٥ /٢٢.

([٩٤٩]) المقامات:٧٣.

([٩٥٠]) المقامات:٢٢٤-٢٢٥.

(*)هو: عبد الرحمن بن مهدي بن حسان، أبو سعيد البصري، من حُفاظ الحديث، توفي سنة١٩٨هـ، ينظر: طبقات الحفاظ:١٣٩.

([٩٥١]) المقامات:٢٢٥.

الخَلائقِ كافةً من الإنسِ والجنّ والملائكةِ الصافةِ: قالَ البَارِزيُّ(*):وأدخلَ في دعوتِهِ الحيواناتِ والجماداتِ والشجرَ، وقالَ: السَّبكيُّ(*):""هو مُرسَلٌ إلى كلِّ من تقدمَ من الأممِ وغَبرَ....))[٩٥٢].

إن حضور هذه الشخصيات وأسماء الأعلام المشهورة في المقامات لم يكن بالشيء الاعتباطي، وإنما جاء بها ليعمق الفكرة التي يقوم عليها النص في المقامات، وكذلك لإظهار ثقافته ومقدرته الأدبية التي تتماشى مع مفهوم الأديب في تلك المرحلة، وهذا ما نجدهُ بيّناً في جميع مقاماتهِ.

التناص مع الأمثال العربية:

يشكل المثل جزءاً مهماً من المخزون الثقافي لدى المقاميين يوشحون به مقاماتهم عند الحاجة، وبذلك ينقله الكاتب إلى سياق جديد، وتجربة جديدة تختلف عن مناسبته وسبب قوله، وبهذا يصبح النص الغائب حاضراً بقوة، ويملك زمام التغيير في النص الجديد، فكأن النص يعيد قراءة النصوص التي دخلت في نطاقه، ويقوم بتحويلها لغرضه الخاص.

وقال الميداني في المثل:((قال المبرد: المثل مأخوذ من المثال وهو قول سائر يشبه به حال الثاني بالأول والأصل في التشبيه))[٩٥٣]،ولأن المثل يحمل معنى جليلاً، على الرغم من قلة ألفاظه، مما يغني الكاتب من الكلام، ويزيد من الحكمة في حديثه، وفي ذلك يقول إبراهيم النظام:((يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية؛ فهو نهاية الغاية))[٩٥٤]، لم يستغنِ السيوطي عن الأمثال العربية الراسخة في عقلة، ففي حديثه عن فيضان النيل، وما ينتجه من ربيع واخضرار

(*)هو: شرف الدين أبو القاسم هبة الله بن نجم الدين الحموي الشهير بالبارزي، ولد سنة٦٤٥هـ،ولي قضاء حماة مدة طويلة بلا أجر، له بضعة وتسعون كتاباً أغلبها لا يزال مخطوطاً، منها((البستان في تفسير القرآن))توفي سنة ٧٣٨هـ: ينظر: البداية والنهاية١٤: ١٨٢، والأعلام٨: ٧٣.

(*)وهو: علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السّبكي، أحد حفاظ المفسرين،باشر قضاء الشام سنة ٧٣٩هـ، توفي سنة ٧٥٦هـ،ينظر:الدرر الكامنة ٣: ١٣٤، وغاية النهاية لابن الجزري١: ٥٥١.

(٩٥٢) المقامات:٢٤٤.

(٩٥٣) مجمع الأمثال:١/٥.

(٩٥٤) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها:١٨٣.

للأرض، وما يخلفه أحياناً من دمار للمزروعات وينعكس ذلك على غلاء الأسعار للبقول والحبوب، يذكر المثل:((**ربَّ عجلةٍ تهبُ ريثاً ورُبَّ غيث لم يكن غيثاً**))[٩٥٥]، وهو مثل قاله ابن عوف الشيباني، وله قصة، ويضرب للرجل يشتد حرصه على حاجة ويخرق فيها حتى تذهب كلها[٩٥٦].

وفي المقامة نفسها يورد أربعة أمثال، نذكر منها:((**ويحسب الممطور أن كلاّ مطر**))[٩٥٧]، وهو مثل يضرب للغني الذي يظن أن كُلَّ الناس في مثل حاله[٩٥٨]،ومن الأمثال التي ذُكرت قوله:((**إذا جاءَ نهرُ الله بَطَلّ نهرُ مَعْقِل**))[٩٥٩]، وهو مثل يضرب في الاستغناء عن الأشياء الصغيرة إذا وجد ما هو أكبر منها وأعظم نفعاً[٩٦٠].وقوله:((**كَمَنَ الغَيْثُ على العَرْفَجَةِ**))[٩٦١]، (العرفجة): نبت سريع الانتفاع بالغيث، ويضرب في سرعة ظهور النعمة[٩٦٢]،وقوله:(**التقى الثَّريانِ**)[٩٦٣]،مثل يضرب في الاتفاق بين الرجلين والأمرين[٩٦٤].

الشاص مع المفردات المعجمية الدخيلة(المعربة):

وظّفَ كُتّاب المقامات كثيراً من المفردات والألفاظ التي تسهم في أداء المعنى، سواء كانت هذه المفردات من أسماء الأعلام والأماكن، أو من الألفاظ والكلمات المعربة التي جلبت للغة العربية من الأقوام غير العرب الذين دخلوا الإسلام بعد الفتح الإسلامي؛ فعربت هذه الألفاظ، وأصبحت متداولة في اللغة العربية من خلال الاستعمال اليوميّ.

ومن الكلمات التي وجدت في البيئة المملوكية ،كلمة(المهارق) ومفردها (مُهرّق) وأصلها فارسيّ، وقد عربت[٩٦٥]، وتعني بالعربية قماش من حرير ، وكان يُطلى أو يُسقى بالصمغ ثم يصقل بالخرز، ثم يستعمل في

([٩٥٥]) المقامات:١٦٩.

([٩٥٦])مجمع الأمثال:٢٥٩/١.

([٩٥٧]) المقامات:١٦٩.

([٩٥٨]) مجمع الأمثال:٤١٧/٢.

([٩٥٩]) نفسه:١٧٨.

([٩٦٠]) ينظر: الأمثال اليمانية، لإسماعيل الأكوع:٩٥/١.

([٩٦١]) المقامات:١٧٨.

([١٠])ينظر: مجمع الأمثال:١٤٩/١.

([٩٦٣]) المقامات:١٧٨.

([٩٦٤]) ينظر: مجمع الأمثال: ١٨٤/٢.

([٩٦٥]) ينظر: تهذيب اللغة :٢٥٩، وينظر: لسان العرب:٣٦٨/١٠.

الكتابة عليه، والكلمة في الأصل الفارسي ((مهر كرد))،أي صقل به[٩٦٦]، وقد جاءت في قول السيوطي:((**كأنَّه نصولُ المشيبِ في المفارقِ، أو رمل أبيضٍ قد أتربت به سطور تلك المهارق**))[٩٦٧].

وقد كثرت الألفاظ الداخلية عند السيوطي ، منها كلمة (الكيموس) وهو لفظ سرياني للخلط وهو في الحقيقة غذاء تغيرت صورته الأولى[٩٦٨]، وكلمة (جنبذه)وهو ورد يتساقط عن شجر[٩٦٩]، و(الإهليج) وهو ثمر هندي مجلوب[٩٧٠]، وكلمة (طرز) وهو لفظ فارسي(معرب) بمعنى الزي والهيئة واستعمل في جديد كلّ شيء، إذ عنون بهذا اللفظ مقامة((**طرز الحمامة في التفرقة**))، وفي المقامة الدّريّة يأتي بلفظ(الدبج) وهو النقش والتزيين فارسي معرب، يقول: ((**وتوسد التراب بعد أن كان مدبجا...**))[٩٧١].

وهذه بعض الكلمات التي وردت في مقامات السيوطي، والتي تسللت إلى اللغة وأصبحت متداولة، أضف إلى ذلك بعض المفردات الصعبة التي نحتاج إلى معرفتها بالرجوع إلى قواميس اللغة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى اتساع ثقافة السيوطي، وكل الأنواع السابقة تؤكد قدرة النص المقامي على استيعاب آي القرآن الكريم وألفاظه، وأحاديث النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، وأشعار، وأمثال العرب، لتضفي جمالاً على النص وتعطيه بعداً واقعياً.

الشاهد القائم على استحضار قصة أو حقيقة تاريخية:

استحضر السيوطي مجموعة من القصص والأحداث التاريخية التي ضربت مصر في زمانه، وكانت المقامات(البحرية و الدرية وبلبل الروضة واللّازوَرْديَّة) خير دليل على ذلك فقد جاء بها للاعتبار والإفادة منها، نحو ما قاله في المقامة البحرية:((**سنة ٨٩٧هـ كان الوفاء للنيلِ: لما كن سنةُ سبعٍ وتسعينَ وثمانمائةٍ أوفى النيلُ في منتصف مِسرى، وسارت في البلادِ رسائلُ البُشرى، وأرسلتْ منه نِعمُ الله على العباد تترى، ورأوا فيه من آياتِه الكُبرى، وحَمِدُوه وأنْ كانوا عاجزينَ عن القيامِ بحقِّهِ شكراً، ومازالَ بحرُهُ البسيطُ المديد، يروي عن ثابتٍ ويزيد،... فوقف مدُّ النيل عن الامتدادِ، وبدأ فيه النقصُ بعد الازديادِ، فانتظرَ الناسُ أوبتَهُ، وترقبوا منه أن يوفي من الزيادةِ نوبتَهُ، فاستمرَّ على الوقوفِ، وانكشفَ لنقصِهِ السّواحلُ والجروفُ،...، وأصبحوا الناسِ في أمرِهم حيارى، وانهمكَ على شراءِ القمحِ المسلمونَ وليهوُد والنصارى، وترى الناسِ سُكارى وما هم**

([٩٦٦]) المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي:٣٩.

([٩٦٧]) المقامات:٦٦.

([٩٦٨]) نفسه:٧٩.

([٩٦٩]) نفسه:٨٠.

([٩٧٠]) نفسه:٨١.

([٩٧١]) نفسه: ٢٠٢.

بسكارى، كأنما قامتْ عليهمُ القيامةُ، أو سقطتْ عليهم الغَمامةُ، وكلٌّ من وردَ في البحرِ أو صدرَ يقولُ في الشوارعِ يا الله السلامةَ، وعادَ بعضُ الناسِ على بعضٍ بالمَلامةِ، وعضَّ المتأخرُ عن شراءِ القوتِ على يَدَيْهِ من الندامةِ...))[٩٧٢]، في هذه المقامة تناص مع أحداث تاريخية حدثت في مصر ،إذ نقص النيل سنة (٨٩٧هـ) فتناولها السيوطي ليبين حال الناس في الرخاء والغلاء[٩٧٣].

وقوله في المقامة الدرية:((**لما كان في أول سنةِ سبعٍ وتسعينَ وثمانمائةٍ، وردت الأخبارُ عن الأخيارِ بأنَّ الطاعونَ قد انتشرَ في بلادِ الرّومِ، وأنّه بصدِ أن يطرقَ البلاَ الشاميةَ والمصريةَ ويرومَ، وكانَ للطاعونِ نحو خمسَ عشرةَ سنةً لم يطرقْ هذينِ المِصرينِ، ولاأناخَ ركابَهُ بهذينِ القُطرين،ثم جاءَ الخيرُ بوصولِهِ،إلى البلادِ الحلبيةِ بعدَ شهرينِ، فأرجفَ الناسُ بدخُوله مصرَ،...،وأكثرَ نَاسٌ من أشياء لا تغنِيهم، من تلك استعمال مأكولاتٍ قوابضَ، ومجففاتٍ وحوامضَ، وتَعليقُ فصوصٍ لها في كُتبِ الطبَّ نُصوصَ، وهذا بابٌ قد أعيا الأطباءَ، واعترفَ بالعجزِ عن مُداواتِهِ الألباءُ،وأناس رتبوا أدعية لم يردْ بها حديث ولا أثر، وابتدعوا أذكاراً من عند أنفسِهم ونسوا أين المفر...))**[٩٧٤]، في هذه المقامة تناص مع أحداث حدثت في مصر عندما تفشى وباء الطاعون في مصر والشام سنة(٨٩٧هـ ـ ٨٩٨هـ) فصور لنا هذه الأحداث في مقامتهِ، ووصف لنا أهل عصره عندما استحل فيهم الطعن وعجزوا عن علاجه.

وفي مقامة بلبل الروضة يقول:((**عيد الروضة: وتختصُّ الرّوضةُ من بينِ سائرِ الأقطارِ بيومٍ هُوَ لها يومُ عيدٍ، طَالِعُهُ في بُرجِ السُّنبلةِ، والحوتُ للمشتري سعي، وهو يومُ الزينةِ وما أدراك ما يومُ الزينةِ؟ يومٌ يُحشرُ له الناسُ، ويُحجُ فيه إلى المقياسِ، وتَطِيبُ من تخليفهِ وتحليقهِ الأنفاسُ، ويُسبَلُ فيه سِترُ الوفاءِ بالعفو، وفي الحقيقة هو خِلعة رضيٍّ ولباسٍ، وتُكمدُ الحُسّادُ، وتجتمِعُ الأضدادُ، فيحصُلُ الصّفاءُ إذا انكَدر، والجبرُ إذا انكسر، ويبلغُ الخلقُ من النَّيل غاية النّيل، ويسحبُ الماءُ على بِساطِ الأرضِ الذّيلَ، ويركَبُ إليه الملِكُ والجنودُ، وتعقدُ له الأولويةُ والبنودُ، ويكونُ للناسِ من مائهِ ولونهِ المحمرِّ وُرودٌ، ذلك يومٌ مجموعٌ له الناسُ، ذلك يومٌ مشهوٌ، وله في كلِّ سنةٍ أجلٌ معدودٌ))**[٩٧٥]، تناص مع حدث تأريخي وهو الاحتفال بيوم وفاء النيل، فصورهُ لنا في هذه المقامة، وهو من الاحتفالات الرسمية والشعبية في عصر السيوطي[٩٧٦].

([٩٧٢]) المقامات:١٦٢، ١٦٣ ،١٦٤، ١٦٥.

([٩٧٣]) ينظر: موسوعة التاريخ الإسلامي: العصر المملوكي: ٢٢٩.

([٩٧٤]) المقامات:١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩.

([٩٧٥]) المقامات:١٩٢-١٩٣.

([٩٧٦]) ينظر: موسوعة التاريخ الإسلامي العصر المملوكي: ٢٢٩-٢٣٠.

وفي المقامة اللّازوَرْديَّة يقول في ابن المقعدين:((**كانَ بمكةَ مُقعدانِ لَهُما ابنٌ شَابٌّ يقومُ بأمرِهمَا، ويسعى في الكسبِ عليهما وسترِهمَا، فأدركَهُ حِمامُهُ، ونقضتْ مُدَّتُهُ وأيامُهُ، فقالَ(صَلّى الله عليه وآله وسَلّم) مُعزِّياً لكلِّ والِدَيْنِ:((لو تُرِكَ أحدٌ لأحدٍ، لتُرِكَ ابنُ المُقعَدَينِ))))**[٩٧٧].

أكتفي بهذا القدر من الأمثلة التي ورد فيها تناص مع الأحدث التاريخيّة، وهناك أحداث أخر مُلئِت بها مقامات السيوطي، ولاسيّما المقامة اللّازوَرْديَّة.

تناص الزمان والمكان:

للزمان والمكان أهمية كبيرة في البناء السرديّ، وربما كان أول ما يفكر به الكاتب فيما يأتي المكان الذي تدور علية الأحداث، وبعدهما تأتي الحبكة والشخصيات بكل أبعادها وتفاصيلها، ومدى تفاعل هذه العناصر بعضها مع بعضها الآخر .

ولما للزمن من علاقة وثيقة بحياة الإنسان في مختلف العصور والبلدان؛ لذلك لا يمكن أنْ نشير إليه مثل بقية الشخصيات أو الأشياء التي تشغل المكان أو المظاهر الطبيعية؛ لأنّهُ ليس له وجود مستقل نستطيع أنْ نخرجه من النص، فهو يتغلغل في كل جزء من النص، فهو الهيكل الذي تبنى عليه[٩٧٨].

ونظراً لارتباط المكان بتقنية الوصف يمكن أن يجيء المكان عنصراً تابعاً للزمان وملتصقاً به، إذ لا يمكن أن يتم تناول المكان بمعزل عن تضمين الزمان.

([٩٧٧]) المقامات:٢٢٤.

([٩٧٨]) ينظر: بناء الرواية(دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ):٢٧.

ولقد استطاع السيوطي توظيف عنصر الزمان بأنواعه التاريخي والسياسي والاجتماعي في مقاماته، فكان الزمن التاريخي كثير التوظيف في مقاماته، وذلك بين في مقامتهِ الدّريّة في الطاعون والوباء، فعندما تفشى وباء الطاعون في مصر والشام سنة(٨٩٧هـ)، كتب هذه المقامة، فوصف أهل عصره ،بقوله: ((... **لما كان في أول سنةِ سبعٍ وتسعينَ وثمانمائةٍ، وردتِ الأخبارُ عن الأخيارِ بأنَّ الطاعونَ قد انتشرَ في بلادِ الرّومِ، وأنّه بصددٍ أن يطرقَ البلاد الشاميةَ يرومّ، وكانَ للطاعونِ نحو خمسَ عشرةَ سنةً لم يطرقْ هذين المصرينِ...، ثم جاءَ الخبرُ بوصولِهِ إلى البلادِ الحلبيةِ بعد شهرينِ ...، فلما انتصفَ جُمادى الأولى أخذَ في الحركةِ ...، فلما استهلّ جُمادى الآخرة هجمَ الهجمةَ الكُبرى**))[٩٧٩]، فالسيوطي في هذه المقامة يستعمل الزمن التاريخي في رصد حركة وباء الطاعون، وتاريخ دخوله الأمصار المختلفة.

وكما جعل موضوع غلاء الأسعار نتيجة نقص النّيل في سنة(٨٩٧هـ)،فكان حال الناس يرثى له، يقول موثقاً الحدث:((... **لما كان سنةُ سبعٍ وتسعينَ وثمانمائةٍ أوفى النّيلُ في منتصف مِسرى، وساربْ في البلادِ رسائلُ البُشرى...، إلى أنْ زادَ من الذراعِ الثامنَ عَشَرَ أصبعاً، وذلك إلى الثاني والعشرينَ من مِسرى الموافقِ ليومِ الأربعاء...،وبدأ فيه النقصُ بعد الازديادِ...،فحينئذٍ ماجَ الناسُ موجاً وارتقى سعرُ القمحِ و غيرهُ من الحبوب أوجاً، وأصبحوا في أمرهِم حيارى، و انهمكَ على شراءِ القمحِ المسلمونَ واليهودُ والنصارى**))[٩٨٠].

وكذلك وظف السيوطي الزمن الاجتماعي في مقاماته، عند حديثه عن الصراع الدائر بين حكام المماليك في مقامة الرياحين التي أوردها على لسان الأزهار، خوفاً مما قد يحدث له إذ كان مطارداً حتى وصل بالسيوطي إلى تمني الموت، وهذه النتيجة عامة ولدها الحرمان والاستعباد لأهل مصر والشام، إذ يقول:((**وكيف لا يُستحسَنُ في هذا الزّمانِ مَوتُ الأولادِ، هو الزّمانُ الّذي ظَهرَ فيه الفسادِ ، وكّثُرَ فيه العنادُ، ولا يظفرُ بواحدٍ من الألفِ سَادَ، وهو الّذي خيرَ عَنهُ سّيدُ بني كِنانةَ، بقولِهِ: (لا تقومُ السّاعةُ حتّى يَمرَّ الرجلُ بقبرِ الرجلِ فيقُولَ: ياليتني كُنت مَكانَهُ)**))[٩٨١]

أمَّا المكان الذي كان يُعد مكوناً مهماً من مكونات البناء السردي لجنس المقامة؛ فإنَّ طبيعة المقامات تستوجب تحديد المكان الذي سوف تدور فيه أحداث المقامة، لينزع نوعاً من الواقعية، كما أنه يؤدي وظيفة على المستوى المضمونيّ للمقامة.

فقد ذكر السيوطي الأماكن التي تدور فيها أحداث مقاماته ولاسيما، عند الحديث عن الطاعون الذي أصاب البلاد المصرية والشامية، وفي مقامة بلبل الروضة في روضة مصر ،فإنه وصف المكان وذكر موقعها وهو روضة مصر الواقعة بين مدينة القاهرة ومدينة الجيزة[٩٨٢]، ويعود ذلك إلى الظروف السياسية والاجتماعية في عصر المماليك.

([٩٧٩]) المقامات:١٩٥-١٩٦.

([٩٨٠]) المقامات:١٦٢-١٦٤.

([٩٨١]) نفسه :٢٢٨-٢٢٩.

([٩٨٢]) ينظر: نفسه: ١٨٢.

مظانّ البحث

الكُتُبُ المطبُوعة

- القرآن الكريم.
- **الإتقان في علوم القرآن.** أبو الفضل جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي(ت٩١١هـ) تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم. الهيأة المصريّة العامة للكتاب. (د– ط). ١٩٧٤ م .
- **الأثر القرآني في نهج البلاغة ، دراسة في الشكل والمضمون.** د. عباس علي حسين الفحَّام . العتبة العلوية المقدَّسة . النجف الأشرف – العراق .(د– ط) .٢٠١١م .
- **أثر المقامات في نشأة القصة المصرية الحديثة:** د. محمّد رشدي حسن. الهيأة المصريّة العامة للكتاب. مصر. القاهرة .(د– ط). ١٩٧٤م.
- **أثر سياق الكلام في العلاقات النحوية عند سيبويه. مع دراسة مقارنة بالتراث النحوي العربي والمنهج اللغوي الحديث.**سارة عبدالله الخالدي. الجامعة الأمريكية. بيروت – لبنان.(د– ط).٢٠٠٦م.
- **اجتهادات لغويّة.** د. تمّام حسّان. عالم الكتب. القاهرة. ط١ .٢٠٠٧م.
- **الإحالة في القرآن الكريم،** د. عباس علي الأوسي، ط١، دار ضفاف للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ٢٠١٢م.
- **الإحالة في نحو النص،** د. أحمد عفيفي. كلية دار العلوم. جامعة القاهرة. (د ط). (د.ت).
- **الأدب العربي في الأندلس.** عبد العزيز عتيق. دار النهضة العربية. بيروت. ط٢. ١٩٧٦م.
- **الأدب القصصي عند العرب.** موسى سليمان. دار الكتاب اللبناني مكتبة المدرسة. بيروت. ط(٥). ١٩٨٣م.
- **أدب الكاتب. لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة(٢٧٦هـ).** تحقيق: محمد أحمد الدّالي. مؤسسة الرسالة. بيروت. ط٢ . ١٩٩٩م.
- **الأدب في العصر المملوكي.** محمد كامل الفقي. الهيئة المصرية اللبنانية. (د. ط).١٩٦٧م.
- **الأدب والغرابة دراسات بنيويّة في الأدب العربيّ.** عبد الفتّاح كيليطو. دار الطليعة – بيروت. ط٣. ١٩٩٧ م .
- **أدوات النص.** محمد تحريشي. منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق. ٢٠٠٠ .
- **أساسيات علم لغة النص(مدخل إلى فروضه ونماذجه وعلاقاته وطرائقه)** كليماير وآخرون. تر: د. سعيد حسن بحيري. مكتبة زهراء الشرق. القاهرة. ط١. ٢٠٠٩م.

- **استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)**، عبد الهادي بن ظافر الشهري. دار الكتاب الجديد المتحدة. بيروت. لبنان. ط١. ٢٠٠٤م.
- **أسرار البلاغة**. عبد القاهر الجرجاني (ت:٤٧١هـ). تحقيق: محمود محمد شاكر. مطبعة المدني. القاهرة. ط١. ١٤١٢هـ -١٩٩١م.
- **أسس لسانيّات النصّ** . مارغوت هانيمان . فولفغنغ هانيمان. ترجمة : د. محمد جواد مصلح . دار المأمون للترجمة والنشر. بغداد . ط ١. ٢٠٠٦ م.
- **الأسلوبية وتحليل الخطاب(تحليل الخطاب الشعري والسردي)**. د. منذر عياشي. مركز الإنماء الحضاري. سورية. ط١. ٢٠٠٢م .
- **الأصوات اللغوية**، د. إبراهيم أنيس. مطبعة محمد عبد الكريم حسان. الناشر. مكتبة الأنجلو المصرية. ط٣. ٢٠٠٧م.
- **أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية تأسيس (نحو النص)**. محمد الشاوش، المؤسسة العربية للتوزيع تونس. ط١.١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
- **الأصول في النحو**. محمد بن سهل بن السَّراج (ت٣١٦هـ) . تحقيق : د. عبد الحسين الفتلي. مؤسسة الرسالة. بيروت. ط٣. ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .
- **الأضداد** ، أبو علي محمد بن المستنير (قطرب) (ت بعد ٢١٠هـ)، تحقيق : د. حنَّا حدَّاد. دار العلوم . الرياض. ط١. ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م .
- **الأضداد في اللغة**. محمد بن القاسم محمد بن بشار الأنباري (ت ٣٢٨هـ). تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. المكتبة العصرية. صيدا – بيروت. (د ط). ١٩٨٧م.
- **الأعلام** . خير الدين الزركليّ . دار العلم للملايين بيروت – لبنان. ط١٥ . ٢٠٠٢م.
- **إغاثة الأمة بكشف الغمة**. لتقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقريزي(ت ٨٤٥هـ).دراسة وتحقيق: د. كرم حلمي فرحات. عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. الهرم. مصر. ط١. ٢٠٠٧م.
- **آفاق التناصية– المفهوم والمنظور**: ترجمة وتقديم: محمد خير البقاعي، الهيئة المصرية العامة، للكتاب ، السعودية ، ط١ ، ١٩٨٥م.
- **الاقتراح في علم أصول النحو**. لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي(ت ٩١١هـ).تحقيق: محمود سليمان ياقوت. دار المعرفة الجامعية .(د ط). القاهرة. ٢٠٠٦م.
- **الألفاظ الفارسية المعربة**، لاذّى شير. دار العرب للبستاني. القاهرة.(طبع في مطبعة الكاثوليكية. بيروت.١٩٠٨). ط٢. ١٩٨٨م.
- **الألفاظ المترادفة والمتقاربة في المعنى**. لأبي الحسن علي بن عيسى لرُّماني(ت ٣٨٤هـ). تحقيق: د. فتح الله صالح علي المصري. دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع. مصر. المنصورة. ط١. ١٩٨٧م.
- **الألسنية (محاضرات في علم الدلالة)**، د. نسيم عون، ط١، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥م.

- **الأمثال اليمانية.** القاضي. إسماعيل بن علي الأكوع. تحقيق: إدريس الكتابي. تقديم: سعد المغربي. مكتبة الجيل الجديد. اليمن ـ صنعاء. ط٤. ٢٠٠٩ـ ٢٠١٠م.
- **انفتاح النص الروائي (النص والسياق).** د. سعيد يقطين . المركز الثقافي العربي. بيروت– لبنان. ط٢. ٢٠٠١م.
- **الإيضاح في علوم البلاغة،** جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ). تح: محمد عبد المنعم خفاجي. دار الجيل. بيروت. لبنان. ط٣ .١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- **البداية والنهاية.** لأبي الفداء إسماعيل بن كثير(ت٧٧٤هـ). مكتبة المعارف. بيروت. ط٤. ١٩٧٤م.
- **بدائع الزهور في وقائع الدهور.** لمحمد بن أحمد بن اياس الحنفي(ت ٩٣٠هـ). تحقيق: محمد مصطفى. دار إحياء الكتب العربية. القاهرة. ط٢. ١٩٦٣م.
- **البدر الطالع في محاسن من بعد القرن السابع.** محمد بن علي الشوكاني(ت١٢٥٠). مطبعة السعادة. القاهرة. ط١. ١٣٤٨هـ .
- **البديع،** عبد الله بن المعتز (ت ٢٩٦هـ). تح: اغناطبوس كراتشقوفسكي. دار المسيرة، الكويت.ط٣. ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- **البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية.** د. جميل عبد المجيد. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ط١. ١٩٩٨م.
- **البديع تأصيل وتجديد** ، د. منير سلطان، (د ، ط) ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، مصر ، ١٩٨٦م.
- **البديع في ضوء أساليب القرآن.** د. عبد الفتاح لاشين. دار الفكر العربي. القاهرة. (د ط). ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م .
- **بديعيات الزمان.** فيكتور ألك. دار الشرق. بيروت. ط٢. ١٩٧١م.
- **بغيةُ الوُعَاة في طبقاتِ اللغويينَ والنّحاة** ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط٢ ، دار الفكر ، بيروت – لبنان ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .
- **بلاغة الخطاب وعلم النص.** د. صلاح فضل. عالم المعرفة.(د – ط). ١٩٩٢م.
- **بناء الرواية(دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ).**سيزا قاسم. الهيئة المصرية العامة للكتاب. (د ط). ١٩٨٩م.
- **البيان في روائع القرآن** ،د. تمَّام حسّان. عالم الكتب. القاهرة . ط٢. ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
- **البيان والتَّبيين.** أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(ت ٢٥٥هـ). تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون. مكتبة الخانجي. القاهرة ط٧. ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م .
- **تاريخ الأدب العربي من مطلع القرن الخامس الهجري إلى الفتح العثماني.** عمر فروخ. دار العلم للملايين. بيروت. ط٥. ١٩٨٩م.

- **تأريخ الخلفاء.** لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي.(ت ٩١١هـ). تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. مطبعة الفجالة الجديدة. القاهرة. ط٤. ١٩٦٩م.
- **تاريخ القطبي المسمى(كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام)**قطب الدين الحنفي (ت٩٨٨هـ). المكتبة العلمية مكة المكرمة. (د – ط)١٣٧٠هـ.
- **تحليل الخطاب الشعريّ (استراتيجية التّناص)**، د. محمّد مفتاح . دار التنوير للطباعة والنشر . بيروت – لبنان. ط١. ١٩٨٥م.
- **تحليل الخطاب، براون ويول،** تر: محمد لطفي الزليطني ومنير التريكي. جامعة الملك سعود للنشر العلمي والمطابع. السعودية (د. ط). ١٩٩٧م.
- **التحليل اللغوي للنص (مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج)**، كلاوس برينكر، تر: سعيد حسن بحيري. مؤسسة المختار للنشر والتوزيع. القاهرة. مصر. ط١. ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.
- **التداولية عند العلماء العرب ((دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية) في التراث اللساني العربي)**، د. مسعود صحراوي. دار الطليعة. بيروت. لبنان. ط١. ٢٠٠٥م..
- **التداوليّة من أوستن إلى غوفمان** ، فيليب بلاشنيه ، ترجمة : صابر الحباشة، دار الحوار ، سوريا ، ط(١) ،٢٠٠٧ م.
- **التداولية اليوم(علم جديد في التواصل).** آن روبول وجاك موشلار. ترجمة: سيف الدين دعفوس ومحمد الشيباني. دار الطليعة للنشر. بيروت –لبنان. ط١. ٢٠٠٣م.
- **الترابط النصّي بين الشعر والنثر**، د. زاهر بن مرهون الداودي. دار جرير للنشر والتوزيع. ط١. ١٤٣١هـ..
- **الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب**، خليل ياسر البطاشي. دار جرير. عُمان –الأردن ط١. ١٤٣١هـ/٢٠١٣م.
- **التصوير الفني في القرآن الكريم**، سيد قطب، دار الشروق. بيروت – لبنان . ط٢. ١٩٨٣م.
- **التعالق النصي.** عمر عبد الواحد . دار الهدى للنشر، المينا. مصر. ط١. ٢٠٠٣.
- **تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب.** محمد فخر الدين الرازي(ت٦٠٤هـ)، ط١ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، لبنان – بيروت ، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م .
- **التلخيص في علوم البلاغة**، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني(ت٧٣٩هـ) . ضبطه وشرحه : عبد الرحمن البرقوقي . دار الفكر العربي. ط١. ١٩٠٤م .
- **تمهيد في النقد الحديث** ، روز غريب ، ط١ ، دار المكشوف ، بيروت – لبنان ، ١٩٧١ م .
- **تهذيب اللغة.** أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري(ت٣٧٠هـ)، تح: عبد السلام هارون وآخرون. الدار المصرية للتأليف والترجمة.١٩٦٤-١٩٦٧م.
- **الجامع الصغير(الضعيف الجامع الصغير وزيادته)**.لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي(ت ٩١١هـ). تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي. بيروت. ط٢. ١٩٧٩م.

- **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه** ، محمد بن إسماعيل البخاري(ت ٢٥٦هـ)،المطبعة الكبرى الأميرية،بولاق- مصر، ١٣١١- ١٣١٢هـ.
- **جلال الدين السيوطي:** مسيرته العلمية ومباحثه اللغوية. مصطفى الشكعة. مطبعة مصطفى البابي الحلبي. القاهرة. (د ط). ١٩٨١م.
- **جمع الجوامع المعروف بالجامع الكبير**. لجلال الدين السيوطي(ت٩١١هـ).الناشر: الأزهر الشريف. دار السعادة للطباعة. ط٢. القاهرة .٢٠٠٥م.
- **جنان الجناس في علم البديع**. صلاح الدين بن أيبك الصفدي(ت٧٦٤هـ). مطبعة الجوائب . قسطنطينية. ط١. ١٢٩٩هـ .
- **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع** ، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت١٣٦٢هـ) ، تدقيق : د.يوسف الصميلي ، المكتبة العصرية ، ط١ ، بيروت ، ١٩٩٩م .
- **جون سيرل(العقل مدخل موجز)**. ميشال حنا . مجلة عالم المعرفة. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآدب. الكويت. (د ط). ٢٠٠٧م.
- **الحركة الشعرية زمن المماليك في حلب الشهباء**. مؤسسة رسالة. بيروت – لبنان. ط١. ١٩٨٦م.
- **حُسن التوسل إلى صناعة الترسل** : شهاب الدين محمد الحلبي(ت ٧٥٦هـ).تحقيق ودراسة : أكرم عثمان يوسف . بغداد – وزارة الثقافة والإعلام . ١٩٨٠م.
- **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**. لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي(ت٩١١هـ). مطبعة ادارة الوطن بمصر.(دط).١٢٩٩هـ.
- **خزانة الأدب وغاية الأرب**. تقي الدين ابي بكر علي المعروف بابن حجة الحموي.(ت ٨٣٧هـ).شرح: عصام شعيتو. دار ومكتبة الهلال . بيروت –لبنان. ط١. ١٩٨٧م.
- **الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ)**، تح: محمد علي النجار.المكتبة العلمي. مطبعة دار الكتب المصرية. د. ط. ١٩٥٧م.
- **الخطاب القرآني(دراسة في العلاقة بين النص والخطاب)**. د.خلود العموش . جدار للكتاب العالمي. عمان . الأردن . عالم الكتب الحديث ، اربد . الأردن . ط١ . ١٤٢٩هـ . ٢٠٠٨م.
- **الخطاب النقدي (بحث في المنهج والاشكالية)**.عبد الملك مرتاض .اصدارات رابطة الابداع الثقافية. الجزائر. (د ط). ٢٠٠٠م.
- **الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية (قراءة نقدية لنموذج معاصر)**. د. عبد الله الغذامي. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ط٤. ١٩٨٨م.
- **دراسات في الأدوات النحوية** د. مصطفى النحاس . شركة الربيعات .الكويت ط١. ١٩٨٧م.
- **دراسات في تعدي النص**. وليد الخشّاب. الهيأة العامة لشؤون المطابع الأميريّة. (د – ط). (د– ت).
- **دراسات في فقه اللغة**. د. صبحي الصالح. دار العلم للملايين. بيروت – لبنان. ط١٦. ٢٠٠٤م .

- **دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة**، د. سعيد حسن بحيري. مكتبة الآداب. القاهرة . ط١. ٢٠٠٥م .
- **الدّرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**. لشهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني(ت٨٥٢هـ). تحقيق: محمد سيد جاد الحق. دار الكتب الحديث. القاهرة.١٩٦٦م. (د. ط).
- **الدرس النحويّ النصيّ في كتب إعجاز القرآن الكريم**، د. أشرف عبد البديع عبد الكريم. مكتبة الآداب. القاهرة.(د. ط). ٢٠٠٨م.
- **دلائل الإعجاز** ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني(ت٤٧١هـ) : قرأه وعلّق عليه : محمود محمد شاكر . مكتبة الخانجي .القاهرة . ط ٥ . ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م.
- **دور الكلمة في اللغة. أولمان ستيفن**. ترجمة: كمال بشر. دار غريس. القاهرة. ط٢. ١٩٩٧م.
- **دينامية النصّ (تنظير وانجاز)**، د. محمد مفتاح. المركز الثقافي العربي. بيروت. لبنان. الدار البيضاء. المغرب. ط١. ١٩٨٧م.
- **ديوان أبي الطيِّب المتنبي**. وفي أثناء متنه شرح الواحديّ. الناشر: ميتلر. طبع في مدينة برلين. ١٨٦١م.
- **ذيل زهرة الأدب أو جمع الجواهر في الملح والنوادر**. الحصري(ت ٤٥٢هـ). تحقيق: علي محمد البجاوي، القاهرة – مصر. ط١. ١٩٥٤م.
- **رسائل أبي العلاء المعري**. أبو العلاء أحمد بن عبدالله بن سليمان المعري(٤٤٩هـ). تحقيق: عبد الكريم خليفة. منشورات اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة. (د – ط).عمان.١٩٧٦م.
- **الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث**. محمد محمود الدروبي. دار الفكر. عمان. ط١. ١٩٩٩م.
- **الرواية والتراث السردي(من أجل وعي جديد للتراث)**. سعيد يقطين. المركز الثقافي العربي. ط١. ١٩٩٢م.
- **زهرة الربيع في شواهد البديع**. ناصر الدين محمد بن قرقماس. تحقيق: مهدي اسعد عرعر. دار الكتب العلمية. بيروت. ط١. ١٤٢٨هـ . ٢٠٠٧م.
- **السّبك في العربيّة المعاصرة بين المنطوق والمكتوب**. محمّد سالم أبو عفرة. مكتبة الآداب. القاهرة. ط١. ٢٠١٠ م .
- **سرّ الفصاحة** ، لأبي محمّد عبد الله بن محمّد بن سعيد بن سنان الخفاجيّ الحلبيّ (ت٤٦٦ هـ). دار الكتب العلميّة بيروت – لبنان . ط١ . ١٩٨٢ م.
- **سير أعلام النبلاء:** لشمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبيّ (ت٧٤٨ هـ). شعيب الأرناؤوط. مؤسسة الرسالة – بيروت . ط١١. ١٩٩٦م.
- **سيميائية النص الأدبي**. أنور المرتجي. أفريقيا الشرق. د. ط.١٩٨٧م.
- **شرح ابن عقيل**، بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمذاني المصري(ت٧٦٩هـ)، تح: محمد مجي الدين عبد الحميد ،المكتبة العصرية .صيدا .بيروت .لبنان .١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

- **شرح الرضي على الكافية**، محمد بن الحسن الرضيّ الاستراباذي(ت ٦٨٦هـ).تحقيق: يوسف حسن عمر. مؤسسة الصادق للطباعة والنشر .ط٢.(د.ت).
- **شرح المفصل للزمخشري**، موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي (ت٦٤٣هـ)،قدم له ووضع حواشيه وفهارسه: د. إميل بديع يعقوب. دار الكتب العلمية. بيروت– لبنان. ط١. ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
- **شرح مقامات السيوطي**. لجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ). د. سمير الدروبي. الهيئة العامة لقصور الثقافة. القاهرة.(د ط). ٢٠٠٦م.
- **الشعرية. تودوروف** . ترجمة شكري المنجون ورجاء بن سلامة. دار توبقال للنشر . الدار البيضاء. المغرب. (د ط). ١٩٩٠م.
- **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسُنن العرب في كلامها**، أبو الحسين أحمد بن فارس(ت ٣٩٥هـ)تحقيق: مصطفى الشويمي، مؤسسة أ.بدران للطباعة والنشر. بيروت – لبنان. ١٩٩٣ م.
- **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع** . لشمس الدين عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـ) تحقيق: عبد الكريم خليفة. مكتبة القدس. القاهرة . (د ط). ١٣٥٥هـ.
- **طبقات الحفاظ**. لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي(ت٩١١هـ). تحقيق: علي محمد عمر. مكتبة وهبة . القاهرة. ط١. ١٩٧٣م.
- **الطبقات الكبرى**. لمحمد بن سعد(ت٢٣٠هـ)دار الكتب العلمية. بيروت، (د ت).
- **ظاهرة التعالق النصي في الشعر السعودي الحديث**. د:علوي الهاشمي. كتاب الرياض مؤسسة اليمامة. الرياض. (د ط).(دت).
- **ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي**.طاهر سليمان حمودة.الدار الجامعية.الإسكندرية.(د ، ط).١٩٩٨م.
- **ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب العربي (مقاربة بنيوية تكوينية)**.محمد انيس. دار التنوير للطباعة والنشر. بيروت. ط٢. ١٩٨٥م.
- **الظواهر اللغوية في التراث النحوي**. د. علي أبو المكارم .القاهرة.مصر. ط١.(د–ت).
- **عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي**. محمود رزق سليم. المطبعة النموذجية. مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز. (د – ط). ١٩٩٥م.
- **العلاماتيّة وعلم النص (نصوص مترجمة)**. أعداد وترجمة: د. منذر عيّاشي. بيروت. لبنان. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء. المغرب. ط١. ٢٠٠٤م.
- **علم الأصوات**. د. كمال محمد بشر. دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة.(د ، ط).٢٠٠٠م.
- **علم الدلالة بين النظرية والتطبيق**. أحمد نعيم الكراعين . المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر. بيروت – لبنان. ط١. ١٩٩٣م.
- **علم الدلالة**، د. أحمد مختار عمر. مكتبة دار عالم الكتب للنشر والتوزيع. القاهرة. ط٥ .١٩٩٨م.

- **علم اللغة العام**، فرديناند دي سوسير، تر: د. يؤئيل يوسف عزيز. دار آفاق عربية. بغداد.(د. ط.). ١٩٨٥م.
- **علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق(دراسة تطبيقية على السور المكية)**،د. صبحي إبراهيم الفقي، ط١،دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ،١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
- **علم اللغة(مقدمة للقارئ العربي)**. د. محمود السعران. دار النهضة العربية للطباعة والنشر. بيروت. (د – ط). (د – ت).
- **علم النص (مدخل متداخل الاختصاصات)**. تون أ. فان دايك، تر: سعيد حسن بحيري. دار القاهرة. القاهرة. مصر. ط٢. ٢٠٠٥م.
- **علم النصّ ونظرية الترجمة. يوسف نور عوض** . دار الثقة للنشر والتوزيع. مكّة المكرمة . ط ١. ١٤١٠هـ .
- **علم النص، جوليا كريستيفيا**، تر: فريد الزاهي. دار توبقال للنشر. الدار البيضاء. المغرب. ط٢. ١٩٩٧م.
- **علم لغة النّص (المفاهيم والاتجاهات)**، سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع. القاهرة. مصر الجديدة. ط١. ١٤٢٤هـ. ٢٠٠٤م.
- **علم لغة النص النظرية والتطبيق**. د. عزة شبل محمد ، تقديم : د. سليمان العطار . مكتبة الآداب . القاهرة . ط١. ١٤٢٨هـ . ٢٠٠٧ م
- **علم لغة النّص والأسلوب بين النظرية والتطبيق** : نادية رمضان النجار ، مؤسسة حورس الدّوليّة للنشر والتوزيع ، الإسكندرية ، ٢٠١٣ م .
- **علم وظائف الأصوات اللغوية الفونولوجيا**. د. عصام نور الدين. دار الفكر اللبناني. بيروت – لبنان. ط١. ١٩٩٢م.
- **العمدة في محاسن الشعر(وآدابه، ونقده)**. أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني(ت٤٥٦هـ).تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد دار الجيل. بيروت – لبنان. ط٥ . ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.
- **غاية النهاية في طبقات القراء**. شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري(ت٨٣٣هـ). عني بنشره: ج. برجستراسر. دار الكتب العلمية. بيروت. ط٢. ١٩٨٠م.
- **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**. مع تعليقات ابن باز. اعتنى به :محمود بن الجليل. مكتبة الصفا. القاهرة. مصر. ط١. ١٤٢٤هـ.
- **الفروق اللغوية**، أبو هلال الحسن عبد الله بن سهل العسكري (ت ٤٠٠هـ)، علق عليه ووضع حواشيه محمد باسل عيون السود. منشورات محمد علي بيضون. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان ط٢. ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- **فقه اللغة وخصائص العربية – دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد**. د. محمد المبارك. دار الفكر. بيروت. ط٢. ١٩٦٤م.

- **فلسفة التأويل، دراسة في تأويل القرآن عن محيي الدين بن العربي**، نصر حامد ابو زيد، بيروت، ط٣، ١٩٩٦م.
- **فلسفة العقل دراسة في فلسفة سيرل**. صلاح اسماعيل. دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة – مصر. (د ط). ٢٠٠٧م.
- **فن الجناس (بلاغة- أدب- نقد)**. علي الجندي. دار الفكر العربي. مطبعة الاعتماد، مصر(د .ط). ١٩٥٤م.
- **فنّ القصّة والمقامة** . د.جميل سلطان . دار الأنوار بيروت . ط(١). ١٩٦٧م.
- **فنّ المقامات بين المشرق والمغرب**. د. يوسف نور عوض ، دار القلم . بيروت – لبنان .ط(١) . ١٩٧٩م.
- **فنّ المقامات في الأدب العربيّ** . عبد الملك مرتاض. الشركة الوطنية . الجزائر . ١٩٨٢م .
- **في أصول الحوار وتجديد علم الكلام**. عبد الرحمن طه. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء المغرب. بيروت- لبنان. ط٢. ٢٠٠٠م.
- **في البحث الصوتي عند العرب** . د. خليل إبراهيم العطية . دار الجاحظ للنشر . بغداد . ١٩٨٣م.
- **في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة**. د. سعد عبد العزيز مصلوح. مجلس النشر العلمي . لجنة التأليف والتعريب والنشر . جامعة الكويت – الكويت. ط١ .٢٠٠٣م.
- **في علم اللغة عند العرب ورأي علم اللغة الحديث**، د. شرف الدين علي الراجحي، د.ط.، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢م.
- **في اللسانيات العربية المعاصرة**. سعد مصلوح. علم الكتب. القاهرة ـ مصر. ط١. ٢٠٠٤م.
- **في اللسانيّات ونحو النصّ**. إبراهيم محمود خليل. دار المسيرة للنشر والتوزيع.عمان. ط(٢).٢٠٠٩م. .
- **في اللهجات العربية** . د. إبراهيم أنيس . مكتبة الأنجلو المصرية . القاهرة. ط٣ . ٢٠٠٣م .
- **في نظرية الأدب وعلم النص**. د. شكري عزيز الماضي. دار المنتخب العربي. بيروت. لبنان. ط١. ١٩٩٣م.
- **القرائن والنصّ دراسة في المنهج الأصوليّ في فقه النصّ**. أيمن صالح. المعهد العالميّ للفكر الإسلاميّ . الولايات المتحدة الأمريكيّة. ط(١) ، ٢٠١٠م.
- **قرينة السياق**. تمام حسان. مطبعة عبير. جدة. السعودية. (د – ط). ١٩٩٣م.
- **قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجانيّ**. د. محمّد عبد المطلب ، الشركة المصريّة العالميّة للنشر . لونجمان . ط(١) . ١٩٩٥م.
- **قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية (بنية الخطاب من الجملة إلى النص)**. د. أحمد المتوكل،(د- ط).دار الأمان .الرباط. المغرب.(د-ت).

- **قضايا في اللغة واللسانيات وتحليل الخطاب** . د. محمد محمد يونس علي. دار الكتاب الجديد المتَّحدة . بيروت – لبنان. ط١ . ٢٠١٣م .
- **الكافي في العروض والقوافي .الخطيب التبريزي(ت٥٠٢هـ)**. تحقيق : الحساني حسن عبد الله . مطبعة المدني . ١٩٦٩م.
- **الكتاب**. أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه(ت١٨٠هـ)،تح: عبد السلام محمد هارون . مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع .القاهرة. ط٣. ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- **كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)**. أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري. تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. دار ضياء الكتب العربية. عيسى البابي الحلبي وشركاءه. ط١. ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م.
- **كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز** . يحيى بن حمزة العلوي اليمني (ت٧٠٥هـ) ، تحقيق : د. عبد الحميد هنداوي . المكتبة العصرية للطباعة والنشر . صيدا – بيروت . ط١. ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م .
- **كتاب العين**. الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ). تحقيق : د. مهدي المخزومي. ود. إبراهيم السامرائي . دار الرشيد للنشر. سلسلة المعاجم والفهارس. (د ، ط). ١٩٨٠م .
- **كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم**. العلامة محمد علي التهانوي. تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تر: د. علي دحروج، نقل النّص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي. الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناتي. مكتبة لبنان ناشرون. بيروت. لبنان. ط١. ١٩٩٦م.
- **الكلمة دراسة لغويّة معجميّة**. د. حلمي خليل. دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية. مصر. ط٢. ١٩٩٨م.
- **الكلّيّات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية** . أيوب بن موسى الكفوي(ت قبل ١٠٩٤هـ). تحقيق : د. عدنان درويش . ومحمد المصري . مؤسسة الرسالة . بيروت – لبنان . ط٣. ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م .
- **الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة**. نجم الدين الغزي(ت١٠٦١هـ). حققه: جبرائيل جبور. بيروت. (د ط). (د ت).
- **لذة النص**، رولان بارت، تر: د. منذر عيّاشي. مركز الإنماء الحضاري. حلب. سوريا. ط١. ١٩٩٢م.
- **لسان العرب** ، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت٧١١هـ)،تح: عبدالله علي الكبير. ومحمد أحمد حسب الله .وهاشم محمد الشاذلي. دار المعارف .القاهرة . مصر.(د، ط).(د، ت).
- **اللسان والميزان أو التكوثر العقلي**. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء. المغرب. بيروت – لبنان. ١٩٩٨م.
- **لسانيّات النصّ (مدخل إلى انسجام الخطاب)**. د. محمد خطابي .المركز الثقافي العربي. بيروت. لبنان. الدار البيضاء. المغرب. ط١. ١٩٩١م.

- **لسانيات النص بين النظرية والتطبيق مقامات الهمذانيّ انموذجاً**. ليندة قيّاس. مكتبة الآداب. القاهرة ط١. ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
- **اللسانيات في الثقافة العربية**. حافظ اسماعيل علوي. دار الكتاب الجديد. بيروت لبنان. ط١. ٢٠٠٩م.
- **اللسانيات وأفاق الدرس اللغوي**. د: أحمد محمد قدور .دار الفكر المعاصر. بيروت. ط١. ٢٠٠١م.
- **اللغة العربية معناها ومبناها** . د. تمَّام حسَّان . عالم الكتب. القاهرة . ط٥ . ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.
- **اللغة والمعنى والسياق**، جون لاينز، تر: عباس صادق الوهاب. دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية). بغداد. ط١. ١٩٨٧م.
- **المعنى وظلال المعنى ، أنظمة الدلالة في العربية** ، د. محمد محمد يونس علي ، ط٢ ، دار المدار الإسلامي ، ليبيا ، ٢٠٠٧م.
- **ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد**. أبو العباس محمد بن يزيد المبرد(ت٢٨٥هـ) .دراسة وشرح وتحقيق : د. أحمد محمد سليمان . وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية . مطبعة الموسوعة الفقهية . الكويت . ط١ .١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م .
- **مبادئ اللسانيات**. د. أحمد محمد قدور. الدار العربية. بيروت – لبنان. ط١. ١٤٣٣هـ – ٢٠١١م .
- **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، ضياء الدين بن الأثير (ت ٦٣٧هـ). تح: د. أحمد الحوفي و د. بدوي طبانة. دار نهضة مصر للطبع والنشر. الفجالة. القاهرة. (د. ط).(د. ت).
- **المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك**. سعيد عبد الفتاح عاشور. دار النهضة العربية. القاهرة. ط١. ١٩٦٢م.
- **مجمع الأمثال**. أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني (ت ٥١٨هـ). تح: محمد محي الدين بن عبد الحميد. مطبعة السنة المحمدية.(د. ط). ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م.
- **مدخل إلى علم اللغة النصي**. فولفجانج ينه من وديتر فيهفجر .تر :فالح بن شبيب العجمي. مطابع جامعة الملك سعود. الرياض.(د. ط).١٤١٩هـ.
- **مدخل إلى علم النّص (مشكلات بناء النص)**. زتسسيسلاف وأورزنياك، تر: د. سعيد حسن بحيري. مؤسسة المختار للنشر والتوزيع. القاهرة. مصر. ط١. ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- **مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه**. محمد الأخضر الصبيحي. الدار العربية للعلوم ناشرون. الجزائر العاصمة. الجزائر. ط١. ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.
- **مدخل إلى علم لغة النص**. روبرت دي بوجراند، تر: إلهام أبو غزالة وعلي الحمد. مكتبة التربية. نابلس. مطبعة دار الكاتب– سمير أميس. (د. ط).١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
- **مدخل إلى مناهج النقد الأدبي المعاصر مع ملحق قاموس المصطلحات الأدبية**. د. سمير حجازي. دار التوفيق للطباعة والنشر والتوزيع. دمشق. سوريا. ط١. ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

- **مدخل لجامع النص.** جيرار جنيت. ترجمة. عبد الرحمن أيوب. دار الشؤون الثقافية. بغداد. دار توبقال المغرب. (د ط). (د ت).
- **المرايا المحدبة من البنيويّة إلى التفكيك .د.** عبد العزيز حمّودة . عالم المعرفة . الكويت . ١٩٩٨م.
- **المزهر في علوم اللغة وأنواعها.** جلال الدين السيوطي . تحقيق : محمد أحمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل إبراهيم . وعلي محمد البجاوي. مكتبة دار التراث . القاهرة . ط٣. (د ، ت) .
- **المستدرك على الصحيحين في الحديث.** لأبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري(ت ٤٠٥هـ). مكتبة النصر الحديثة. الرياض.(د – ط). (د – ت).
- **المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي. د.** عز الدين إسماعيل. ط٢. ١٩٨٠م.
- **المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب (دراسة معجمية)**، د. نعمان بوقرة، ط١، دار الكتاب العالمي، عمان، الأردن، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٩م.
- **المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب،** دومينيك مانغنو، تر: محمد يحياتن. منشورات الاختلاف. الدار العربية للعلوم ناشرون. الجزائر. ط١. ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م.
- **المعارف.** لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦هـ)حققه: ثروت عكاشه. دار المعارف مصر. ط٢. ١٩٦٩م.
- **معاني القرآن** . أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت٢٠٧هـ) . تحقيق : د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي. مراجعة : الأستاذ علي النجدي ناصف . (د ، ط) .دار السرور. (د ، ت).
- **معاني النحو**، د. فاضل صالح السامرائي. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.عمان. الأردن. ط٢. ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.
- **المعايير النصية في القرآن الكريم** .د. أحمد محمد عبد الراضي . الناشر مكتبة الثقافة الدينية .القاهرة. ط١. ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.
- **معجم البلدان.** لشهاب الدين الحمويّ(ت٦٢٦هـ). دار الكتب العلمية. بيروت . ط٢ . ١٩٩٥م.
- **معجم السيميائيّات** . فيصل الأحمر . الدار العربيّة للعلوم . ط١ . ٢٠١٠م.
- **معجم اللسانيات، جورج مونان.** تر: جمال الحضري. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. د. ط. ٢٠١٢م.
- **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها.** د. أحمد مطلوب. المجمع العلمي العراقي . (د ط). ١٩٨٣م.
- **المعجم الوسيط** . د. ناصر سيد أحمد وآخرون . دار إحياء التراث العربي . بيروت –لبنان. ط١. ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
- **معجم تحليل الخطاب.** باتريك شارودو – دومينيك منغنو، تر: عبد القادر المهيري. حمّادي صمّود. مطبعة المغرب للنشر. منشورات دار سيناترا المركز الوطني للترجمة. تونس(د. ط.). ٢٠٠٨م.

- **المعنى وظلال المعنى (أنظمة الدلالة في العربية)**. د. محمد محمد يونس علي. دار المدار الإسلامي . ليبيا. ط٢ . ٢٠٠٧م .
- **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب** .جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ) . تحقيق : د. عبد اللطيف محمد الخطيب. مطابع السياسة. الكويت ط١ . ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م .
- **المفارقة و الأدب(دراسة في النظرية والتطبيق)**. خالد سليمان. دار الشرق .عمان.ط١. ١٩٩٩م.
- **مفتاح العلوم**. أبو يعقوب يوسف بن محمد السكاكي(ت٦٢٦هـ) . حققه وقدَّم له وفهرسه : د. عبد الحميد هنداوي . دار الكتب العلمية . بيروت – لبنان . ط١ . ١٤٢٠ – ٢٠٠٠م .
- **مفيد العلوم معيد الهموم**. لأبي جعفر محمد(ت ٤٦٩هـ). نشر وتصحيح: جورج س. كولان. مطبوعات معهد العلوم العليا. المغرب الرباط.١٩٤١م.
- **المقاربة التداولية**. فرانسواز (أرمينكو). ترجمة: سعيد علوش. مركز الإنماء القومي. الرباط.(د–ط). (د ت).
- **مقالات في اللغة والأب**. د. تمام حسّان. عالم الكتب.القاهرة. ط١. ١٤٢٧هـ /٢٠٠٦م.
- **المقامات (السرد والانساق الثقافية)**.عبد الفتاح كيليطو. ترجمة: عبد الكبير الشرقاوي. دار توبقال.ط٢. ٢٠٠١م.
- **المقامات أصالةً وفنّاً وتراثاً**. دراسة وتحقيق: عبد الأمير مهدي الطائيّ. سلسلة خزانة التراث. بغداد . ط١ . ٢٠٠١م .
- **مقامات السيوطي الطبية والأدبية**. أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت٩١١هـ).تح: محمد إبراهيم سليم . مكتبة ابن سينا. مصر الجديدة. القاهرة. ط٢. ١٩٨٦م.
- **مقامات بديع الزمان الهمذاني**. أبو الفضل أحمد بن الحسن بن يحيى (ت ٣٩٨هـ). تقديم وشرح محمد عبدو. منشورات محمد علي بيضون . دار الكتب العلمية .لبنان.ط١. ٢٠٠٢م.
- **المقامات والتلقي، بحث في أنماط التلقي لمقامات الهمذاني (في النقد العربي الحديث)**.نادر كاظم. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت– لبنان. ط١. ٢٠٠٣م.
- **المقتضب**. لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد(ت٢٨٥هـ). تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمه. عالم الكتب. بيروت. (د ط). (د ت).
- **مكتبة السيوطي**. أحمد الشرقاوي أقبال. دار المغرب. الرباط. ١٩٧٧م.
- **ملامح يونانية في الأدب العربي**. د.احسان عباس.المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت.(د ط).
- **من النص إلى الفعل (أبحاث التأويل)**، بول ريكور، تر: محمد برادة. حسان بورقيه. دار روتابرينت للطباعة. الناشر عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. ط١. ٢٠٠١م.

- **منهاج البلغاء وسراج الأدباء.** أبو الحسن حازم القرطاجني (ت ٦٨٤هـ). تح: محمد الحبيب ابن الخوجة، ط٣. دار الغرب الإسلامي. بيروت. لبنان. ١٩٨٦م.
- **موت المؤلف ... نقد وحقيقة** . رولان بارت . تر : د. منذر عياشي . تقديم :- عبد الله الغذامي . دار الأرض. الرياض. ط١ . ١٩٩١ م.
- **المؤرخون في مصرفي القرن الخامس عشر الميلادي(القرن التاسع الهجري).** محمد زيادة. لجنة التأليف والترجمة والنشر .القاهرة. ١٩٤٩م.
- **موسوعة التاريخ الإسلامي (العصر المملوكي).** محمود شاكر. المكتب الاسلامي. بيروت. ط٥. ٢٠٠٠م.
- **موسوعة الحضارة العربية الإسلامية.** قاسم عبده وآخرون، دار الفارس. عمان . (د ط). ١٩٩٥م.
- **موسيقى الشعر**. إبراهيم أنيس. مكتبة الأنجلو المصرية.ط٢. ١٩٥٢م.
- **الموضوعات.** لأبي عبد الرحمن بن الجوزي(ت ٥٩٧هـ). ضبط وتقديم: عبد الرحمن محمد عثمان. المكتبة السلفية . المدينة المنورة. ط١ .١٩٦٦م.
- **النثر العربي القديم من الشفاهية إلى الكتابية.** محمد النجار. مكتبة دار العروبة. الكويت. ط٢. ٢٠٠٢م.
- **النثر الفني في القرن الرابع.** د:زكي مبارك. منشورات المكتبة العصرية. دار الجيل. بيروت. ١٩٧٥م.
- **النحو القرآني في ضوء لسانيات النص.** د. هناء محمود إسماعيل. ط١. دار الكتب العلمية. بيروت، لبنان. ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.
- **نحو النص (اتجاه جديد في الدرس النحويّ).** د. أحمد عفيفي.مكتبة زهراء الشرق. القاهرة. مصر. ط١.٢٠٠١ م.
- **نحو النص (إطار نظري ودراسات تطبيقية)**عثمان أبوزنيد. عالم الكتب الحديث. أربد. الأردن. ط١. ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
- **نحو النص ، نقد النظرية ... وبناء أخرى** . د. عمر أبو خرمة. عالم الكتب الحديثة .أربد– الأردن ط١. ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م .
- **نحو النص إطار نظري ودراسات تطبيقية** . د. عثمان حسين أبو زنيد. عالم الكتب الحديثة . إربد ط١. ٢٠١٠م .
- **نحو النص بين الأصالة والحداثة.** د. أحمد محمد عبد الراضي. مكتبة الثقافة الدينية.القاهرة، مصر. ط١. ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.
- **النحو والدلالة ، مدخل لدراسة المعنى النحوي – الدلالي.** د. محمد حماسة عبد اللطيف . دار الشروق . القاهرة . ط١ . ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م .
- **نسيج النص (بحث فيما يكون به الملفوظ نصاً)** . الأزهر الزناد. المركز الثقافي العربي . بيروت . ط١. ١٩٩٣م.

- **النص الغائب (تجليات التناص في الشعر العربي)**. محمد عزام. دراسة منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق. د.ط.٢٠٠١م.
- **النص والخطاب والاتصال**. محمد العبد. الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي. مصر. ط١. ٢٠٠٥م.
- **النص والخطاب والإجراء**. روبرت دي بوجراند. تر: تمّام حسّان. الناشر. عالم الكتب. القاهرة. مصر. ط١ .١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
- **النصّ والسلطة والحقيقة إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة**. نصر حامد أبو زيد. المركز الثقافيّ العربيّ . الدار البيضاء . المغرب . ط٥ .٢٠٠٦م .
- **النصّ والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلاليّ والتداوليّ**. تون ا. فان دايك . ترجمة : عبد القادر قنيني . دار أفريقيا الشرق . المغرب. ٢٠٠٠م .
- **نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية** . د. مصطفى حميدة . الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان . الجيزة – مصر . ومكتبة لبنان ناشرون . بيروت – لبنان. ط١ . ١٩٩٧م.
- **نظريّة التناص** ، جراهام ألان ، ترجمة : د. باسل المسالمة، دار التكوين، دمشق ، سوريا ، ط١ ، ٢٠١١م .
- **نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال**. د. حسين خمري. منشورات الاختلاف. الجزائر . الدار العربية للعلوم ناشرون . بيروت – لبنان. ط١ . ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م .
- **نظرية النص(ضمن آفاق التناصية المفهوم والمنظور)**. رولان بارت. ترجمة: محمد خير البقاعي. الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة – مصر. (د ط). ١٩٩٨م.
- **نظرية النقد الأدبي الحديث**. د. يوسف نور عوض. دار الأمين . القاهرة. ط١. ١٩٩٤م.
- **نظرية جون سيرل في القصدية**. صلاح اسماعيل. دار قباء الحديث. ٢٠٠٧م.
- **نظرية علم النص (رؤية منهجية في بناء النص النثري)**.د. حسام حمد فرج. مكتبة الآدب. القاهرة .مصر. ط٢. ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
- **نقد الشعر**، أبو الفرج قدامة بن جعفر (ت ٣٢٧هـ)، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، د.ط.، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د. ت.
- **نهاية الأرب في فنون الأدب** . شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن النويري(ت ٧٣٣هـ) . تحقيق : د. علي أبو ملحِم . دار الكتب العلمية . بيروت – لبنان. ط١. ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م .
- **نهاية الإيجاز في دراسة الإعجاز**. الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي (ت ٢٠٩هـ). تح: د. نصر الله حاجي مفتي أوغلى. دار الكتب العلمية . بيروت. ط١. ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.
- **النهاية في غريب الحديث والأثر**. ابن الأثير الحافظ أبو السعادات المبارك بن محمد(ت٦٣٠هـ). دار الفكر . ط٢. ١٩٧٩م.

- **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع.** جلال الدين السيوطي(ت٩١١هـ). تحقيق: أحمد شمس الدين. دار الكتب العلمية .بيروت .لبنان. ط١. ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
- **وفيّات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** . لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمّد بن أبي بكر بن خلكان (ت٦٨١هـ) . تحقيق : د. إحسان عباس . دار الثقافة. بيروت – لبنان. . ١٩٧٧م.
- **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر.** أبو منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري (ت٤٢٩هـ) شرح وتحقيق: مُفيد محمد قميحة. دار الكتب العلمية. بيروت – لبنان. ط٢. ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

الرَّسائلُ والأطاريح الجَامعيَّة

- **الاتساق في العربية (دراسة في ضوء علم اللغة الحديث). (رسالة ماجستير).جبار سويس حنيحن الذهبي. الجامعة المستنصرية. كلية الآداب. ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.**
- **الاتساق في نهج البلاغة . دراسة في ضوء لسانيات النص. رائدة كاظم فياض العكيلي. رسالة ماجستير. جامعة بغداد. كلية التربية – ابن رشد. ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م .**
- **الاتّساق والانسجام في سورة الكهف. محمود بوستة .رسالة ماجستير. جامعة الحاج الخضر. الجزائر . ٢٠٠٩م.**
- **الإحالة دراسة نظرية مع ترجمة الفصلين الأول والثاني من كتاب (Oheionin English) لـ (م. أ. ك. هاليداي ورقية حسن)، (رسالة ماجستير)، شريفة بلحوت، جامعة الجزائر، كلية الآداب واللغات، ٢٠٠٥م– ٢٠٠٦م.**
- **أدوات الاتساق وآليات الانسجام في قصيدة الهمزية النبوية لأحمد شوقي. سودان عبد الحق. (رسالة ماجستير). جامعة الخضر(باتنه).كلية الآداب والعلوم الإنسانية.٢٠٠٩.**
- **الانسجام في النص القرآني (مظاهره وجمالياته)، (أطروحة دكتوراه)، عبد الله خليف خضير عبيد، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.**
- **أصول المعايير النصية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب. (رسالة ماجستير). عبد الخالق فرحان شاهين. جامعة الكوفة. كلية الآداب. ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.**
- **تحليل الخطاب الشعري ثنائية الاتساق والانسجام في ديوان أحد عشر كوكباً لمحمود درويش. (رسالة ماجستير). فتحي رزق الخوالدة. جامعة مؤتة. ٢٠٠٥م.**
- **الحجاج في كلام المام الحسين (ع)** : عايد جدوع حنون ، أطروحة دكتوراه ، كلية التربية للعلوم الانسانية – جامعة البصرة ، ١٤٣٤ هـ – ٢٠١٣ م .
- **السبك النصي في القرآن الكريم ، دراسة تطبيقية في سورة الأنعام ، أحمد حسين حيال ، رسالة ماجستير ، الجامعة المستنصرية ، كلية الآداب ، ١٤٣٣هـ – ٢٠١١م .**

- **سورة البقرة دراسة في ضوء علم لغة النصّ . خالد سعد جبر .رسالة ماجستير. كلية التربية ابن رشد جامعة بغداد . ٢٠١٢م.**
- **المصاحبات المعجمية ، المفهوم والأنماط والوظائف ، لواء عبد الحسن عطية ، رسالة ماجستير ، جامعة كربلاء ، كلية الآداب ، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.**
- **المعايير النصّيّة في خطب نهج البلاغة. محمّد عزيز رهيف.(رسالة ماجستير).الجامعة المستنصرية كلية التربية . ٢٠١٣م.**
- **المفارقة الروائيّة**، الرواية العراقيّة نموذجاً، صالح محمد عبد الله، أطروحة دكتوراه، كلية التربية/ جامعة الموصل، ٢٠٠١م.
- **النثر الصوفيّ في ضوء لسانيّات النصّ . خالد حوير شمس . أطروحة دكتوراه. جامعة بغداد كلية الآداب .٢٠١٣م.**

المجلات الدَّوريَّات

- **(تطور المقامة في الأدب العربي شكلاً ومضموناً) ضمن كتاب** :قضايا الأدب العربي. مجموعة من الباحثين.نشر مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية.سلسلة الدراسات الأدبية.الجامعة التونسية.١٩٧٨
- **الاتساق في الخطاب الشعري من شمولية النصية إلى خصوصية التجربة الشعرية.** أبراهيم بشار. مجلة المخبر. جامعة العربي بن مهدي .العدد السادس.٢٠١٠م.
- **أثر التكرار في التماسك النصيّ مقاربة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات الدكتور خالد المنيف.** د. نوال بنت إبراهيم الحلوة. مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها. العدد٨. ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.
- **الإحالة النصية وأثرها في تحقيق تماسك النص القرآني دراسة تطبيقية على بعض الشواهد القرآنية.** عبد الحميد بوترعة. مجلة الأثر . جامعة قاصدي مرباح . ورقلة – الجزائر. العدد ١٦. شباط ٢٠١٢م .
- **استراتيجية التضاد وعلاقتها بالنزعة الصوفية في شعر عبدالله العشي:** خميسي شرفي. المخبر. العدد (٤٤). ٢٠١٠م.
- **الاستراتيجية الحجاجية في مقامات جلال الدين السيوطي مقاربة تداولية.** أ. فتيحة بوسنه .مجلة الخطاب .جامعة مولود معمري. الجزائر .العدد ١٩ .٢٠١٥م.
- **الأفعال الكلامية عند الاصوليين.** دراسة في ضوء اللسانيات التداولية اللغة العربية. مجلة. نصف شهرية. العدد١٠. الجزائر. ٢٠٠٤.
- **الانسجام النصي وأدواته**، الطيب الغزالي قواوة، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، العدد٨، ٢٠١٢م.
- **السيميوطيقا والعنونة**، د. جميل حمداوي. مجلة علم الفكر. المجلد ٢٥.العدد٣. ١٩٩٧م.

- **عصرأحياء التراث العربي وتجديده.** شوقي ضيف. مجلة المجلة.العدد١٢٢.السنة١١.شباط ١٩٦٧م.
- **علم اللغة النصيّ بين النظرية والتطبيق** (الخطابة النبوية نموذجاً). نادية رمضان النجار. مجلة علوم اللغة. مجلد ٩. العدد ٢. ٢٠٠٦م.
- **عناصر الاتساق والانسجام قراءة نصية تحليلية في قصيدة (أغنية لشهر آيار).** لأحمد عبد المعطي حجازي، مجلة جامعة دمشق، مج٢٩، ع (١-٢)، ٢٠١٣م.
- **المتوقع واللامتوقع. دراسة في جمالية التلقي.** مجلة أبحاث اليرموك. المجلد(١٥). العدد(٢). ١٩٩٧م.
- **ملاحظات في تطور المقامة العربية.** رياض المرزوقي. مجلة الموقف الأدبي. العدد(٧١). أذار ١٩٧٧م.
- **من أنواع التماسك النصي (التكرار، الضمير، العطف)**، مراد حميد عبد الله، مجلة جامعة ذي قار، العدد الخاص، مج٥، حزيران/ ٢٠١٠م.
- **من لسانيات الجملة إلى علم النص،** د. بشير إبرير. مجلة الموقف الأدبي.العدد١-٤. الجزائر. أيلول/ ٢٠٠٤م.
- **نحو أجرومية للنص الشعري.** د. سعد مصلوح. فصول مجلة النقد الأدبي.مجلد١٠.العدد(١، ٢).١٩٩١م.
- **نظرية النص الأدبي.** عبد الملك مرتاض. مجلة الموقف الأدبي. دمشق.العدد٢١. ١٩٨٨م.

المواقع الإلكترونية

- **نظرات في مصطلحات اللسانيات، د. أسامة عبد العزيز جاب الله**

http//www.alssunnah.com